الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله **معهد الآثار**

قسم الآثار

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

العمران والعمارة في الجزائر خلال العهد العثماني

التخصص: آثار إسلامية

المستوى: الثالثة

من إعداد الأستاذ: علي بوتشيشة

السنة الجامعية: 2023/2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله — معهد الآثار
قسم الآثار

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

العمران والعمارة في الجزائر خلال العهد العثماني

التخصص: آثار إسلامية
المستوى: الثالثة

من إعداد الأستاذ: علي بوتشيشة

السنة الجامعية: 2023/2022م

مقدمة:

بدأت ملامح المدينة الإسلامية في التشكل منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب لتتطور بعد ذلك بتغير الزمان والمكان، دون أن تخرج عن النسق العام الذي رسمه الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أضحت المدينة المنورة (يثرب سابقا) المرجع الأصلي لنظام المدينة كما صارت عمارتها وفي مقدمتها المسجد النبوي مرجعا ثابتا للعمارة الاسلامية.

لقد كان من الطبيعي أن ينشأ في ظل الحضارة الاسلامية عدد لا يحصى من المدن سواء في المشرق الإسلامي أو المغرب الإسلامي، بعضها قام على أنقاض عمران قديم وبعضها الآخر قام على أرض بكر لم تكن آهلة من قبل، إلا أنها جاءت جميعها متميزة عن المدن القديمة سواء في شكلها العام أوفي طبيعة وحداتها الأصلية أو في تركيبتها العمرانية، كما كانت خاضعة في مجملها لضوابط واحدة، ولم يكن الاختلاف بينها إلا في بعض الجزئيات المتعلقة إما بطبوغرافية الأرض أو بالوضع التاريخي أو بالإنشاء العمراني والمعماري.

وبذكر المغرب الأوسط (الجزائر) فقد مر بفترات تاريخية مهمة ابتداء بالفتح الاسلامي وانتهاء بالفترة العثمانية، والحق أن هذه الفترة تعد طويلة ومهمة من تاريخ وحضارة الجزائر، فقد شهدت المدن خلالها تطورا عمرانيا كبيرا، بل وارتقت العديد منها إلى مصاف المدن الحواضر كالجزائر وقسنطينة ووهران وغيرها، بعد أن كانت مدنا ثانوية غير ذات أهمية. ومن جهة اخرى شهدت الفترة العثمانية نهضة عمرانية ومعمارية معتبرة خلفت لنا العديد من المنشآت، وكانت من الثراء بحيث ضمت مختلف الأنواع الدينية والمدنية والعسكرية، وشملت عديد المدن التي كانت تحت الحكم العثماني.

وهذا ما سوف نتعرض له بالتفصيل من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية.

فهرس المحاضرات

- **المحاضرة الأولى** : خصائص القرن السادس عشر نهوض أوروبا وانحطاط العالم الاسلالمي
- **المحاضرة الثانية:** التواجد العثماني في الجزائر
- **المحاضرة الثالثة:** التنظيمات في الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة الرابعة:** مدخل إلى المدينة الاسلامية
- **المحاضرة الخامسة:** التطور العمراني لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة السادسة:** التطور المعراني لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني
- **المحاضرة السابعة:** التطور العمراني لمدينة وهران خلال العهد العثماني
- **المحاضرة الثامنة:** العمارة الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة التاسعة:** العمارة السكنية في الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة العاشرة:** المرافق العامة في الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة الحادية عشر:** العمارة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة الثانية عشر:** التأثيرات العثمانية على المنشآت المعمارية بالجزائر

المحاضرة الأولى

خصائص القرن السادس عشر
نهوض أوروبا وانحطاط العالم الاسلامي

عرف القرن السادس عشر للميلاد أحداثا وتطورات خطيرة غيرت وجه العالم وتوجهه، فبعدما كانت السيادة والسيطرة للمسلمين؛ أخذ العالم النصراني زمام المبادرة وعلى جميع المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية، بينما أخذ النفوذ الاسلامي في الانحصار رويدا رويدا فاسحا المجال للقوة الأوروبية الناشئة.

التخلف الاوروبي خلال العصور الوسطى؛أسبابه ومظاهره:

بينما كان العالم الاسلامي يعيش أزهى أيامه في العصور الوسطى؛ ساد أوروبا التخلف والجهل والأمراض، وقد كانت السيطرة المطلقة للكنيسة التي بثت الجهل والخرافات وتصدت للأفكار العلمية الجديدة الوافدة من العالم الاسلامي التي تمنح العقل حرية التفكير والإبداع، فحكمت على العلماء بالحرمان وأهدرت دم بعضهم وأحرقت كتب البعض الآخر، ومن جهة أخرى اعتمدت أوروبا في اقتصادها على الزراعة والري مع قليل من التجارة، فتركزت ملكية الأرض في يد مجموعة صغيرة من المجتمع تمثلوا في الاقطاعيين المتحالفين مع رجال الكنيسة فتركز المال في يد هؤلاء، بينما كان اغلب السكان عبارة عن عبيد يعملون لدى السادة من الاقطاعيين.

حركة النهضة الأوروبية وعوامل قيامها:

وقد شهد القرن السادس عشر في أوروبا حركتين من أكبر الحركات التي شهدها تاريخ العالم الحديث، هي حركة إعادة اكتشاف العالم قصد استعماره وايجاد طرق جديدة للتجارة، والحركة الثانية تمثلت في الاصلاح الديني الذي قادة مارتن لوثر وما نتج عنهما من انفتاح على العالم وتحقيق العديد من المكاسب وما صاحب ذلك من وقوع حروب وصراعات دموية.

وقد كان للحضارة الاسلامية دورا اساسيا في النهضة الأوروبية حيث انتقلت تاثيراتها عن طريق الاندلس وصقلية وجنوب ايطاليا وعن طريق بلاد المغرب، ومن جهة أخرى ساهم التجار الاوروبيون ولاسيما تجار البندقية وجنوة في نقل منتجات الحضارة الاسلامية وأفكارها إلى الضفة الأخرى دون أن نغفل ما افرزته الحروب الصليبية من ايجابيات على أوروبا كان في مقدمتها نقل الحضارة إليها.

مظاهر النهضة الأوروبية:

- تحرر المدن الاوروبية من سيطرة الاقطاعية.
- اختراع الطباعة منتصف القرن 15م على يد غوتمبرغ الالماني ولو أن فكرتها الاولى ظهرت ببلاد الاندلس.
- الاكتشافات البحرية الواسعة التي كانت موجهة ضد المسلمين من أجل القضاء على تجارتهم واستعمار بلادهم وتنصيرهم وقد تولى أمرها الاسبان والبرتغاليون.
- السيطرة على تجارة البهارات والتوابل التي كانت حكرا للمسلمين.
- نهوض الصناعة وازدهارها.
- نمو اقتصادي كبير في جميع القطاعات.
- ازدهار الحركة العلمية التي اعتمدت في الأساس على علوم ومعارف المسلمين.

عوامل انحطاط الحضارة الاسلامية :

أولا – عوامل سياسية:

- ✓ تمزق الوحدة السياسية وقيام على أنقاض الدولة الواحدة عدة ممالك ودول في مشرق ومغرب العالم الاسلامي.
- ✓ الإستبداد السياسي والصراعات الدموية على الحكم.

ثانيا – عوامل اقتصادية:

- ✓ خضوع الزراعة لنمط النظام الاقطاعي العسكري مما أدى إلى تدهورها خاصة في المشرق.
- ✓ إثقال كاهل السكان بالضرائب.
- ✓ تدهور التجارة بسبب تجزئة العالم الاسلامي والحروب الداخلية مما ترتب عليه من انعدام الأمن وانتشار القرصنة برا وبحرا.
- ✓ احتلال الصليبيين للساحل الشامي ثم المغربي مما أدى إلى حرمان التجار المسلمين من موانئ وأسواق البحر المتوسط كما أصيبت الحركة التجارية بأضرار بالغة من

جراء الصراع بين المسلمين والصليبيين، كما تلقت التجارة ضربة مميتة على يد البرتغاليين بعد تمكنهم من تغيير مسلك التجارة عن طريق رأس الرجاء الصالح (1498م) نحو الهند وبالتالي فقد المسلمون دورهم في التجارة الدولية.

ثالثا- عوامل خارجية:

- ✓ سقوط صقلية بيد النورمان بعد استغلالهم للانقسامات التي دبت بين الامراء فيها.
- ✓ الحروب الصليبية وما سببته من استنفاذ لطاقات المسلمين على جميع المستويات.
- ✓ الغزوات المغولية التي كانت أكثر الحروب قسوة ووحشية.
- ✓ سقوط الاندلس بيد الإسبان سنة 1492م وإحراق 80 ألف مجلد من كتب العلوم.

رابعا- عوامل علمية:

- ✓ غياب رعاة العلم من خلفاء وأمراء.
- ✓ هيمنة الدولة على التعليم ومؤسساته وتوجيهها نحو ميادين تخدم مصالحها السياسية والمذهبية والإدارية.
- ✓ الاهتمام أكثر بالعلوم الدينية.

أسباب العدوان على بلاد المغرب:

لم يكن نزول الاسبان والبرتغاليين بسواحل بلاد المغرب إلا وجها آخر من الحروب الصليبية، وكان فشل الصليبيين في المشرق وفتح العثمانيين للقسطنطينية وتهديدهم لأوروبا الغربية وتسيد العثمانيون للحوض الشرقي للمتوسط، ومرافقة ذلك مع سيطرة النصارى على بلاد الاندلس؛ دافعا بالاسبان والبرتغاليين على مطاردة المسلمين في في بلاد المغرب الاسلامي. كما يعتبر الانتقام من سكانه الذين أرسلوا النجدات للاندلسيين دافعا قويا للعدوان الصليبي، وساعدهم في ذلك ضعف وتدهور وانقسام بلاد المغرب.ويمكن تلخيص الاسباب فيما يلي:

1. السبب الديني: كان للعدوان صبغة صليبية وهدفها القضاء على الاسلام لما عرف عن الاسبان والبرتغاليين خاصة من تعصب ديني أعمى.

2. السبب العسكري: نقل المعركة إلى أرض المغرب ومنع بالتالي المغاربة من مهاجمة الساحل الاسباني لنجدة الاندلسيين وتحرير أرضهم.
3. السبب السياسي: إقامة امبراطورية كبيرة باحتلال أراض جديدة لمواجهة الامبراطورية العثمانية الناشئة.
4. السبب الاقتصادي: الرغبة في الاستيلاء على ثروات أخرى بالقوة لسد العجز الذي أصبحت تكابده اسبانيا بعد سقوط دولة المسلمين، وكانت بلاد المغرب مهد الخيرات ومنبع الثروات، وكذا السيطرة على طرق التجارة البحرية بجعل المتوسط بحيرة اسبانيا ومنع تقدم العثمانيين.

العدوان الاسباني على بلاد المغرب:

كانت الامارات الثلاثة ببلاد المغرب لا تحكم إلا شكليا، مما سهل على الاسبان احتلال العديد من المدن الساحلية بدون مقاومة تذكر، بينما عجزت عن احتلال المدن الداخلية.

- احتلال مليلية المغربية سنة 1497م.
- احتلال سبتة المغربية سنة 1580 بعد انسحاب البرتغاليين منها.
- احتلال المرسى الكبير 22 أكتوبر 1505م.
- اندحار الاسبان في مسرغين في جوان 1507م.
- احتلال وهران صيف 1509م.
- احتلال بجاية في جانفي 1510م.
- احتلال عنابة في سنة 1510م.
- احتلال طرابلس في سنة 1510م.
- محاولة احتلال جربة التونسية وخسران المعركة.
- رضوخ مدينة الجزائر للوصاية الاسبانية بعد أن عقد سالم التومي شيخ المدينة اتفاقا مع بيدرو نفارو ببجاية.
- اندحار الاسبان بمدينة قرقنة في عام 1511م.

- استسلام مدينة مستغانم في ماي 1511م وعقد اتفاقية ولاء مع الاسبان.
- خضوع مدن أخرى للهيمنة الاسبانية منها شرشال ودلس.
- احتلال هنين 1531م.

استطاع الاسبان ما بين 1505م و1514م السيطرة تقريبا على كامل الساحل المغربي.

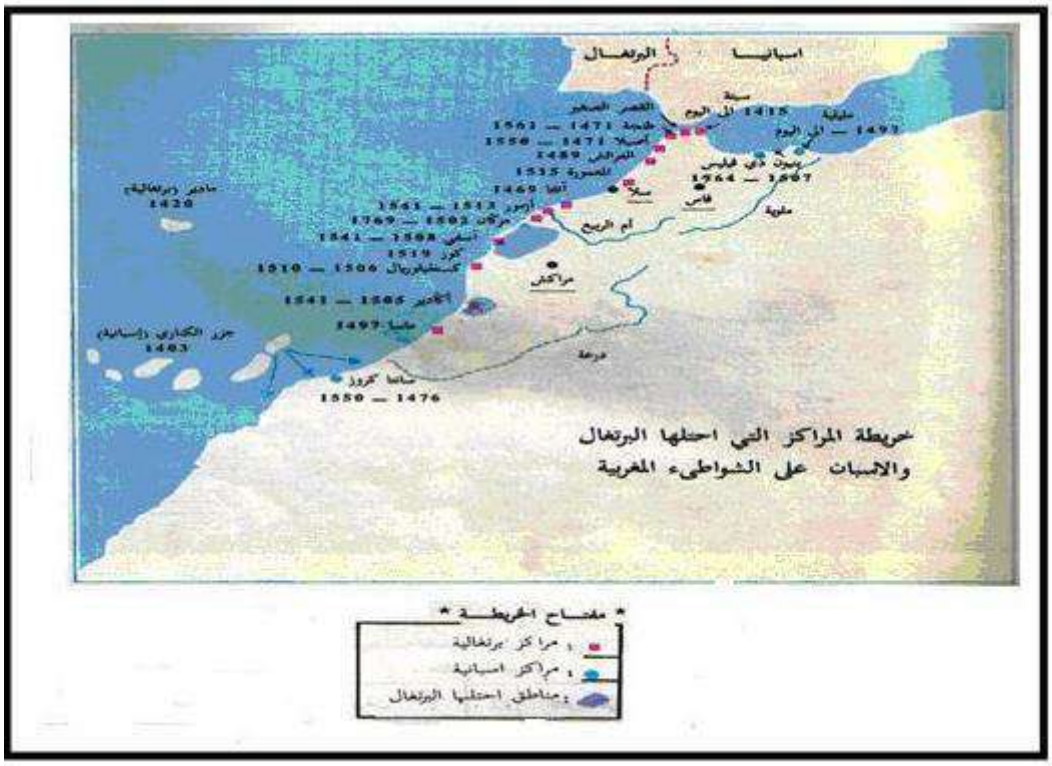

قائمة المصادر والمراجع:

- جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الجديد، الاسكندرية، 1999م.

-مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث الجزء الثالث، مكتبة النهظة الجزائرية، الجزائر، 1964م.

-عبد اللطيف الصباغ، تاريخ أوروبا الحديث، 2011م، نشر الكتروني (Books Library. Net/a3749 Download)

- محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، 1982م.

- **المدني، أحمد توفيق**، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر اسبانيا(1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1976.

- **عزيز، سامح التر**، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة : محمود علي عامر، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1989م

المحاضرة الثانية

التواجد العثماني في الجزائر

نشأة وقيام الدولة العثمانية:

قامت الدولة العثمانية في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي على أنقاض دولة الروم السلاجقة والتي وقفت سدا منيعا أمام هجمات البيزنطيين، ولم تمض سنوات قليلة على ظهور العثمانيين حتى طهروا بلاد الاناضول في آسيا الصغرى من البيزنطيين، ثم واصلوا مسيرتهم إلى أوربا ليفتحوا القسنطينية عام 1453م والتي استعصت عن الفتح منذ العهد الأموي. لقد عمرت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون واجتاحت جيوشها مناطق واسعة في جنوب شرق أوربا ووسطها وأقاليم لم تخضع من قبل لحاكم مسلم.

ينتمي العثمانيون إلى قبيلة من قبائل الغز التركية وهي قبيلة قابي، وقد تحركت هذه القبائل من أواسط آسيا منذ النصف الثاني من القرن السادس الميلادي نحو آسيا الصغرى في هجرات ضخمة لأسباب اقتصادية و سياسية. كانت تمارس في بداية القرن السابع الهجري حرفة الرعي، ونتيجة للغزو المغولي بقيادة جنكيز خان على العراق ومناطق شرق آسيا الصغرى فإن سليمان جد عثمان – مؤسس الدولة – هاجر في العام 617هـ 1220م مع قبيلته من كردستان إلى بلاد الاناضول، ثم استقر في مدينة أخلاط، بعد وفاته عام 628هـ/1230م خلفه ابنه الاوسط أرطغرل والذي واصل تحركه نحو الشمال الغربي من الأناضول وكان معه نحو مئة عائلة و400 فارس، خلال تقدمه صادف قتال بين جيش من السلاجقة وجيش من الروم، انظم إلى إخوانه من المسلمين فكان النصر حليفهم. نتيجة هذا الصنيع اقتطع لهم السلطان السلجوقي أرضا في الحدود الغربية للأناضول بجوار الثغور واتاح لهم بذلك فرصة التوسع على حساب الروم.

بعد وفاة أرطغرل أواخر القرن السابع هجري خلفه في حكم الإمارة ابنه عثمان – الذي سميت باسمه الأمة والدولة– وقد انتهج سياسة أبيه السابقة في التوسع في أراضي الروم.

ونتيجة للغزو المغولي انهارت دولة السلاجقة وتوفى سلطانها علاء الدين الثالث سنة 1307م ليعلن عثمان بن أرطغرل استقلاله وتلقب بلقب سلطان، ويعتبر هذا الأخير المؤسس الحقيقي للامبراطورية العثمانية. ومضى يوسع رقعة دولته واستولى على بعض المدن كانت أهمها بروسة سنة 727هـ/1326م التي أصبحت عاصمة للإمبراطورية.

وجه السلاطين العثمانيون كل جهودهم لفتح أوروبا ونشر الاسلام، حيث تمكنوا خلال القرنين الأولين من احتلال بلاد البلقان وبلاد المجر والكثير من بلاد النمسا وجنوب البلاد الروسية. وفي العام 1453م تمكن محمد الفاتح من فتح القسطنطينية عاصمة مملكة الروم الشرقية وأصبحت بالتالي عاصمة الدولة الجديدة بدلا من بورصة.

ومن جهة أخرى حارب العثمانيون الفرس وحرروا كامل العراق والجزيرة من أيديهم، كما فتحوا مطلع القرن السادس عشر بلاد الشام (1516م) ومصر (1517م)، لتنضوي معظم البلاد العربية تحت الخلافة العثمانية.

شخصية عروج وخير الدين:

يعود أصل هذين الرجلين إلى جزيرة مدللي اليونانية التي استولى عليها محمد الفاتح واستوطنها الجنود العثمانيون بعد أن صارت أرضا عثمانية، ومن ضمن هؤلاء الجنود نجد يعقوب الذي تزوج من نصرانية على الارجح فأنجبت له اسحاق وعروج وخير الدين وإلياس.

اشتغل عروج وخير الدين بالتجارة البحرية غير أن حادثة أسر عروج من طرف قراصنة رودس حولت مجرى حياته وحياة إخوته، فعملوا في الجهاد البحري ضد النصارى.

عملوا في البحر المتوسط، وكانوا يهاجمون البواخر الأوروبية ويخلِّصوا الاندلسيين من بطش الاسبان. كما كان لعروج وأخيه خير الدين على الخصوص شأن كبير في السيطرة على شرق المتوسط وفتح الجزائر وتونس.

عقد الإخوة بربروس إتفاقية مع حاكم تونس الحفصي لحماية سفنهم مقابل بيع غنائمهم هناك ومقابل ثمن يدفع للدولة الحفصية، فأذن لهم السلطان بالرسو في ميناء حلق الوادي وقضوا الشتاء ذلك العام هناك. وبعد استقرارهم بتونس اتجهت انظارهم لتحرير السواحل الجزائرية من الاحتلال الاسباني.

انضواء المغرب الأوسط تحت الحكم العثماني:

1-الدوافع والأسباب:

أصبحت مناطق المغرب عموما وبلاد المغرب الاوسط خصوصا عرضه لحملات صليبية من قبل البرتغاليين خلال العقد الأخير من القرن الخامس عشر عقب سقوط الأندلس، كما تشجعت اسبانيا هي الأخرى على غزو المغرب الاسلامي خاصة المغرب الأوسط وتونس في حين تركزت الهجومات البرتغالية على مناطق المغرب الأقصى.

إن الغزو الاسباني لم يكن لأهداف اقتصادية فحسب بل كان ذا طابع ديني قصد الانتقام من المسلمين ومنعهم من استرداد الاندلس كما كان له أهداف كثيرة أخرى.

وقد تمكنت اسبانيا من احتلال العديد من مدن سواحل بلاد المغرب الاسلامي ابتداء من سبتة ومليلة فالمرسى الكبير ثم وهران وبجاية ومن بعدها طرابلس بليبيا، في المقابل رضخت مدن أخرى للسيطرة الاسبانية بقبولها دفع الجزية ومنها مدن دلس وشرشال وتنس ومستغانم، لتسلم مدينة الجزائر إحدى جزرها القريبة لبيدرو نافارو قائد الحملة وتصبح تحت مرمى مدافع الغزاة، كما اصبح صاحب تلمسان خاضعا لهم وتحت حمايتهم، وهكذا اصبحت اسبانيا وفي فترة وجيزة تسيطر على أهم الموانئ الرئيسية ببلاد المغرب الاسلامي.

وبسبب هذا العدوان الاسباني على سواحل بلاد المغرب الاوسط استنجد أهلها بالإخوة بربروس الذين أصبحت قوتهم البحرية تتعاظم في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

- مراحل التحرير والفتح :

بعد استقرارهم بتونس اتجهت أنظار الإخوة بربروس نحو السواحل الجزائرية التي طلب سكانها النجدة والحماية من عروج واخوته، ففي العام 1514م فتحت جيجل التي كانت تحت سيطرة حامية تابعة لمدينة جينوة الايطالية.ليهاجم الاخوة بربروس بعدها القلعة الاسبانية ببجاية وبعد عدة محاولات تمكنوا من فتحها.

لتفتح بعد ذلك كل من مدينة الجزائر (1516) ثم شرشال(1516) ثم تنس (1517)على التوالي، كما تم أيضا فتح دلس دون مقاومة.

مراحل فتح تلمسان الأول ثم سقوطها من جديد:

نظرا للانتصارات الكبيرة والمتتالية للإخوة بربروس على الاسبان؛ استنجد بهم سكان مدينة تلمسان رغبة في التخلص من حكم أبي حمو الثالث الزياني الموالي للإسبان. فتوجه عروج إليها في جيش كبير ففتحها وعين نفسه حاكما عليها.

بعدها بفترة وجيزة قاد الاسبان انطلاقا من وهران هجوما على قلعة بني راشد بمعسكر بالتحالف مع أبي حمو الثالث أدى إلى استشهاد اسحاق بربروس ومن معه من الحامية في كمين شهر جانفي 1518م، لتحاصر عقبها تلمسان مدة ستة أشهر. تمكن بعدها عروج من التسلل والانسحاب قاصدا البحر، إلا أن قوة اسبانية واجهته في طريقه، فاستشهد ومن معه في معركة غير متكافئة سنة 1518م قرب تلمسان، لينصب الإسبان من جديد أبا حمو الثالث سلطاناعلى عرش تلمسان.

الجزائر ولاية عثمانية (1518م):

عقب الأحداث المؤلمة التي وقعت في تلمسان قرر خير الدين مغادرة الجزائر، إلا أن أهلها ألحوا بإصرار على بقائه، وكتب اعيان الجزائر وعلماءها وشيوخها كتابا حمله وفد منهم يطلبوا من الباب العالي الانضمام إلى الخلافة العثمانية والحماية لها، وبعد موافقة السلطان العثماني تم تعيين خير الدين حاكما للجزائر ومنحه لقب بايلرباي. كما ارسل مع الوفد أسطولا بحريا كبيرا يحمل أربعة آلاف مقاتل وكمية ضخمة من العتاد والسلاح.

ويعتبر هذا التاريخ أي عام 1518م بداية انضمام المغرب الأوسط إلى الدولة العثمانية واتحاده معها ليس بحد السيف كما حدث في بلاد المشرق بل بطلب من الجزائريين الذين سيمثلون طليعة العالم الاسلامي في جهادهم للنصارى في حوض البحر المتوسط وبلاد المغرب الاسلامي لمدة ثلاثة قرون.

قائمة المصادر والمراجع:

- **جلال يحي**، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الجديد، الاسكندرية، 1999م.
- **مبارك بن محمد الهلالي الميلي**، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثالث، مكتبة النهظة الجزائرية، الجزائر، 1964م.
- **عبد اللطيف الصباغ**، تاريخ أوروبا الحديث، 2011م، نشر الكتروني (Books Library. Net/a3749 Download)
- **محمد العروسي المطوي**، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، 1982م.
- **المدني، أحمد توفيق**، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر اسبانيا(1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1976.
- **عزيز، سامح التر**، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة : محمود علي عامر، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1989م.
- **إسماعيل أحمد ياغي**، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، 1998م.
- **محمد الصلابي**، الدولة العثمانية؛ عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الاسلامية، الطبعة الاولى 2001م.

المحاضرة الثالثة

التنظيمات في الجزائر خلال العهد العثماني

نظام الحكم:

أولا- مرحلة البايلاربيات (1518-1587م):

ابتدأت من تولي خير الدين الحكم وإعلانه دخول الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية ونال نظير ذلك لقب الباي لارباي "أمير الأمراء". لتمد هذه المرحلة إلى سنة 1587م، وتعاقب على حكمها 12 أميرا كحسان باشا وصالح باشا وعراب باشا.

ثانيا – مرحلة الباشوات (1587–1659م) :

تداول على حكم الجزائر خلالها ثلاثون حاكما يتقدمهم دالي أحمد باشا (1587–1589) ويتذيلهم في الترتيب إبراهيم باشا (1656–1659م)، وكان هؤلاء يعينهم الباب العالي لحكم البلاد مدة ثلاث سنوات –عهدة واحدة غير قابلة للتجديد. تميزت هذه المرحلة بكثرة الاضطرابات والفوضى مما ساعد الأغوات على الاستيلاء على الحكم تدريجيا عن طريق مجلس الأوجاق الذي يرأسه عادة أحد الاغوات وبذلك ابتدأت المرحلة الثالثة في تاريخ نظام الحكم بالجزائر بعد مرحلة الباشوات التي التي امتدت لـ72 سنة.

ثالثا – مرحلة الأغوات (1659–1671م):

تعتبر أقصر مرحلة مقارنة بالمراحل الأخرى حيث لم تستمر إلا لـ12 سنة، أشرف عليها أربعة أغوات انتهجوا في تسيير شؤون البلاد سياسة مستقلة عن الدولة العثمانية إلا أن ذلك لم يغير في الأوضاع شيئا حيث كثرت الفتن وزادت الاغتيالات ومن ضحاياها علي آغا الذي كان مقتله سببا في العزوف عن تولي هذا المنصب مما دفع بمجلس الديوان إلى نظام الدغاوية وتعويضه بنظام أكثر استقرارا وذلك باستحداث نظام جديد هو نظام الدايات.

رابعا– مرحلة الدايات (1671–1830م):

تعتبر أطول مرحلة حكم في نظام الحكم بالجزائر حيث امتدت لـ159 سنة، تداول على تسيير شؤون البلاد بها حكام منتخبون لهم مطلق الصلاحيات وصل عددهم 29 دايا، ولا يكبح من نفوذهم سوى مجموعة من الموظفين الكبار والقادة العسكريين

الذين كانوا يجتمعون عادة بالديوان لتقديم النصح والمشورة لهم. ومما تميزت به هذه المرحلة الاستقلال الذاتي في تسيير شؤون البلاد داخليا وخارجيا. كما عرفت الكثير من من التكالب والتآمر الخارجي على الجزائر خاصة من فرنسا.

التنظيم الاداري:

ظهرت بوادر التنظيم الاداري للجزائر خلال فترة مبكرة جدا من الحكم العثماني لها بعد أن تولى عروج الحكم سنة 1516م وبسط نفوذه على المناطق المجاورة لمدينة الجزائر حيث قسم البلاد إلى قسمين؛ القسم الغربي بقيادته ومقره مدينة الجزائر والقسم الغربي تحت قيادة أخيه خير الدين ومقره مدينة دلس.

بعد استشهاد عروج خلفه خير الدين الذي قام بتنظيم الدولة واستعان في تسييرها بعناصر محلية، فعين ابن القاضي واليا على القطاع الشرقي وجعل مركزها ببلاد القبائل الكبرى وعين محمد بن علي واليا على الناحية الغربية.

عقب اتساع المجال الجغرافي للبلاد شرقا وغربا وجنوبا لجأ حسن باشا بن خير الدين إلى تقسيم البلاد إلى أربع ولايات؛ دار السلطان وبايليك الشرق وبايليك الغرب وبايليك التيطري.

أولا- دار السلطان :

تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا ومن ساحل البحر التموسط شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا كما تظم اقليمي الساحل ومتيجة وبعض الامتدادات في بلاد القبائل. أما عاصمته فمدينة الجزائر، أهم مدنه بالاضافة الى مدينة الجزائر؛ البليدة و القليعة وشرشال ودلس.

تخضع دار السلطان لحاكم الجزائر مباشرة ويساعده الكثير من الموظفين السامين مثل الخزناجي وآغا العرب وبيت المالجي وخوجة الخيل ووكيل الحرج. يعمل تحت سلطة هؤلاء العديد من الموظفين الثانويين كالكتاب وجماعة الخوجات كخوجة القصر وخوجة الجمارك وخوجة الغنائم..

ثانيا – بايليك الشرق :

- تأسس عام 1567م ومقره مدينة قسنطينة، أما أهم مدنه بعد قسنطينة فهي عنابة وبسكرة وبجاية وجيجل وتبسة. يعتبر أهم وأكبر البايليكات من جميع النواحي فقد ساهم وفرة انتاجه وتنوعه يحتل الصدارة على مستوى الإيالة في قيمة الدنوش التي تدفع لبيت المال، تعاقب على حكمه 46 بايا، أولهم رمضان توشلاق (1574/1567)وآخرهم أحمد باي (1837/1826).

ثانيا– بايليك الغرب :

– تأسس عام 1563م وهو أقدم بايليك من حيث التأسيس وثاني بايليك من حيث الأهمية والمساحة. يتميز بطابعه العسكري نظرا للظروف الامنية التي شهدها. اتخذ العثمانيون أكثر من عاصمة للبايليك (مازونة ثم معسكر ثم وهران ثم مستغانم ثم معسكر ثم وهران).

يضم البايليك عدة مدن مهمة وهي ؛ وهران وتلمسان ومعسكر ومستغانم وملیانة وتنس.

ثالثا– بايليك التيطري :

يحتل موقعا وسطا بين البايليكات الاخرى. حيث يتصل من ناحية الشمال بدار السلطان ومن الشرق بمنطقة الزاب ومن الجنوب ببلاد الجريد ومن الغرب ببايليك الغرب، يمتد شمالا إلى جبال بني صالح وبني مسعود وموزايا، ومن الشرق يشمل بني سليمان وعريب وونوغة ومن الغرب قيادة جندل وأولاد خليف وأخيرا من الجنوب يضم الاراضي الواسعة المحصورة بين بين جبال الصحاري وبين الأغواط.

تأسس العام 1548م، وهو أصغر البايليكات مساحة بامتداد يقدر بحوالي 260كم من الشمال إلى الجنوب و170كم من الشرق إلى الغرب. كما يعتبر أفقر البايليكات وأقلهم أهمية والأكثر ارتباطا بالسلطة المركزية، ونظرا لقربه من دار

السلطان كانت باياته تحت المراقبة المباشرة للباشا احترازا مما قد يشكلونه من خطر على الحكم. تداول على تسييره 25 بايا، كان اولهم رجم باي وآخرهم مصطفى بومزراق.

جهاز الحكم:

يتكون مما يلي:

1-الحاكم: وهو يمثل السلطة في البلاد وقد تغير لقبه وفق المراحل السياسية التي مرت بها البلاد (البايلرباي- الاغا- الباشا- الداي).

2-الديوان: وهو نوعان:

1.2-الديوان الخاص: يمثل الوزراء وكبار رجال الدولة يضم كل من:

-الخزناجي: يتولى خزينة الدولة وهو الوحيد الذي بحوزته مفاتيح بيت المال، يقوم بتسليم المداخيل ويدير شؤون السكة ويشرف على الإنفاق.

-خوجة الخيل: يشرف على أملاك الدولة ويجمع الضرائب من البايلكات، كما يمون دار السلطان بالمواد الغذائية الضرورية.

-الآغا: هو القائد البري، دوره الحفاظ على الأمن، يتلقى أوامره مباشرة من الحاكم.

-وكيل الحرج: يتولى شؤون البحرية والخارجية، حيث يراقب النشاط البحري ويشرف على أعمال الترسانة البحرية وينظر في توزيع الغنائم ويتواصل بقناصل ومبعوثي الدول الاوروبية.

-البيت المالجي: يراقب الأملاك والثروات التي تعود إلى الدولة نتيجة المصادرة أو انعدام الورثة كما يشرف على أملاك الأوقاف عموما.

2.2-الديوان العام: يتكون من الكتاب وكبار الضباط إضافة إلى حاشية الحاكم.

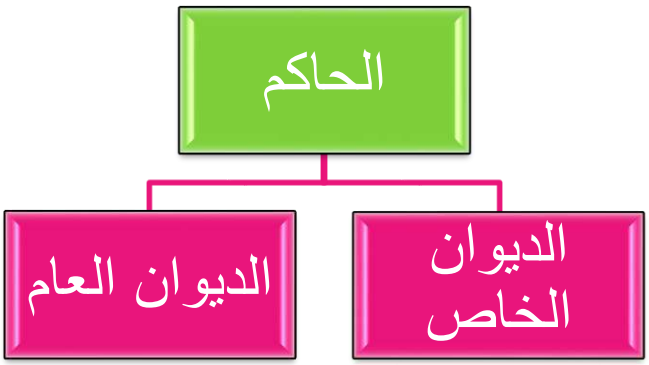

النظام الاداري بالبايليكات الثلاث:

يشرف على البايليك بايا معينا من طرف الداي، وهو أكبر منصب إداري بعد الموظفين الاربعة الكبار بديوان دار السلطان، يتمتع الباي بصلاحيات سياسية وعسكرية واسعة في تسيير مقاطعته بمساعدة عدد من العمال المشكلين للديوان المحلي للبايليك وهم:

1-الخليفة:

يشرف على شؤون المدن والقرى وتمتد سلطته على كامل البايليك يخدمه عدد من القادة وتحت تصرفه كل القوات النظامية لاستخلاص الضرائب وفرض الطاعة على الاهالي.

2- الخزناجي: يدير كل المصالح المالية ويراقب عملية تحصيل الضرائب ويتولى تسديد مختلف أوجه الانفاق بالبايليك.

3- آغا الدايرة: يعرف أيضا بآغا العرب أو الباش آغا أو خوجلة الخيل وهو قائد الحامية العثمانية المستقرة بالبايليك، يتلقى أوامره مباشرة من الداي ويقوم بعزل أو إعدام او تغيير البايات الجدد عندما تصدر له الاوامر بذلك، وهو قائد فرسان المخزن ويمكن أن يقود حملات تأديبية ضد القبائل المتمردة.

4- قائد الدار: يشرف على الأمور الادارية وعلى شرطة المدينة ويدفع أجور المليشيات ويرأس مخازن الحبوب كما له سلطة قضائية أحيانا.

كما يوجد موظفين آخرين أقل أهمية لا يستدعون لحضور ديوان البايليك إلا عند الضرورة وعند التكليف بمهام معينة من طرف الباي كشيوخ القبائل وحاملي الألوية وحاجب الباي.

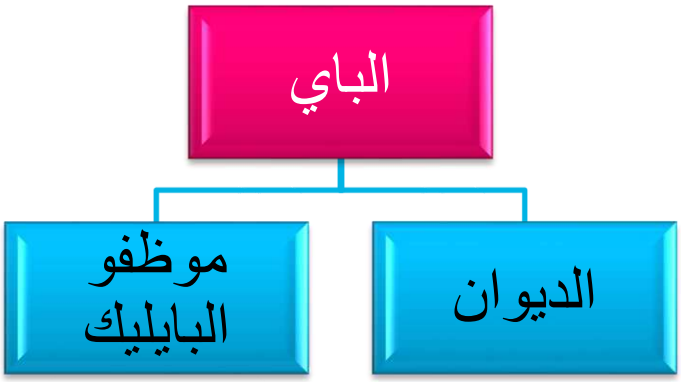

الحياة الاجتماعية :

1-الحضر: وهم سكان المدن والذين يتشكلون من الأتراك والكراغلة والأغنياء وأهل الذمة إضافة إلى الاندلسيين والأشراف.يتمركزون خاصة في بالمناطق الساحلية حيث تتوفر مختلف المرافق.

2-البرانية: وهم البدو غير المقيمين بالمدن أصلا، نزح بعضهم من المناطق الداخلية نحو المدن كالبربر والمزابية والافارقة، ورغم دورهم الاقتصادي المهم إلا انهم كانوا مهمشين كثيرا.أما من استقروا بالريف فكان يغلب على نشاطهم الفلاحة.

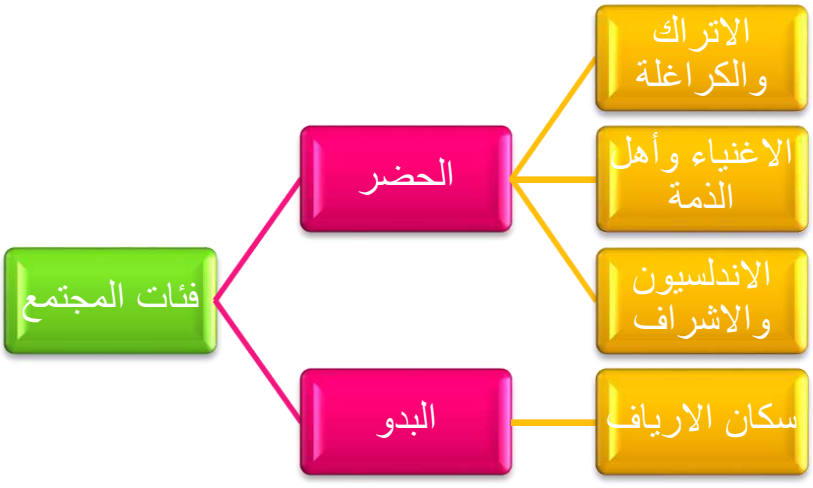

- العادات الاجتماعية:

هذه العادات تميز بها سكان المدن خاصة، ومنها احياء ليلة القدر وختم صحيح البخاري والاحتفال بالمولد النبوي الشريف وكان يصاحب هذه المناسبات ايقاد الشموع وإنشاد التواشيح والتزين والتطيب.

كما عرف المجتمع عادات اخرى كثيرة ومنها توديع واستقبال الحجاج واستقبال المنتصرين في الحروب البحرية من رياس البحر السهر في رمضان والقيام بالالعاب البهلوانية وغيرها.

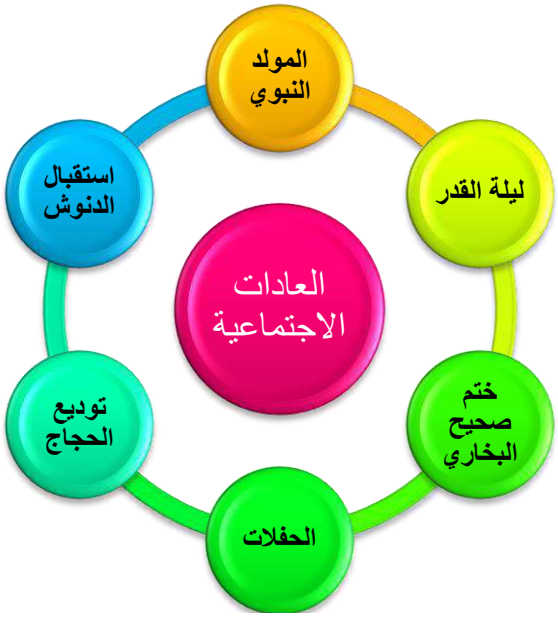

- **عادات أخرى:**

- الحياة الثقافية:

لقد نشطت الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال مؤسساتها الثقافية والتي تمثلت بالخصوص في المساجد والمدارس والكتاتيب إضافة إلى الزوايا والرباطات والمكتبات، كما كان للمؤسسات الخيرية ممثلة خاصة في الأوقاف دور كبير في تنشيط الحياة الثقافية.

- **الحياة الاقتصادية :**

لم يكن النشاط الاقتصادي كبيرا في الجزائر، وكان مقتصرا على بعض النشاطات ومنها الخدماتية التي تقدمها الحمامات والمقاهي، والأنشطة الحرفية ممثلة في حرفة الدباغة والخياطة والصياغة والتعدين وغيرها، إضافة إلى النشاط التجاري الخارجي من تصدير واستيراد والداخلي من خلال الاسواق والحوانيت.

وكان لكل فئة من المجتمع نشاطها الخاص بها، فالميزابية اشتهروا بالعمل في الحمامات والقصابات ومطاحن القهوة وبيع الخضر، واشتهر اهل مراكش بحفر الآبار وبناء المنازل كما نظم بعضهم إلى الجيش. وعمل الافارقة الزنوج في تنظيف المنازل وطلاءها وحفر الآبار وصاعة الأحذية وقرب الماء كما اشتغلوا في الفرق الموسيقية. اما قبائل المخزن فعملوا في تربية الماشية والزراعة والمشاركة الحملات الحربية. بنما كان لليهود دور اقتصادي كبير حيث سيطروا على التجارة الداخلية الخارجية كما تولوا مناصب سياسية وادارية كوظيفة الخزنجي.

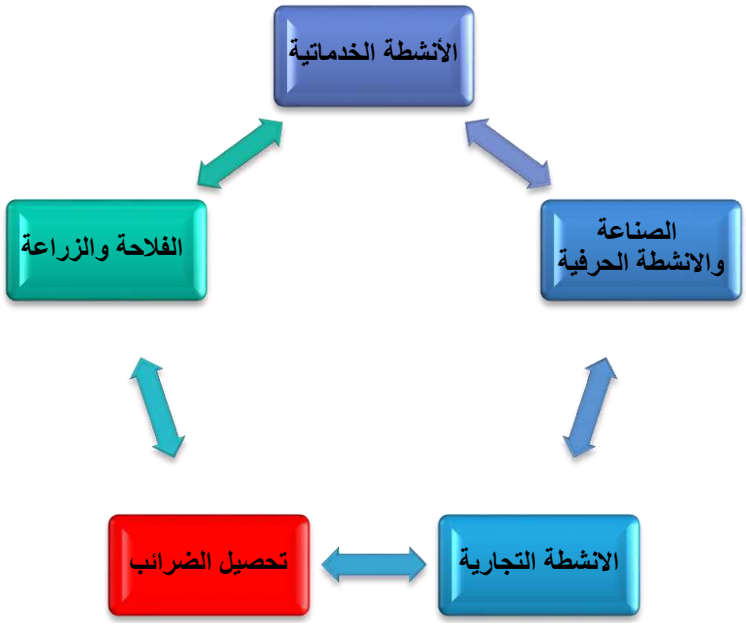

العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية:

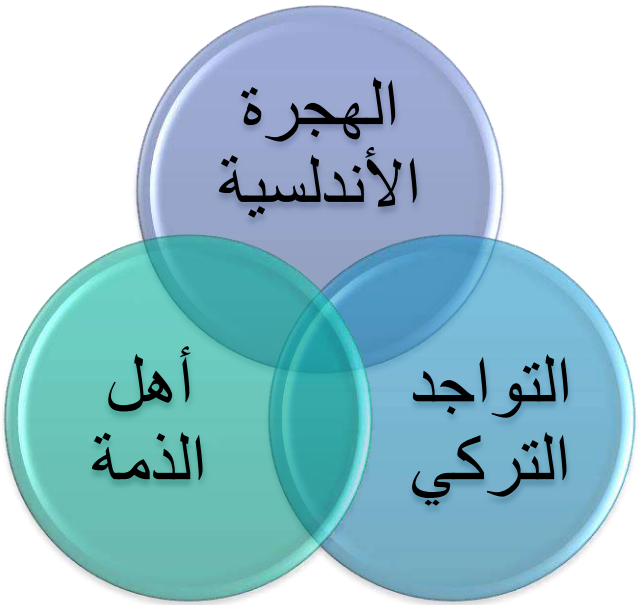

1-الهجرة الأندلسية: تمت هذه الهجرات خلال القرن التاسع وخاصة العاشر، وتمت نحو الجزائر وشرشال وتنس وغيرها، وقد شكل الاندلسيون عنصرا بارزا ومؤثرا لحركيتهم التجارية ولكفاءتهم وخبرتهم وقد طبعوا المدن الجزائرية وخاصة الساحلية بطابعهم المعماري.

2-التواجد العثماني: ربط العثمانيون بقدومهم المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي حيث جاءوا بعادات شرقية في المأكل والملبس فضلا عن مساهمتهم في النشاط المعماري والحرفي.

3-أهل الذمة: لم يكن تأثير أهل الذمة كبيرا، ومع ذلك فقد كانت لهؤلاء السكان عاداتهم وتقاليدهم وعمائرهم، وقد اشتغلوا في الزراعة والبناء والنظافة والطب بل وبعضهم تقلد مناصب سياسية وإدارية حساسة وقد أثروا في المجتمع بشكل أو آخر.

المحاضرة الرابعة

مدخل إلى المدينة الاسلامية

مقدمة

تعتبر المدينة بحق أعظم منجزات الإنسان الحضارية ، وقد عرفها منذ الألف الثالثة قبل الميلاد.

وكان من الطبيعي أن تنشأ في ظل الحضارة الإسلامية طائفة من المدن نخصها بالذكر؛ الكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان وتيهرت وفاس وقرطبة والقاهرة وغيرها.

ولم تكن هذه المن تنشأ اعتباطا بل كان يجري تأسيسها حسب تخطيط مسبق سواء من حيث اختيار الموقع أو التقسيم أو البناء أو التحصين

وقد ازدهرت هذه المدن ووصلت سمعتها وشهرتها إلى أبعد مما وصلت إليه العديد من المدن الحديثة وصارت مضرب الأمثال في مظاهرها العمرانية وأنماطها الاجتماعية ومنا شطها الثقافية والفنية.

مفهوم المدينة :

لغة: لفظة مدينة تعود في الأصل إلى كلمة دين بمعنى القانون (عند الأشوريين والأكاديين) كما وردت كلمة الديّان وهي مرادف للملك أو الحاكم وحتى للقاضي.

كما يثبت التفسير الفقهي هذا المعنى حيث يذكر الإمام أبي حنيفة "أن صلاة الجمعة تختص بها الأمصار دون غيرها وأنه لا يجوز إقامتها في القرى " باعتبار أن المصر" هو ذلك المكان الذي يوجد فيه سلطان يقيم الحدود وينفذ الأحكام".

وقد ورد ذكر لفظ المدينة 17 مرة في القرآن الكريم.

أما اصطلاحا فالمدينة شكل من التجمعات البشرية بالغ الكثافة والتنظيم والتعقيد كما أنها التحام بين مقومات روحية ومعنوية ومكونات مادية مجسدة للأولى ولا يمكن الفصل بينهما. فالقرية هي أيضا تجمع بشري لكن يسيطر عليه البساطة عكس

التجمع الحضري (المدينة) الذي يتصف بالتعقيد. وقد قال ابن خلدون في وصفه للمدن:(..فالمدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير...)

نشأة المدينة الإسلامية:

نزلت رسالة الإسلام ووطدت أقدامها وبزغت بعد ذلك ببضعة قرون فحسب شبكة من المدن العظيمة تمتد من الهند إلى المغرب يتدفق فيما بينها برا وبحرا مختلف أنواع المنتجات فضلا عن جميع أنواع المعارف والأفكار والثقافات.

وتعد المدينة المنورة المرجع الأصلي لنظام المدينة كما تعد عمارتها مرجعا أولا للعمارة الإسلامية لكونها أول مدينة وضع أسس نظامها رسول الله صلى الله عليه وسلم تزامنت مع تأسيس نظام الدولة الإسلامية ونظام الأمة الإسلامية.

وقد كانت قبل الإسلام كما يذكر ياقوت الحموي " مقسمة إلى محلات سكنية منفصلة تسكنها قبائل الأوس والخزرج العربية وقبائل اليهود قريظة والنظير ... وكانت بها أطام...وفي أطراف المحلات أسواق وبها سقائف تجتمع فيها القبائل".

وبالمفهوم الحديث فهي تجمع من نمط ريفي يعتمد في إنتاجه على الزراعة ويمتد في أرض واسعة ضعيفة الكثافة تتخللها محلات سكنية منفصلة.

وكان لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الأثر البالغ في أعادة هيكلة المدينة وفي تغيير معالمها وكانت أول دار للهجرة حيث بدأ تأسيس الأمة ونظام الدولة في الإسلام فأسس مدينة لتجسد ماديا هذه المقومات الروحية والمعنوية وكانت مركز الخلافة وأول عاصمة للدولة الإسلامية ومن خلال الأعمال التي قام بها صلى الله عليه وسلم أصبحت يثرب "سابقا" النموذج الأول للمدينة الإسلامية.

المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

استغل الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم من مكة أرضا غير مبنية ليؤسس فيها مدينته وفق منهجية مسطرة، وكان أول عمل قام به هو بناء المسجد ثم قسم الأراضي إلى خطط، وهي الوحدة العمرانية الأساسية وفق نمط التوزيع القبلي واحتوت هذه الخطط عادة على مساجد صغيرة للصلوات الخمس ومقبرة وبالتالي أخذت الخطط شكلا مصغرا للمدينة ثم باشر عليه الصلاة والسلام بإنشاء سوق كمركز ثان للمدينة ذا طابع اقتصادي وكان عبارة عن مساحة فضاء، ومن المحتمل أنه كان في الجانب الغربي من المدينة "خارجها" وعيّن مصلى لصلاة العيد وغيرها كما خط صلى الله عليه وسلم شوارع وسكك للربط بين التكوينات المعمارية.

كما تم حفر الخندق في الجهة الشمالية"الضعيفة دفاعيا"لتحصين المدينة ونصب خيمة للتداوي في فناء المسجد لدى عودته من غزوة الخندق، هذا بالإضافة إلى تخصيص دار لاستقبال الضيوف والوفود كما أقر عليه الصلاة والسلام إحياء الأراضي الموات إضافة إلى أقراره لنظام الوقف.

شروط اختيار موقع المدينة:

ا- عند بن الربيع (هو شهاب الدين أحمد بن محمد المتوفى سنة 272هـ/885م في كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك)

1- سعة المياه المستعذبة

2- الميرة المستمدة

3- اعتدال المكان

4- جودة الهواء

5- القرب من المرعى والاحتطاب

6- تحصين منازلها من الأعداء والذعار وإعداد سور يحيط بها

ب- عند ابن خلدون:

يرى ابن خلدون في اختيار مواقع المدن وتخطيطها :

1- أن تحاط بسور يدفع المضار

2- أن تحتل موضعا ممتنعا من الأمكنة أو على نهر أو باستدارة بحر

3- مراعاة اتخاذ الموقع الذي يتمتع بطيب الهواء للسلامة من الأمراض

4- سهولة جلب الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائه عيون عذبة

5- طيب المراعي لسائمتهم

6- مراعاة المزارع فإن الزر وع هي الأقوات

شروط إنشاء المدن:

يذكر ابن الربيع في شروط إنشاء المدن ما يلي:

1- أن يسوق إليها الماء دون مشقة

2- أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق

3- أن يبني فيها جامعا للصلاة ليقرب على جميع أهلها

4- أن يقدر أقواتها بكفايتها لينال سكانها حوائجهم من قرب

5- أن يميز قبائل سكناها بأن لا يجمع أضدادا مختلفة متباينة

6- إن أراد سكنها فليسكن أفسح أطرافها وأن يجعل خواصه كنفا له من سائر جهاته

7- أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة

8- أن ينقل إليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة لسكانها.

التكوينات المعمارية في المدينة الإسلامية:

يتكون مخطط المدينة الإسلامية من مباني رئيسية تشكل الهيكل المادي للمدينة.

1- المسجد: هو أول ما يشيد بالمدينة ويمثل نقطة جذب وتوحيد لأطراف المدينة ومن خلال موقعه المركزي يتم تقسيم أراضي المدينة وتنظيمها.

2- الخطة: وهي الوحدة العمرانية وبمجموعة هذه الوحدات تتشكل المدينة، تتكون من مجموعة من المساكن التي تلتف حول المركز(الخطة)الذي هو عبارة عن أرض فضاء غير مبنية في الغالب يستغل جزء من هذا الفضاء لبعض منشآت الخطة كالمسجد والمقبرة ومرابط الإبل، أما دور الخطة فتلتف كل واحدة حول مركزها وهو فناء الدار.

وبالمحصلة تتكون لدينا صور مركزية متدرجة من الخلية الأولى وهي الدار إلى الوحدة ثم الخطة فالمدينة(الهيكل العام والشامل).

3- المسالك والطرق : هي العنصر الرئيسي الثالث في تشكيل هيكل المدينة، وهو الشريان الذي يوصل بين قلبها وبقية أطراف جسدها فتنتظم بذلك حركتها وهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

أ- الشوارع الرئيسية : وهي المسالك الأهم للمدينة التي تربطها بالمناطق المجاورة.
ب- الطرق الفرعية : متوسطة الحجم دورها يتمثل في الانتقال من الشوارع الرئيسية إلى الدروب والأزقة والتي تؤدي إلى الخطط.
ج- الدروب والأزقة: وهي في معظمها غير نافذة صغيرة المقاييس، دورها ربط الخطة بالطرق الفرعية فالشارع الرئيسي(تتوغل داخل الخطة).

4- الأسوار: تبنى بسمك معلوم وارتفاع محدد وهي إضافة إلى الخنادق عبارة عن مباني دفاعية سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم دورها:

أ- تحقيق الأمن والاستقرار وحماية المدينة
ب- رسم حدود المدينة (الفراغ) القابل للتعمير
ج – تحقيق الحرمة(الانفتاح نحو الداخل والتوجه نحو السماء "نفاذ رأسي")

5- الرحبات والميادين: يقصد بالميادين الفراغات غير المبنية والتي أخذت اسم الرحبة في المدينة الإسلامية وتعددت وظائفها:

- متنفس للمدينة وراحة للرؤية
- أهم مجالات اللقاء والتبادل الإعلامي
- المجال الملائم لكل الممارسات الجماعية
- أقيمت فيها الأسواق
- اتخذت كمصليات
- استعملت للاستعراضات العسكرية واللقاءات الثقافية

المدن الإسلامية الأولى:

ظهر في صدر الإسلام العديد من المدن أهمها البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وهي تتشابه إلى حد كبير مع تخطيط المدينة المنورة.

- البصرة: بنيت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام 14هـ ارتبط تأسيسها بالفتوحات الإسلامية في بلاد العراق وفارس وكان لموقعها أهمية بالغة حيث قال عنها عمر رضي الله عنه: (هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب). بنيت في بداية عهدها بالقصب على غرار الكوفة.

- الكوفة: مصرت عام 17هـ في خلافة عمر رضي الله عنه وكان لاختيار موقعها اعتبارات اجتماعية وعسكرية واقتصادية وكان أول ما اختط فيها سعد بن أبي وقاس رضي الله عنه المسجد وهو مركز المدينة ثم دار الإمارة، وقد تم توزيع الخطط وفق التركيب الاجتماعي والمطابق لنظام تقسيم الجيش إلى وحدات قبلية.

وقد بنيت الكوفة في أول الأمر بالقصب فلما شب فيه الحريق أعيد بناءها باللبن أو الحجارة.

وقد حدد الخليفة عمر اتساع الشوارع "الأزقة" بـ7 أذرع كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر بأن تتوسط كل خطة ساحة أو رحبة طول ضلعها 60 ذراعا.

وكان عرض شارعها الأعظم كما يذكر الرواة 60 ذراعا وما سواه 20 ذراعا وعرض كل زقاق 7 أذرع وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمرابط خيلهم ومقابر موتاهم.

أما عن الميادين فإضافة إلى الرحبة الرئيسية والتي سميت فيما بعد بالميدان المركزي حيث يوجد المسجد الجامع ودار الإمارة، كان هناك-كما أسلفنا- رحبات الخطط التي كانت عبارة عن ساحات تمارس فيها مختلف النشاطات (استعراضات الجند واللقاءات الثقافية) كما استعمل جزء منها كمقبرة.

الفسطاط: تأسست عام 21هـ في خلافة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقد خضعت لنفس الخطة التنظيمية للمدن الإسلامية الأولى وقد اختط عمر للمسجد ثم للقبائل حواليه.

وللعلم، فإن هذه المدن لم تأخذ شكلها النهائي والتام إلا في عهد الخلافة الأموية.

لا يمكن دراسة المدينة الإسلامية باعتبارها مجرد نسق معماري أو تراث من الآثار ينتمي إلى الماضي، إذ أنها تعبر عن مجموعة من القيم وتظل عنصرا هاما من عناصر الذاتية الثقافية للشعوب المسلمة ومن ثم وجب الحفاظ على هذا التراث

وإقناع السلطات لصونه قبل أن يندثر باعتباره مستهلك تافه القيمة خاصة إذا كان هناك مغنم من استبدال الجديد بالقديم.

قائمة المصادر والمراجع:

- مصطفى عباس الموسوى، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، 1983م.
- هشام جعيط، الكوفة، نشأة المدينة الغربية الاسلامية، برنامج كاتب كتاب، الطبعة الأولى، الكويت، 1986م.
- أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة؛ لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1990م.
- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، 1988م.
- عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي، الطبعة الاولى، 1994م.
- المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013م.
- ميادة عبد الملك محمد صبري، "تخطيط وعمارة المدينة الاسلامية"، مجلة كلية التربية، العدد 12، واسطن العراق.
- علي سيد عباس،"أثر البعد البيئي على تخطيط المدنو العمارة العربية الاسلامية"، مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع، 2007م.
- ضياء نعمة محمد وعماد مهدي حسن،" أثر العوامل الاجتماعية في تخطيط وعمارة المدن العربية الاسلامية"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية، العدد 26، جامعة بابل، نيسان 2016م.
- خالد محمد عزب، تخطيط وعمارة الاسلامية، كتاب ضمن: مجلة كتاب الأمة، العدد 58، ربيع الأول 1418هـ، الطبعة الأولى، السنة 17.

- محمد زياد ملا،"المعايير التخطيطية لطرقات المدينة الاسلامية (الماضي – الحاضر – المستقبل)"، المؤتمر العلمي الثاني لهيئة المعماريين العرب (المعايير التخطيطية للمدن العربية)، طرابلس، ليبيا، من 6 إلى 8 ماي 2001م.

المحاضرة الخامسة

التطور العمراني لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

التطور العمراني لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الموقع الجغرافي والفلكي: تقع مدينة الجزائر شمال الجزائر عند السفح الشرقي لجبل بوزريعة، تقوم على ربوة تزيد ارتفاعا كلما توجهنا غربا، أما فلكيا فتقع على خط عرض 36.46° شمالا وخط طول 3.3° شرقا. وهي تقع في منطقة معتدلة حيث يسودها مناخ البحر الأبيض المتوسط.

تأسيس ونشأة مدينة الجزائر:

تأسست المدينة خلال القرن السادس قبل الميلاد من قبل الفينيقيين، ليحتلها الرومان بعد ذلك، وفي سنة 429م احتلها الوندال الذين مكثوا فيها إلى غاية 442م ثم وقعت تحت السيطرة البيزنطية.

فُتحت من قبل المسلمين على الأرجح ما بين سنتي 88 و95 للهجرة في ولاية موسى بن نصير. أعاد تأسيسها بلكين بن زيري بن مناد عامل الفاطميين، إلى جانب مدينتي مليانة والمدية، وجلب إليها قبيلة بني مزغنة الصنهاجية وكان ذلك عام 349هـ.

في العام 475هـ دخلت تحت حكم المرابطين ليحل محلهم عام 548هـ الموحدون. في سنة 626هـ وقعت تحت حكم الحفصيين. أُلحقت بتلمسان الزيانية عام 712هـ ثم حكمها المرينيون ثم الثعالبة، وفي سنة 924هـ/1518م دخلت تحت حكم العثمانيين، وبقت كذلك إلى غاية الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830م.

تسمية المدينة:

كانت مدينة الجزائر خلال العهد الفينيقي معبرا بحريا، وقد سُميت بـ"إكوسيم" (Ikosim)، ومعناها جزيرة الشوك أو طيور البحر. خلال العهد الروماني والبيزنطي حُوِّر اسمها إلى إكوزيوم (Icosuim). اختطها بلكين بن زيري وسميت حينها بـ"جزائر بني مزغنة" وأيضا "جزائر الثعالبة". خلال العهد العثماني سُميت بـ"جزائر الغرب" وأيضا "المحروسة" و"دار الجهاد".

التطور العمراني لمدينة الجزائر قبل العهد العثماني :

بنيت الجزائر عند شاطئ البحر على قاعدة واسعة نسبيا في شكل نصف دائري على هضبة شديدة الانحدار الذي يصل إلى نحو 15 %، يبلغ قطرها نحو ميل ونصف. كانت في الأصل عبارة عن سوق بسيطة يرتادها تجار القرى المجاورة ثم ازدهرت لتعرف توافد البحارة عليها سواء من الاندلس أو إفريقيا أو بلاد المشرق.

خلال القرن الثالث الهجري ذكرها اليعقوبي (ت. 265هـ) في كتاب البلدان، وكانت تقع ضمن قبيلة صنهاجة كما قال ابن خلدون، ومزغنة كانت بطنا من بطون صنهاجة، ليأتي ذكر الجزائر لدى ابن الخطيب(327هـ)، خلال تلك الفترة أقطع الفاطميون المدينة لبني مزغنة، وفي نهاية القرن الثالث الهجري جدد بلكين بن زيري بناء المدينة وكثر عمرانها حيث أصبح النشاط البحري التجاري رائجا جدا حيث يجوب الأندلسيون سواحل المغرب الاسلامي رواحا و إيابا، ومن المؤكد أن سفنهم كانت ترسو بميناء الجزائر.

وقد نالت المدينة أهميتها بسبب نشاطها التجاري الكبير، وتذكر المصادر أن مساكنها خلال العهد الموحدي كانت تتشكل من طابق واحد ومسقوفة بالقرميد الأخضر على غرار المساكن الأندلسية وربما المحلية، ومع ازدهار التجارة زاد العمران وصار للأثرياء دورا جميلة.

في العام 921هـ/1515م زارها حسن الوزان وذكر أن بها أربعة آلاف مسكن، ذات سور متين وأسواق منسقة وبها العديد من الفنادق والحمامات، يتوسطها جامع ممتاز ويحيطها عدد من البساتين والأشجار المثمرة.

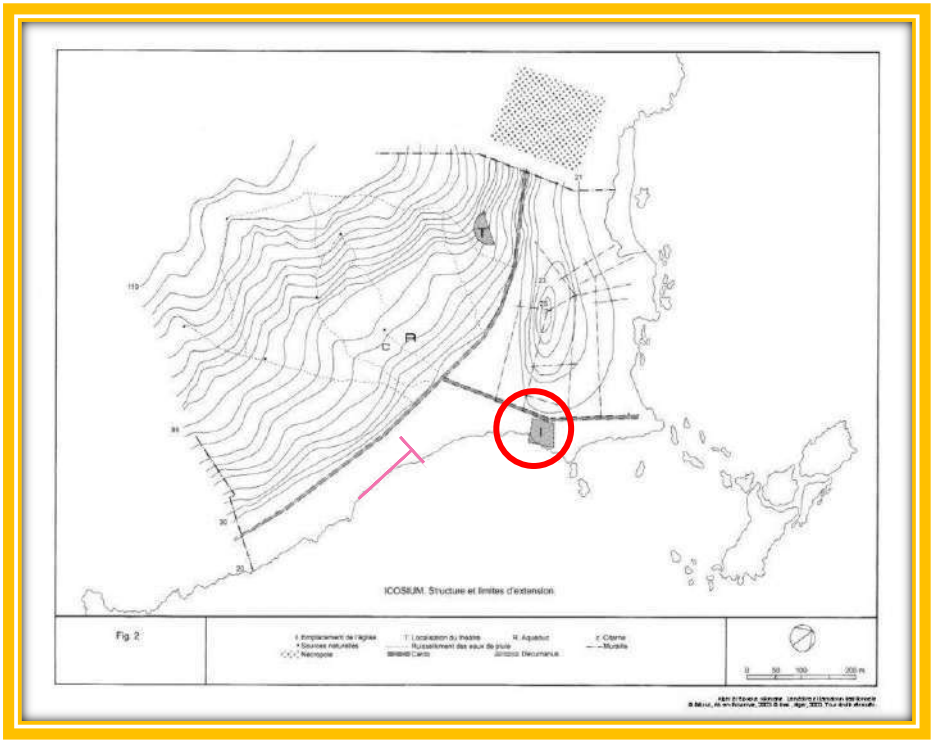

مدينة الجزائر في العهد الروماني

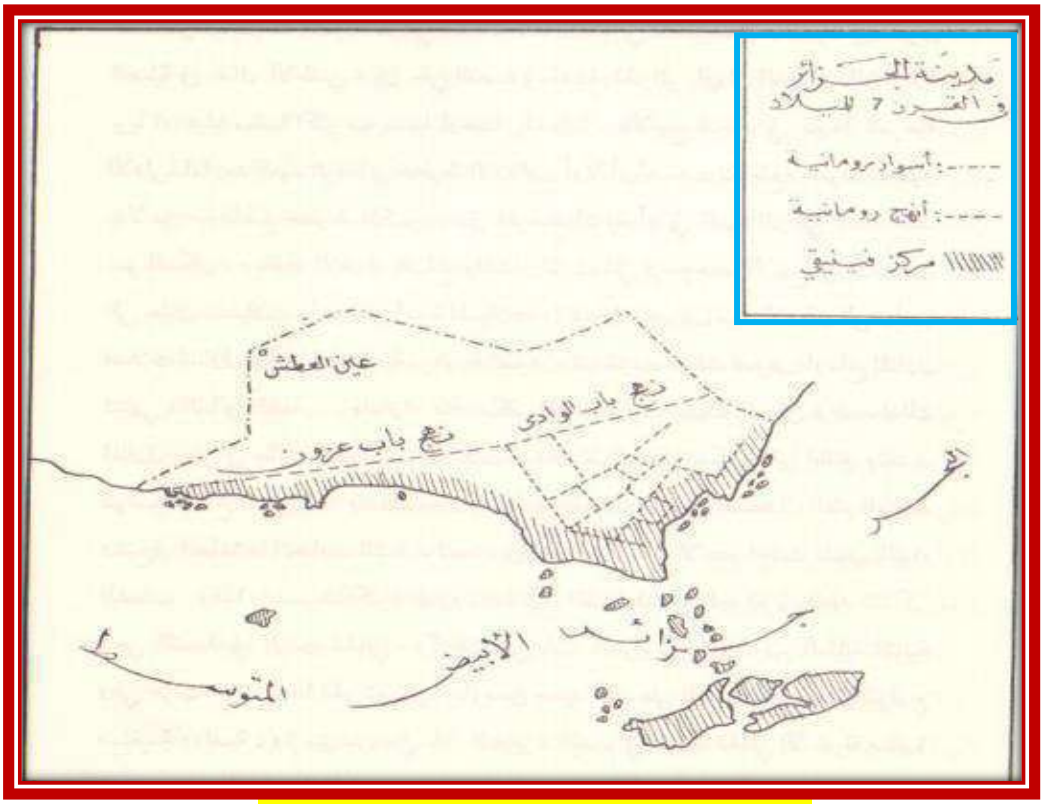

مدينة الجزائر خلال القرن السابع ميلادي

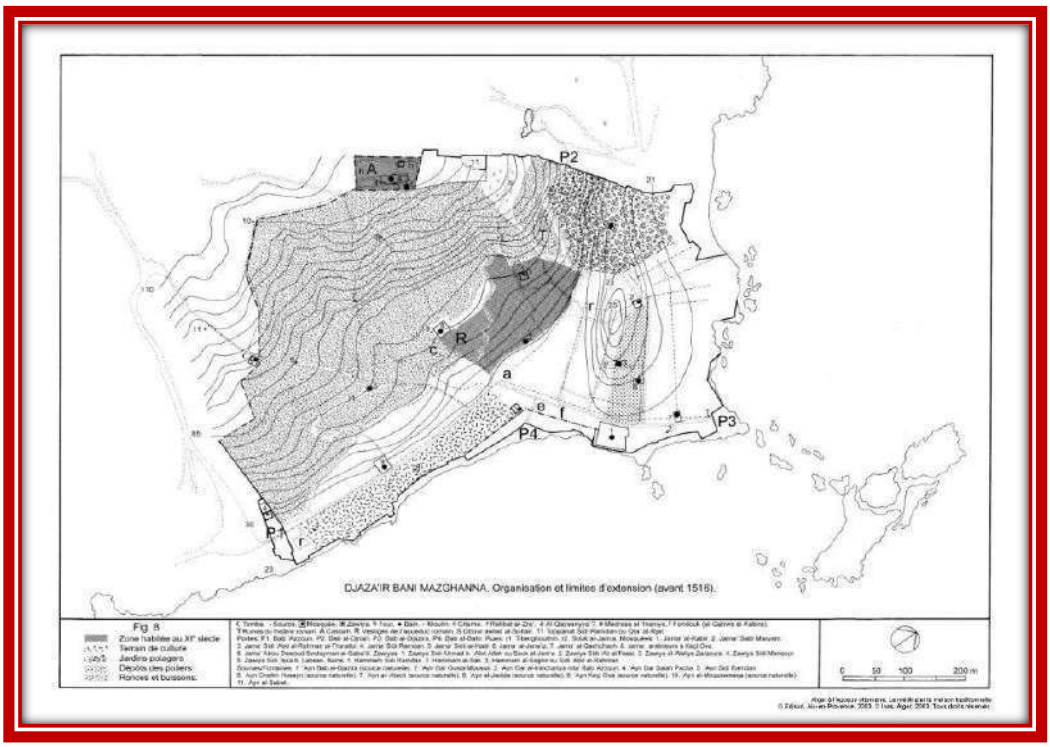

مدينة الجزائر في الفترة الاسلامية وقبل 1516م

تخطيط المدينة في العهد العثماني:

تمهيد:

كان بمدينة الجزائر قصبتان؛ قصبة بلكين وقصبة عروج، وقد بنيت قصبة العثمانيين (قصبة عروج) في موضع أعلى من القصبة الصنهاجية (قصبة بلكين)، حيث دفع عامل الأمن وازدياد السكان عروج بتوسيع المدينة نحو الغرب حيث المرتفع (الجبل).

وحسب مخطوط ابن المفتي حسين بن رجب الشاوش المكتوب ما بين سنتي 1753 و1755م؛ فإنه كان هناك حيان يعودان إلى سنة 400هـ؛ يحتل الحي الأول المساحة التي شغلها فيما بعد قصر السلطان "الجنينة" ومسجد كتشاوة، بينما يتشكل الحي الثاني من مسجد سيدي رمضان وحمامه وطاحونة للقمح وفرنين ومحلات للخضر وورشات لصناعة الحايك، وكلها كانت تشكل القصبة القديمة – قصبة بلكين. ورغم أن ابن المفتي لا يذكر المساكن إلا أنه من المحتمل أنها كانت موجودة بداخل هذين الحيين أو أنها كانت تحتل الفضاء الواقع بين القصبة القديمة والبحر.

ما بين القرنين التاسع والسادس عشر الميلادي عرف النسيج العمراني تطورا معتبرا من خلال تعدد المنجزات المعمارية، حيث يذكر حسن الوزان وجود أربعة آلاف مسكن في بداية القرن السادس عشر، ليصل هذا العدد إلى 12 ألف مسكن مع نهاية القرن.

ويذكر أن عروج شرع في بناء القصبة بالأموال التي جمعها من تلمسان، وقد استمر العثمانيون في بناء القصبة حتى تاريخ 1590م، وجلبوا لها الحجارة من محجر باب الوادي إضافة إلى مقلع تامنفوست. ولعل من الأسباب التي دفعت العثمانيين إلى توسيع المدينة نحو المرتفعات هو الخوف من القرصنة الأوروبية.

النسيج العمراني لمدينة الجزائر:

كانت مدينة الجزائر مقسمة إلى قسمين:

1. القسم الأسفل "الوطا": وهو القسم الذي يضم أغلب الهياكل السياسية والإدارية والاقتصادية.
2. القسم الأعلى "الجبل": وهو المنطقة السكنية.

مدينة الجزائر عام 1578م

أولا- مركز المدينة :

يقع في القسم الأسفل من المدينة، وكان يضم بالإضافة إلى المساجد الثلاثة الكبيرة؛ الجامع الكبير والجامع الجديد وجامع السيدة، ودار الإمارة "الجنينة" وجميع المراكز الرئيسية الإدارية والسياسية والعسكرية، إضافة إلى مساكن الطبقة الحاكمة وكبار الضباط والثكنات الإنكشارية التي تضم آلاف الجنود.

وكان الجامع الكبير يؤدي دورا مهما وسط المدينة وكان بجواره تقام الأنشطة الاساسية مثل سوق الصاغة وتجارة المنسوجات وغيرها.

ثانيا- الأحياء السكنية:

قدر رايموند(Raymand) عدد الاحياء في نهاية العهد العثماني بـ50 حيا، بينما قدرها سوفاجي (Seffadji) بـ70 حيا خلال القرنين 18 و19م، بينما تشير الوثائق إلى وجود 82 حيا ما بين سكني وتجاري، ومعلوم أن الحي يعرف محليا بـ"الحومة" وأحيانا بـ"الحارة".

وقد كانت الأحياء تستمد تسميتها من المعالم الدينية (مسجد – زاوية) أو مدنية (حمام) أو مرفق عمومي (سبيل – فرن– بئر) وأحيانا من خصوصية طبوغرافية للمنطقة، كما أن أسماء الأحياء السكنية أو الحرفية قد تتغير بتغيير الحرفة أو المكان، وقد يتغير اسم الحي ببناء معلم جديد فيحمل الحي اسمه، كما قد يحمل الحي غير المعروف باسم مميز اسم شخصية بارزة انتقلت للسكن به.

وكان كل حي يضم مسجدا وسوقا صغيرة "سويقة" وحوانيت، إضافة إلى حمام في الغالب، كما يتوفر على فرن لطهي الخبز والحلويات وعين أو سبيل للتزود بالماء، وبالمحصلة فكل حي يتوفر في الغالب على جميع المرافق الضرورية مما لا يضطر السكان إلى الذهاب إلى وسط المدينة الذي يكون بعيدا للغاية، وقد لا تتوفر بعض الأحياء على جميع المرافق كالحمام مثلا فتتوجه إلى الحي المجاور القريب.

وكان كل حي يتكون من مجموعة من المساكن تتخللها شوارع وطرقات تغلق من خلال أبواب، ومن مسجد يكون دائما داخل حدود الحي، ومجموعة من المرافق، وهي بالتالي تعتبر أحياء مكتفية ذاتيا ومتكاملة تربطها صلات قوية.

ثالثا– الشوارع والطرقات:

1. شارع باب الوادي – باب عزون: يربط ما بين البابين، وهي التي يوجد بها السوق الكبير، ويعتبر هذا الشارع أوسع الشوارع بعرض وصل إلى 8 م أحيانا، وكان يتواجد على طول الشارع محلات تجارية وحرفية.
2. شارع باب الجزيرة: يوجد في النهاية الجنوبية للقسم الاسفل من المدينة حيث يربط باب الجزيرة وبمحور الشارع السابق، وكان شارعا على قدر كبير من الأهمية حيث يستعمل في نقل البضائع من الميناء(وإليه) إلى المنطقة التجارية.

وهذان الشارعان هما الأهم في المدينة والأوسع تجاريا ويشكلان المحورين للقسم الأسفل من المدينة ويتميزان بالطول وبالاستقامة.

3. طريق باب الوادي – القصبة: ينطلق من شمال المدينة قرب باب الوادي ويتجه غربا نحو أعلى المدينة بطول 650م وبعرض يتراوح ما بين 3 و6م وهو يسير تقريبا بموازاة السور الشمالي للمدينة.

4. طريق باب الجديد: يربط مركز المدينة التجاري بباب الجديد بطول 500م وبعرض أقل من 3م، ويكاد هذا الطريق يتقاطع مع طريق باب الجزيرة.

كما توجد شوارع أخرى ثانوية ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بالشوارع الرئيسية، وبالتالي تكون تسير عمودية عليها أو موازية لها.

وبالإضافة إلى الشوارع؛ نجد الدروب الموصلة إلى الأحياء والمساكن وهي كثيرة، حيث تقدر مساحتها بـ45.7 بالمائة، وتزداد كثافة في القسم الأعلى من المدينة بنسبة تقدر بنحو 59.9 بالمائة. وكانت تسمية الشوارع والطرقات مرتبطة بالعديد من العوامل على غرار الأحياء.

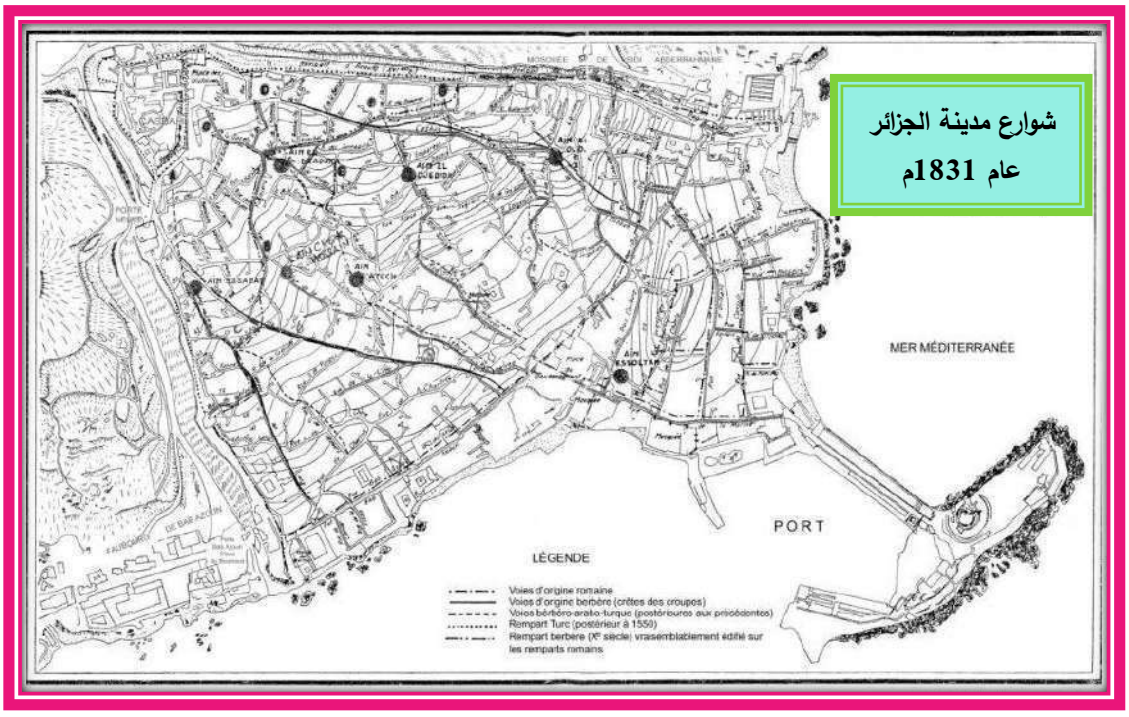

رابعا- المحيط الإنتاجي والحرفي:

كان المركز الاقتصادي هو العنصر المسيطر على التنظيم المكاني في المدن الاسلامية خلال العهد العثماني، وكانت مختلف الأنظمة الاقتصادية الرئيسية تتجمع في مركز المدينة بصورة واضحة.

وكان القسم السفلي من المدينة يضم أسواق المدينة الرئيسية والمقدرة بـ 15سوقا من بين 40 سوقا، والتي تقع بالقرب من سوق الصاغة ومن القيسارية والبادستان.

وكانت تنتشر على طول الشارع الرئيسي الأنشطة التجارية والتي تقل أهميتها كلما ابتعدنا عن الوسط "المركز"، وكانت توجد على طول هذا الشارع 9 فنادق من مجموع 18 فندقا المحصاة.

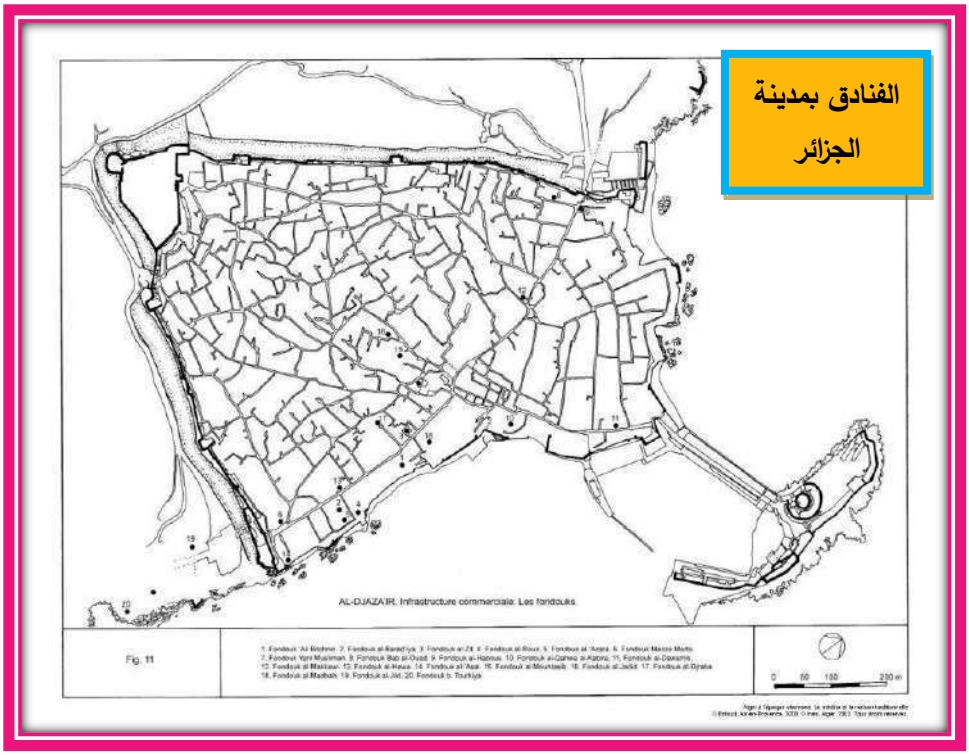

وكان تجار التوابل "العطارون" وتجار المنسوجات يوجدون في أقرب المواقع من مركز المدينة، وفي العهد العثماني أضيف إليهم تجار البن وهي تجارة مربحة وتباع بأغلى الاثمان.

أما دباغة الجلود وأفران الجير وورشات الفخار فكانت توجد خارج باب عزون. فالصناعة الأولى كانت موجودة بالخندق قريبا من البحر لتسهيل عملية تصريف المياه المستعملة. أما الصناعة الثانية والثالثة فكانت تتمركز في السفح الجنوبي الغربي للمرتفع، هذا التوجيه يسمح بتصريف أفضل للدخان الناتج والتي تدفعها الرياح الشمالية –عندما تهب– بعيدا عن المدينة.

وأما الأنشطة المتعلقة بالحدادة فكانت موجودة في الطرف الجنوبي للمدينة بين السورين المشكلين لباب عزون. ونجد خارج باب الوادي سلسلة من الطاحونات على ضفاف البحر في حين أن المقلع نراه على سفح الجبل.

خامسا– التحصينات العسكرية:

كان يحيط بالمدينة سور جد متين، وصل ارتفاعه أحيانا إلى 13م وسمكه 2.5م، وتَبايُنُ ارتفاعه يرجع خاصة إلى طبوغرافية المنطقة وأيضا إلى موضع السور حيث يكون أكثر ارتفاعا ناحية البحر بسبب الخطر المتزايد.

ويحيط بالسور خندق عميق تراوح عرضه حسب بعض المصادر ما بين 18 و25م، يحيط هذا الأخير سور صغير بارتفاع يتراوح ما بين 1.40م و1.90م، وبسمك ما بين 0.30 و0.40م، أخذ في بعض المواضع شكلا قريبا من المثلث بعمق يتراوح ما بين 6 و8م، أما مواد بناء السور فتباينت ما بين حجارة وآجر وطابية، وكان يتخلل السور العديد من الأبراج.

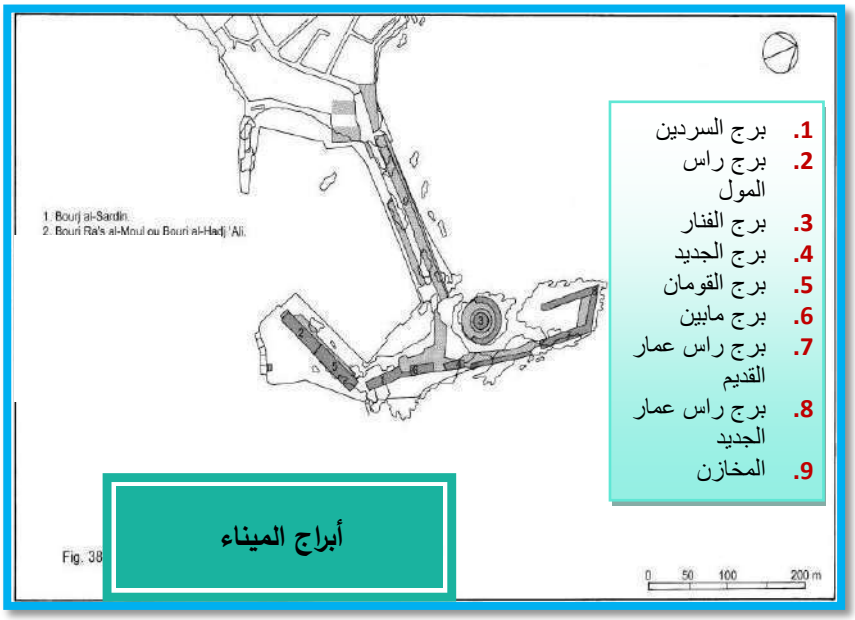

سادسا – أبواب المدينة:

1. **باب عزون:** يسمى كذلك نسبة إلى أحد ثوار الأهالي اسمه عزون ثار ضد الحكم العثماني، وهو يعتبر أهم أبواب المدينة، وكان يدخله القادمون من الجنوب ومن الشرق ومن السهل المتيجي عن طريق الحراش، وكان لهذا الباب جسر يرفع أثناء الخطر.
2. **باب الجديد:** يقع في الجهة الجنوبية الغربية يدخل منه القادمون من الغرب ومن البليدة، وهو طريق وعر حيث يمر على الروابي والمرتفعات.
3. **باب الوادي:** نسبة إلى الوادي الذي يمر بجانبه وهو أقل الأبواب أهمية به جسر مثل جسر باب عزون.
4. **باب الجزيرة:** سمي أيضا بباب الجهاد لأنه المدخل المخصص لدخول وخروج القوات البحرية، سماه الفرنسيون باب فرنسا ثم باب البحر، يعتبر أكثر الأبواب متانة ومناعة، وبجانبه كانت توجد عدة ثكنات عسكرية للجيش الانكشاري.
5. **باب السردين:** سمي أيضا بباب الديوانة، كان مخصصا للتجارة البحرية وكان يستعمل للصيد البحري.
6. **باب سيدي رمضان:** كان يوجد بالجهة الأعلى من المدينة يمين باب الجديد خلف مسجد سيدي رمضان، إلا أنه يعتبر من الأبواب الثانوية.

باب
سيدي رمضان
باب جديد
باب عزون
باب الدزيرة
باب البحر
باب الواد

* *

ملحق الصور والرسومات

مدينة الجزائر (صورة حديثة)

صورة جوية للقصبة

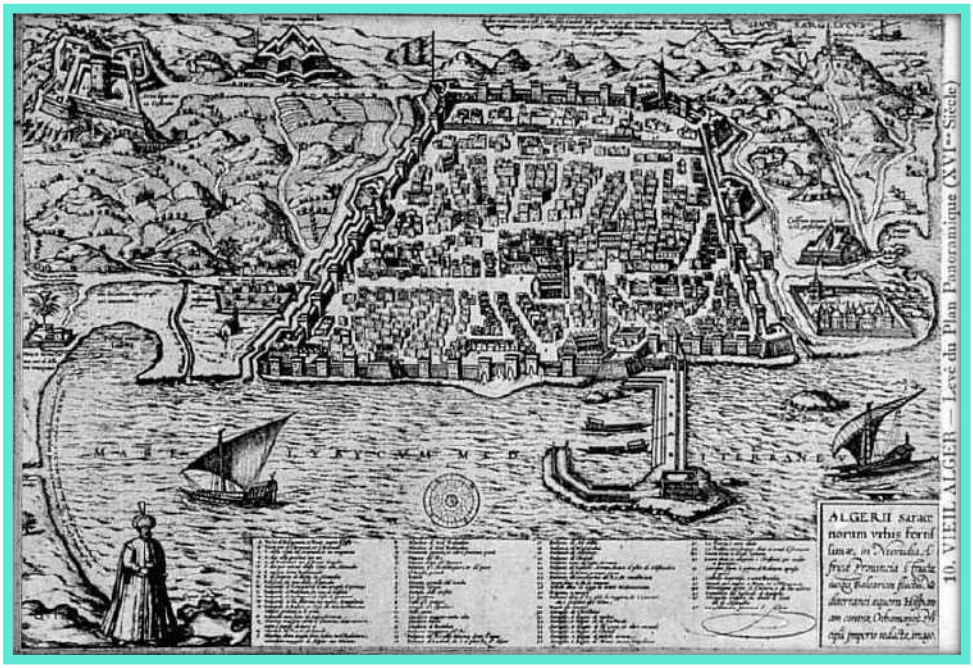

مدينة الجزائر خلال القرن 16م

مدينة الجزائر عام 1680م

مدينة الجزائر عام 1690م

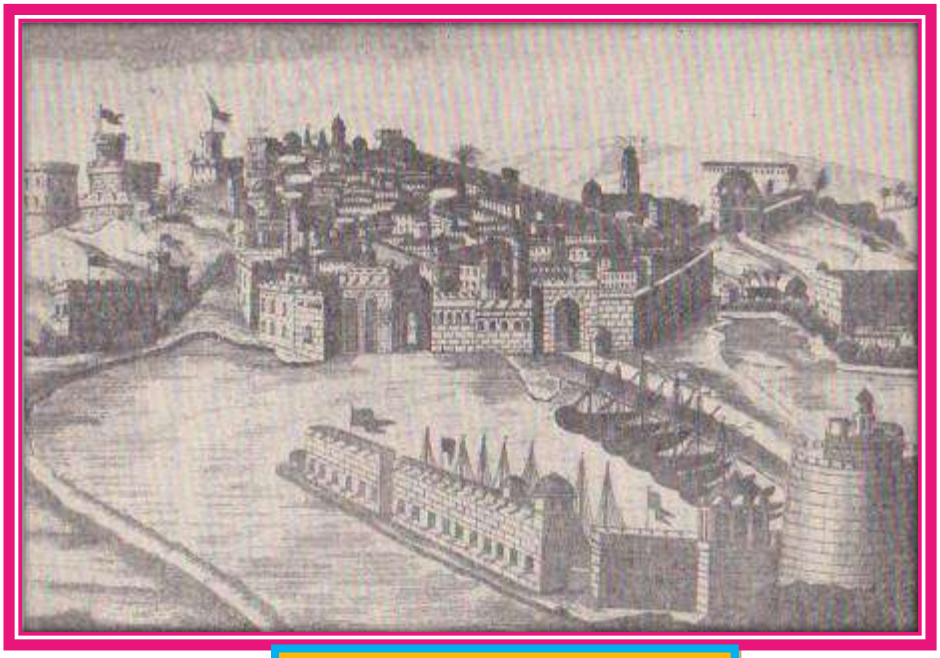

مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

قائمة المصادر والمراجع:

- **الإدريسي، أبو عبد الله الشريف،** نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994م.
- **البكري، أبو عبيد الله،** المغرب في ذكر بلاد أفريقا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- **الحموي، ياقوت،** معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م.
- **إبن حوقل، أبو القاسم،** صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.
- **ابن خلدون، عبد الرحمن** ، المقدمة، تحقيق أحمد جاد، دار الغد الجديد، ، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007م.
- **خوجة، حمدان،** المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق؛ محمد العربي الزبيري، منشورات، ANEP ، الجزائر، 2005م.

- **الزهار، الحاج أحمد شريف،** مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية، الجزائر، 1980.
- **مارمول، كربخال،** إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1988.
- **مالتسان، هاينريش فون** ، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، الجزء الأول ترجمة : أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1976م.
- **مالتسان، هاينريش فون** ، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، الجزء الثاني ترجمة : أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979م.
- **هابنسترايت، ج. أو.،** رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، دار الغرب الإسلامي، تونس، ب.ت.
- **الوزان، حسن بن محمد الفاسي،** وصف إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1983م.
- **عبد القادر حليمي،** مدينة الجزائر؛ نشأتها وتطورها قبل 1830م، المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي الجزائر، الطبعة الأولى، 1973م.
- **جبار، آسيا،** مدن الجزائر في القرن التاسع عشر، منشورات ANEP، الجزائر، ب.ت.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1410هـ/ 1980م.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع الهجري(16-20م)، الجزءان الأول والثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
- **سعيدوني، ناصر الدين،** دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر؛ العهد العثماني، المؤسسة

الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- **سعيدوني، ناصر الدين والبوعبدلي المهدي**، الجزائر في التاريخ؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- **خلاصي، علي**، قصبة الجزائر؛ القلعة وقصر الداي. رسالة دكتوراه، السلك الثالث، جامعة الجزائر، 1982م.
محفوظ بوطبة، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر –معهد الآثار، 2016/2017م.
Esterhazy Walsin, De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, librairie de charles Gosslin, Paris, 1840.
Pièsse, louis, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Hachette, Paris, 1862
Ravéreau, A, Casbah d'Alger et le site créa la ville, Sindbad, Paris, 1989.
Raymond, André, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, .Editions Sindbad, Paris, 1985
Reclus Onésime, Sites et Monuments ; Algérie (Alger- Constantine- Oran), Tourning –club de France, Paris, 1902
Shaw,(Dr), Voyage dans l régence d'Alger, Traduit de l'Anglais par J.Maccarthy, Paris, 1850.
Missoum, Sakina, Alger à l'époque ottomane ; la Médina et la .maison traditionnelle, INAS, Alger, 2003

المحاضرة السادسة

التطور العمراني لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

التطور العمراني لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

أصل التسمية:

عرفت مدينة قسنطينة تسميتين مختلفتين عبر التاريخ:

- التسمية الأولى: سيرتا (Cirta) وقد ورد هذا الاسم في الكتابات الأثرية والنصوص التاريخية لاسيما اللاتينية، أما أصل الكلمة فهو فينيقي وهو تحريف للاسم الحقيقي وهو كرتن أو كرطن أو كيرطا ومعناه المدينة أو القلعة المنيعة أو المحصنة، غير أن هناك رواية أخرى مفادها أن الكلمة مشتقة من اسم والدة الملك يوبا تسبياس سرث (Thespias Certhe) إلا أن هذه الرواية غير مؤسسة تاريخيا.
- التسمية الثانية: وهي مازالت تعرف بها المدينة إلى اليوم "قسنطينة" وهي تكتب وتنطق بعدة صيغ. حيث كتبها ياقوت الحموي (ت. 626هـ) ؛ **قُسَنْطِينَة**. وكتبها أبو الفدا بشكلين؛ **قُسْطِينَة / وقُسُنْطِينَة**. كما كتبها البعض بإضافة "الـ"التعريف: **القسنطينة**. وكتبها آخرون بإضافة الطاء: **قسطنطينية** وبإضافة "الـ"التعريف والطاء: **القسطنطينية**.

وهذه التسمية الأخيرة عرفت بها المدينة بعد زيارة الإمبراطور الروماني قسطنطين لها والذي زارها سنة 313م. وذكرت بعض التفسيرات أنه كان للإمبراطور أخت اسمها قسطنطان، فسميت المدينة باسمها، غير أن الكثير كان يسميها "قسطينة" إلى نهاية العهد العثماني. ومن التسميات التي سميت بها المدينة أيضا "قصر الطين" وأيضا "قصر تينا" (ملكة) و"قصر التين".

الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة:

تقع مدينة قسنطينة إلى الشمال الشرقي من الجزائر، تبعد عن البحر بنحو 150 كلم، أما فلكيا فتقع على خط عرض 63.23° شمالا وعلى خط طول 7.35° شرقا.

تتموضع المدينة فوق صخرة وعرة تأخذ شكلا غير منتظم أقرب إلى المستطيل، يحيطها وادي الرمال من ثلاث جهات؛ الجنوبية والشرقية والشمالية بطول 2800م مشكلا خندقا طبيعيا يتراوح عمقه ما بين 35 و200م، ولا ترتبط هذه الصخرة باليابسة إلا من الناحية

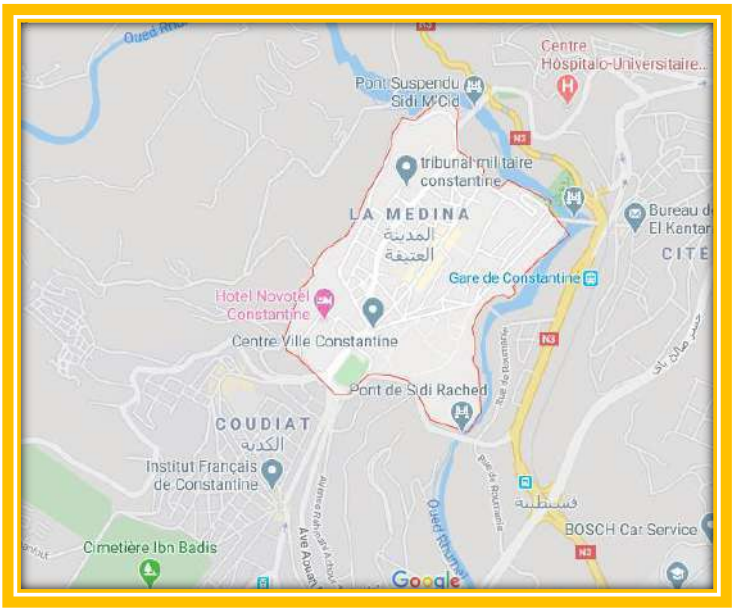

الغربية وعبر ممر لا يزيد اتساعه على 300م. ترتفع هذه المدينة عن مستوى سطح البحر بـ564م كحد أدنى وبـ664م كحد أقصى.

وقد أشاد الكثير من المؤرخين والرحالة والجغرافيين والكتاب بحصانة المدينة. ومن جهة أخرى تتوفر قسنطينة على مصادر مياه عديدة منها وادي الرمال

والمياه الجوفية ومياه الأمطار التي يبلغ متوسطها السنوي ما بين 400 و600 ملم، كما كانت تجلب المياه من خارج المدينة من خلال القناطر. كما تتوفر المدينة على أراض خصبة سواء داخل الاسوار أو على ضفاف وادي الرمال ووادي بومرزوق إضافة إلى المناطق المجاورة.

وتتوفر أيضا على ثروة غابية معتبرة بحكم موقعها ومناخها حيث تنمو بها أشجار الصنوبر والبلوط والزيتون كما ينمو في جنوبها الكثير من النباتات على غرار الحلفاء والسدرة والشيح والطرفة والديس وغيرها. وقد اشتهرت قسنطينة باعتدال مناخها وجوده هواءها.

تأسيس ونشأة مدينة قسنطينة:

يرجع أول استقرار بشري بالمدينة إلى عصور ما قبل التاريخ، إلا أن تأسيسها يعود للتجار الفينيقيين الذين قصدوها وفضلوا الاستقرار بها رغم بعدها عن الساحل، ومن بعدهم تبعت لمملكة الماسيل النوميدية ما بين القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، لتزدهر وتنمو أكثر في

عهد ماسينيسا الذي وحد مملكتي الماسيل والماسيسيل وأسس المملكة النوميدية (203 -46 ق.م) واتخذ من قسنطينة مملكة له.

في سنة 46 ق.م احتلها الرومان وبنوا بها الكثير من المباني والمنشآت، وفي سنة 455م استوطنها الوندال ثم خلفهم البيزنطيون سنة 539م.

فتحت قسنطينة في عهد القائد أبي المهاجر دينار (55-62هـ) وتداول على حكمها الكثير من الدول إلا أنها لم تحظ بأهمية كبرى إلا خلال الدولة الحمادية التي اتخذتها كإحدى المدن الرئيسية وربما نالت المرتبة الثانية بعد عاصمتهم بجاية من حيث الأهمية. أما في العهد الموحدي فكانت ذات أهمية ثانوية كغيرها من المدن، لتسترجع مكانتها في العهد الحفصي.

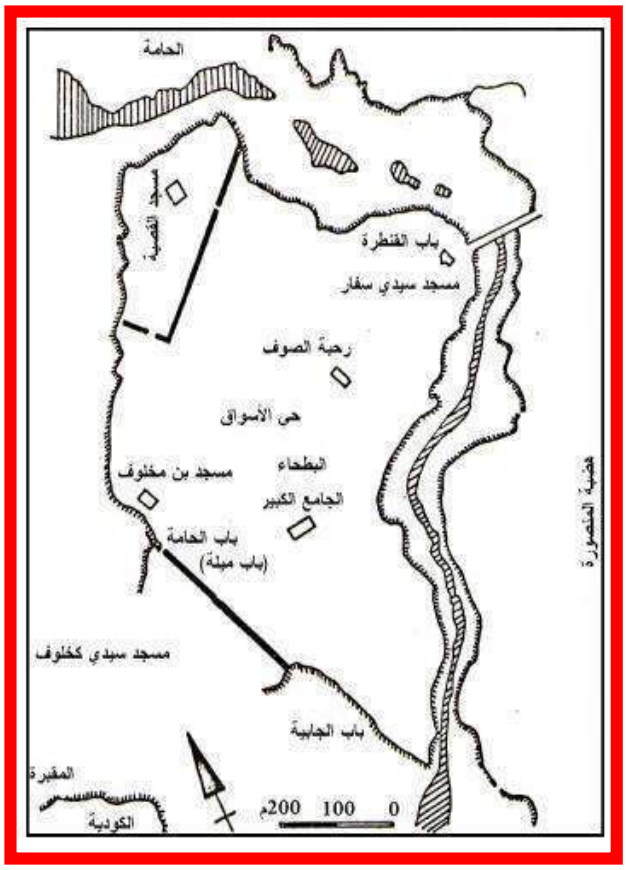

مدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي

التواجد العثماني بقسنطينة:

لا يعرف على وجه الدقة دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة حيث وقع اختلاف كبير بين المؤرخين في تحديد هذا الدخول، إلا أنه من المؤكد أن العثمانيين استقر بهم الأمر بقسنطينة ابتداء من سنة 1567م أين عُينت المدينة كعاصمة لبايليك الشرق، وكان أول باي حكمها هو رمضان تشولاق سنة 1567م، وقد تداول على حكمها 46 بايا كان آخرهم أحمد باي والذي احتلت المدينة في آخر فترة حكمه سنة 1837م.

التطور العمراني للمدينة خلال العهد العثماني:

أصبحت قسنطينة خلال العهد العثماني عاصمة لإقليم الشرق الجزائري، وخلال هذا العصر شهدت المدينة أزهى عصورها، فقد توسعت تجارتها كما توسع عمرانها أكثر من أي وقت مضى، وتحولت إلى واحدة من أهم المدن ببلاد المغرب، فبعد أن كانت محصورة داخل

أسوارها صار لها ربض بكدية عاتي والذي بلغ به عدد الجوامع إلى خمسة والمساجد إلى نحو سبعين مسجدا إضافة إلى ثلاثة عشر مدرسة. وبعد أن كان لها ثلاثة أبواب والمتمثلة في باب القنطرة في الجهة الشمالية الشرقية وباب الجابية وباب الوادي في الناحية الجنوبية؛ أضيف لها باب رابع خلال فترة لاحقة من الحكم العثماني يقع بالقرب من باب الوادي يسمى باب الجديد، وكان في الأصل بابا صغيرا ثم وُسع.

وكان عدد السكان قبل الاحتلال يتراوح ما بين 25 و30 ألف نسمة من عرب وحضر ويهود، وبها نحو 1700 مسكنا مغطى بالقرميد.

وإذا كان عدد المساجد الجامعة في العهد الحفصي لا يتعدى جامعين؛ الجامع الكبير وجامع القصبة، فقد اصبحت خلال الفترة العثمانية ستة جوامع، وهي جامع الصوف وجامع سوق الغزل والجامع الأخضر وجامع سيدي الكتاني، وبعد أن كانت عدد المساجد (مساجد الجمعة والصلوات الخمسة) تعد على أصابع اليد الواحدة صارت تقدر بالعشرات، قدرها الكثير بنحو 70 مسجدا، وحسب دفتر صالح باي للأوقاف عدت بـ75 داخل المدينة وخمسة خارجها، لكن حسب الإحصائيات الأخيرة فإن عددها وصل إلى 90 مسجدا منها خمسة خارج أسوارها بربض كدية عاتي. غير أن هذه المساجد تعرضت للهدم خلال عهد الاحتلال وبعضها تعرض إلى تغيير جذري مس أصالتها المعمارية والفنية.

أما فيما يخص المدارس فقد ورد في دفتر أوقاف صالح باي خمسة مدارس؛ مدرسة سيدي الكتاني ومدرسة جامع سوق الغزل ومدرسة سيدي أبي قصيعة، وفي خارج الأسوار نجد مدرسة سيدي بومصيبة ومدرسة سيدي هليوف، وتضيف النصوص التاريخية والكتابات الأثرية مدرسة الجامع الأخضر.

وكان يوجد إلى جانب المدارس العديد من الكتاتيب التي كانت بمثابة المدارس الابتدائية (90 كتاب)، كما ذكرت المصادر وجود العديد من الزوايا بلغ عددها العشرة أو يزيد.

بالإضافة إلى هذه المنشآت فقد ضمت المدينة عدة بنايات مدنية وعسكرية؛ كالقصبة ودار الباي أو دار الإمارة وقصر أحمد باي ودار الخليفة إضافة إلى دور بعض البايات.

كما اشتملت المدينة داخل أسوارها حسب ميرسي (Mercier) ثلاثة فنادق وعشرة حمامات وخمس مخابز و24 سوقا ومقهى، إضافة إلى 21 ساباطا وثلاث رحبات و27 مطحنة

للحبوب، ومن جهة أخرى كانت المدينة تتخللها أربعة شوارع رئيسية تتفرع عنها طرقا وأزقة ثانوية، وكان سكانها يتوزعون على أربعة أحياء كبيرة تتمثل فيما يلي:

- **حي القصبة** يقع في الزاوية الشمالية الشرقية.
- **حي الطابية** يقع في الزاوية الشمالية الغربية.
- **حي باب القنطرة** يقع في الركن الجنوب الشرقي
- **حي باب الجابية** ويقع في الجهة الجنوبية الغربية.

علما أن هذه الاحياء الرئيسية كانت تنقسم إلى أحياء أصغر.

ملحق الصور والمخططات

صورة جوية للمدينة العتيقة
باب القنطرة
القصبة

المدينة العتيقة
COUDIAT
الكدية
Constantine
جسر القنطرة
Pont Suspendu
Sidi M'Cid

التركيبة العمرانية لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني:

أولا- مقر الحكم:

سُمي مقر الحكم بمدينة قسنطينة "دار الباي" وهي نفسها دار الإمارة، وقد ذكرت هذه الدار في الكثير من المصادر.

وكانت المدينة تضم خلال العهد الحفصي قصبة تقع في أعلى جزء منها بالجهة الشمالية الشرقية، وبهما كان الأمراء والولاة يمارسون إدارتهم للمدينة، ولكن في العهد العثماني كان مقر الحكم بدار الباي والتي لا يعرف متى بُنيت.

ومهما يكن فإن دار الحكم يرجع بناءها إلى ما قبل عهد صالح باي (1771-1792م) واستمرت كذلك إلى غاية بناء أحمد باي لقصره ما بين سنتي 1826 و1835م والذي صيره مقرا لإقامته ومقرا للحكم، وقد كانت دار الإمارة تقع خارج القصبة وبعيدة عنها في الطرف الشمالي من الشارع الرئيسي الرابط بين باب الوادي وباب القنطرة في مكان وسط بين جامع سوق الغزل والجامع الكبير، كما كانت تتوسط الحيين الكبيرين؛ حي الطابية وحي باب الجابية. أما قصر الباي فكان بعيدا عن مركز المدينة وقريبا من القصبة بجوار جامع سوق الغزل وعلى غرار دار الباي وقصر الباي فإن دور البايات كانت تقع في المناطق الآهلة.

ثانيا-المساجد الجامعة:

تتوفر قسنطينة على عديد المساجد الجامعة، منها الجامع الكبير الذي يعود إلى الفترة الحمادية، كما بنى الحفصيون جامعا آخر بالقصبة وهو الجامع الأعظم لتشهد خلال العهد العثماني بناء أربعة جوامع أخرى، هي جامع رحبة الصوف وجامع سوق الغزل والجامع الأخضر وجامع سيدي الكتاني. وإلى جانب المساجد الجامعة ضمت المدينة مساجد للصلوات الخمس قدر عددها بنحو 85 مسجدا تتوزع على أحياء المدينة، تقع معظمها بحي باب الجابية وحي القنطرة وحي الطابية.

ثالثا-الأحياء السكنية:

كانت قسنطينة تظم أربعة أحياء كبيرة وهي بدورها تنقسم إلى أحياء أصغر :

1-حي القصبة: يقع بالناحية الشمالية الشرقية يمثل الحي العسكري وهو مخصص للجند ولسكن وجهاء المدينة من الأتراك على الخصوص، وكان يضم هذا الحي المباني الحكومية ودور بعض الدايات والقادة الكبار، وكان يتشكل هذا الحي من حيين صغيرين هما : محلة العمامرة وحومة قديدة.

2-حي الطابية: يقع في الشمال الغربي من المدينة يضم القصر والمسجد الرئيسي ويتألف من خمس حومات؛ الطابية الكبيرة والطابية البرانية وحومة مصاصة وحومة الموقف وحومة صوراي.

3- حي القنطرة: يقع هذا الحي في الجنوب الشرقي وقد أخذ اسمه نسبة إلى القنطرة التي تتقدم الباب المفضي إلى خارج المدينة، وهو ينحصر ما بين حي القصبة وحي باب الجابية، وهو الحي الذي ترتكز فيه الفئات الميسورة من سكان المدينة وحارة اليهود ويتكون من خمسة أحياء: حي ميلة الصغيرة وحومة سيدي بومعزة وحومة سيدي الجليس والحارة الحمراء وحومة الشارع.

4- حي باب الجابية: يشغل الركن الجنوبي الغربي من المدينة، وهو يعد أكبر أحياءها مخصص للفئات المتوسطة والفقيرة من السكان ويتكون هو الآخر من خمس حومات: حومة سيدي راشد وحومة بير مناحل وحومة الطبالة وحومة الشط وحومة البطحا. وقد تحكم في توزيع السكان العديد من العوامل على غرار الانتساب العرقي والجغرافي والديني والاقتصادي. وكما رأينا في مدينة الجزائر فإن كل حي بقسنطينة ضم مسجدا إلى جانب المرافق

العمومية الضرورية كالسويقة والحوانيت والحمام والفرن وغيرها، إضافة إلى الكتاتيب والزوايا.

رابعا-الرحاب:

ضمت مدينة قسنطينة أربع رحاب هي:

- **رحبة الجمال** : تقع في الجهة الغربية من المدينة وكانت تسمى من قبل برحبة بني سعيد.
- **رحبة الصوف:** تقع في الجهة الشرقية من المدينة ينفتح عليها الجامع المسمى باسمها.
- **رحبة باب القنطرة:** تقع غير بعيدة عن باب القنطرة.
- **رحبة البلد:** كانت تقع قريبا جدا من باب الوادي وباب الجديد.

خامسا-الشوارع والأزقة:

عادة ما تتنوع الشوارع والأزقة في المدن الاسلامية إلى نوعين طريق عام أو رئيسي وطريق خاص أو ثانوي:

أ-الشوارع الرئيسية:

هي التي تربط بين أحياء المدينة ومعالمها المعمارية الرئيسية وقد تعددت مسمياتها منها الشارع الأعظم والطريق النافذ. أما مدينة قسنطينة فكانت بها أربعة شوارع رئيسية.

- **الشارع الأول:** يمتد من باب الجديد مارا على دار الخليفة وصولا إلى باب القصبة وينتهي عند باب القنطرة.
- **الشارع الثاني:** يمتد أيضا من باب الجديد وينتهي عند باب القنطرة.
- **الشارع الثالث:** يعتبر أهم شوارع المدينة والشريان الرئيسي للتجارة، فأغلب الأسواق تنفتح عليه، يمتد من باب الوادي وينتهي عند باب القنطرة.
- **الشارع الرابع:** يعتبر هو الآخر أحد أهم الشوارع، يربط بين باب الجابية وباب القنطرة، تنفتح عليه أحد أهم السويقات وهي سويقة باب الجابية.

ب-الشوارع الثانوية :

سميت بعدة تسميات من بينها الزقاق والزنقة، والشوارع الثانوية هي الطرق التي تتفرع عن الشوارع الرئيسية وهي أقل عرضا منها تتميز بالتواءها وانكسارها، تتفرع عنها هي الأخرى الدروب. ومن بين الشوارع الثانوية بقسنطينة نذكر:

- **دروج باب الجابية:** يقع في حي باب الجابية وهو يربط بين رحبة الجمال بالشارع الرئيسي الرابط بين باب الجابية وباب القنطرة، ويظهر من اسمه أنه عبارة عن درج أو سلم.
- **زنقة بن وذينة:** عبارة عن طريق غير نافذ يتفرع عن طريق دروج باب الجابية، أخذ اسمه عن دار يفضي إليها وهي دار بن وذينة.

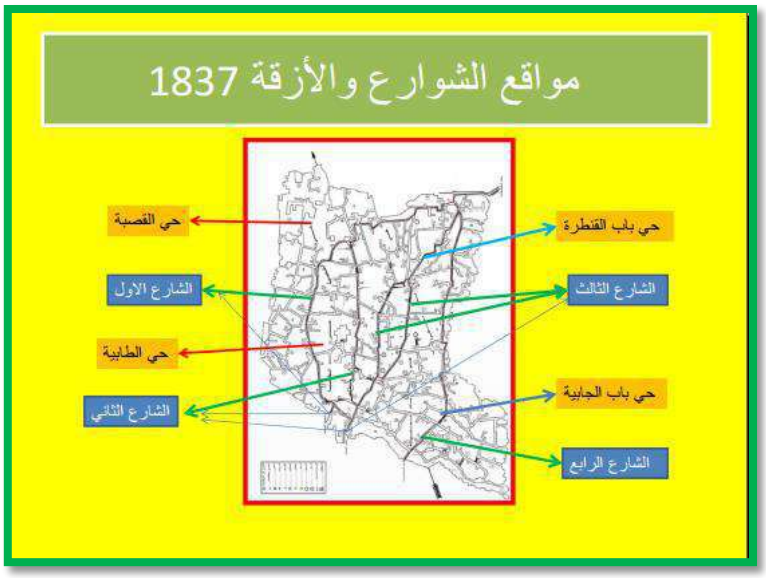

- **زنقة العمامرة:** تقع في حي باب الجابية وهي غير نافذة.
- **زنقة سيدي عفان:** هي عبارة عن طريق نافذ يقع بحي باب الجابية سُمي كذلك لوقوع مسجد سيدي عفان على جانبه الغربي.
- **زقاق الميليين:** طريق نافذ تتفرع عنه طرقا أصغر غير نافذة، يتفرع عن أحد الشوارع الرئيسية (باب الجابية وباب القنطرة) ربما سُمي بهذا الاسم نسبة إلى أصل السكان الذين كانوا به وهم من ميلة.
- **زنقة مقايس:** طريق غير نافذ يتفرع عن الشطر الثاني من الطريق الرئيسي الرابط بين باب الوادي وباب القنطرة عند التقاء السوق الكبير برحبة الصوف.

ومما يلاحظ أن شوارع وطرق قسنطينة كانت تتجه من الجنوب نحو الشمال بشكل شبه متوازي لتتجه شرقا ناحية باب القنطرة الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة وهذا الاتجاه يتناسب ومناخ قسنطينة من حيث اتجاه الرياح وأيضا من حيث اتجاه حركة الشمس. أما الطرق الثانوية التي تأخذ اتجاه شرق-غرب فتتخللها الكثير من الانحناءات والالتواءات

والانكسارات فضلا كونها تتسم بالضيق على اعتبارها طرقا ثانوية، علما أن مدينة قسنطينة كثيرا ما استعملت السباطات، وقد وصل عددها إلى 21 سباطا، والتي استخدمت لعدة أغراض منها المناخي وأيضا لاستغلالها لأغراض خاصة كالسكن والمرور من دار لأخرى.

سادسا-الأسواق:

1- **سوق التجار:** يقع في قلب المدينة، يتكون من عدد كبير من الحوانيت التي تنفتح على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الوادي وباب القنطرة.

2- **سوق العصر:** يقع قريبا من القصبة أنشأه صالح باي به عدة حوانيت وفندق. وقد كان يُسمى في أول تشييده على زمن صالح باي بسوق الجمعة ثم عرف بسوق السلاح وبسوق العصر الذي اشتهر به إلى وقتنا الحاضر.

3- **سوق الجمعة:** يقع في الطرف الشمالي من المدينة بين حي القصبة وسوق العصر وهو يتربع على مساحة كبيرة.

4- **سوق الغزْل:** ينفتح على الشارع الرئيسي الرابط بين باب الوادي وسوق العصر وسوق الجمعة.

كما يوجد أسواق أخرى منها السوق الكبير وسوق الخلق وسوق الموقف بالإضافة إلى السويقات.

الأسواق المتخصصة:

كان بمدينة قسنطينة عدة أسواق متخصصة وهي في أغلبها تتوزع على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب القنطرة وتتمركز خاصة في سوق التجار ومن أهم هذه الأسواق:

سوق العطارين	سوق الحدادين	سوق العسل
سوق السراجين	سوق الخضارين	سوق القمح
سوق الصباغين	سوق الجزارين	سوق الجلد
سوق الصاغة	سوق الأقمشة	سوق الخبز

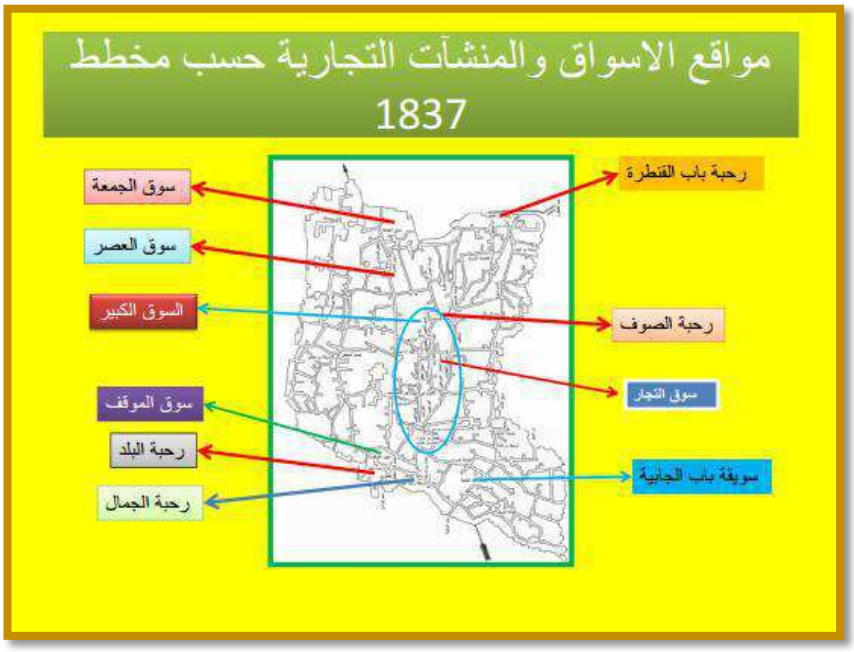
مواقع الاسواق والمنشآت التجارية حسب مخطط 1837
سوق الجمعة
سوق العصر
السوق الكبير
سوق الموقف
رحبة البلد
رحبة الجمال
رحبة باب القنطرة
رحبة الصوف
سوق التجار
سويقة باب الجابية

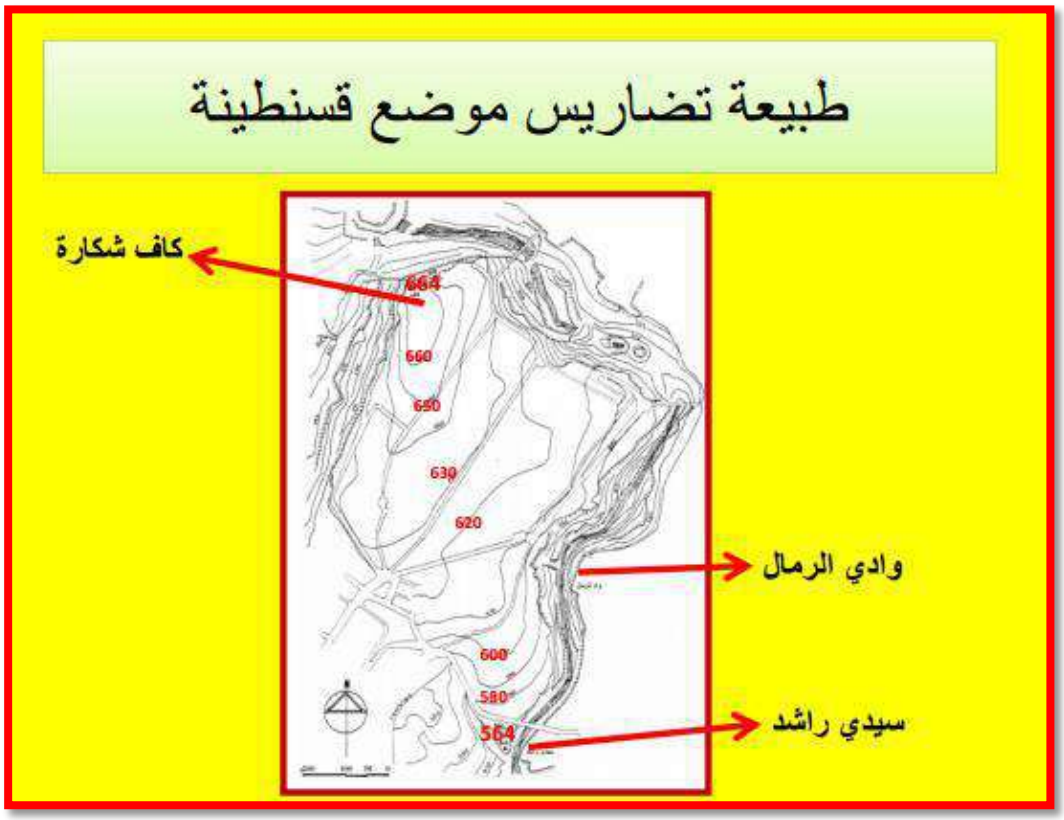
طبيعة تضاريس موضع قسنطينة
كاف شكارة
664
660
650
630
620
600
580
564
وادي الرمال
سيدي راشد

سابعا-التحصينات العسكرية:

1-السور: رغم تحصينها القوي إلا أن قسنطينة أحيطت بسور وصل ارتفاعه إلى 10 أمتار في الجهة الغربية وأقل ارتفاعا في باقي الجهات.

2-أبواب المدينة: لقد كان للمدينة أربعة أبواب رئيسية وآخر ثانوي وهي باب الجديد وباب الوادي وباب الجابية وباب القنطرة وهو المدخل الوحيد في الناحية الشرقية.

3-الأبراج: كانت أسوار قسنطينة مدعمة بعدة أبراج وبطاريات عرف باسم "السوس" يقع قريبا من الزاوية الشمالية الغربية أعلى باب الجديد وكانت هذه البطاريات مدعمة بمدافع.

4-القصبة: كانت قصبة المدينة تقع بالناحية الشمالية الغربية في موضع أعلى من أي نقطة على ارتفاع 631م بحيث تشرف على جميع جهات المدينة وهي تتشكل من بنايات يسكنها الجند والخاصة من الأتراك وبها سجن، وهي أكبر مساحة من قصبة الجزائر، بها بطارية مجهزة بـ11 مدفعا، يعود بناءها الى العهد الحفصي على الأرجح.

ثامنا- الربض:

لقسنطينة ربض واحد هو كدية عاتي، كان يقع في الجهة الجنوبية الغربية ويبعد حوالي 1كم من أسوار المدينة، يشكل مساحة 900 X 300 خطوة، كان به خمسة مساجد ومدرستين إضافة إلى عدد من المساكن والأسواق والفنادق والصناعات.

ملحق المخططات

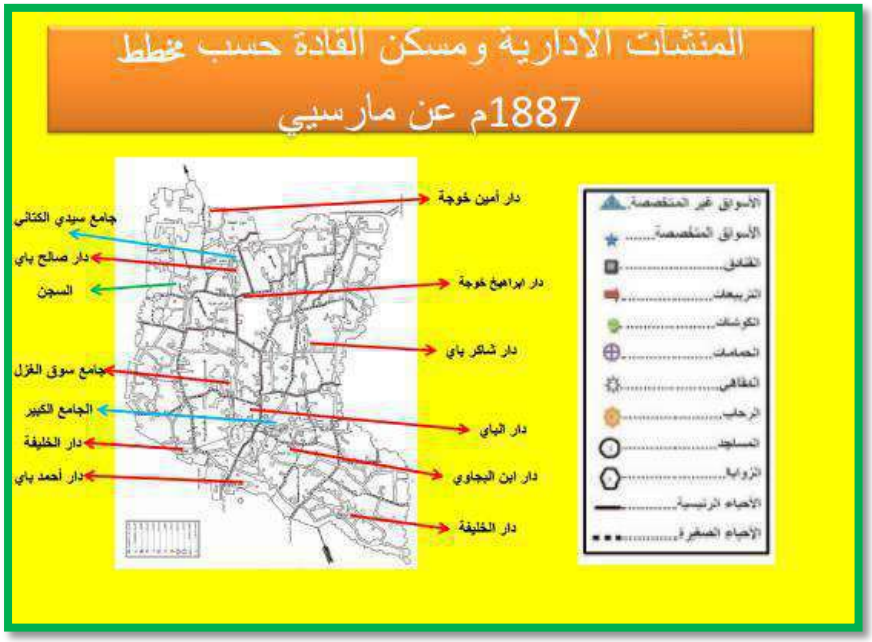

ملحق الصور

رحبة الجمال

باب القنطرة

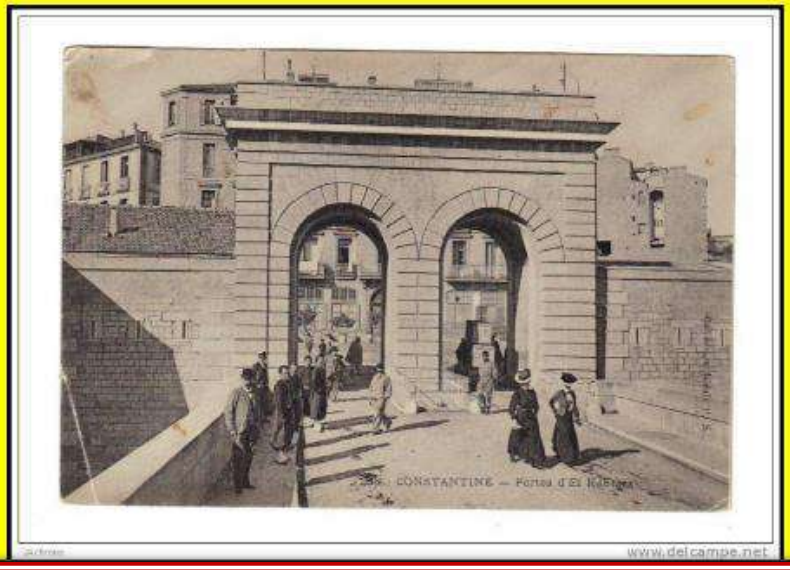

باب الجابية

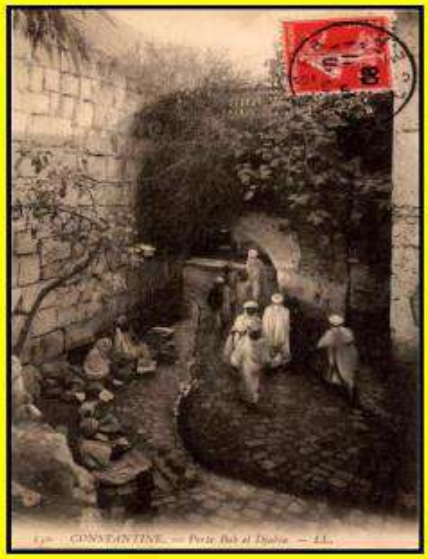

جسر وباب القنطرة

زقاق

زقاق

قائمة المصادر والمراجع:

- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006م.
- عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، معهد الآثار، 2010/2009م.
- محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة ؛ دراسة في جغؤافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعيةن الجزائر، 1984م.
- عبد القادر بوباية، "مدينة قسنطينة من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة العرب (القرن 5-10هـ)" مجلة عصور الجديدة، العدد 05، 2012م.
- كريمة فليفلة، مجمع سيدي الكتاني بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، معهد الأثار، 2020/2019م.
- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر؛ 1830-1900، موفم للنشر، 2010م.
- كريمة فليفلة، مجمع سيدي الكتاني بمدينة قسنطينةخلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، معهد الأثار، 2020/2019م.
- عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دار البعث، قسنطينة، 2002م
-محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980م
- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر (16-20م)ن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- رشيد بورويبة، قسنطينة، سلسلة فن وثقافة، وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر، 1980م.
- محفوظ بوطبة، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر –معهد الآثار، 2016/2017م.

-E. Mercier, « Constantine avant la conquête française 1837 », In Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de Constantine, 1878.
- L. Feraud, « Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine », In R.A , 1868.

- Bernard Pagand, La Madina de Constantine (Algérie), Etudes méditerranéennes, C.I.E.M., Université de Poitier, 1989.
-Imane Fantazi, Le management des opérations de conservation du patrimoine bâti en Algérie dans un contexte événementiel ; cas de la vielle ville de Constantine, Doctorat L.M.D, Université Salah Boubnider, Constantine, 2020-2021.
- Léonce Joleaud, Les origine de la ville de Constantine (Algérie), In B.S.G.A, 1918.
Reclus Onésime, Sites et Monuments ; Algérie (Alger-Oran), Tourning –club de France, Paris, 1902 Constantine-

المحاضرة السابعة

التطور العمراني لمدينة وهران خلال العهد العثماني

أولا- موقع مدينة وهران:

تقع مدينة وهران إلى الشمال الغربي من الجزائر، تطل شمالا على الخليج المسمى باسمها بالبحر المتوسط، والذي يحده رأس المرسى الكبير غربا ورأس كريشتل (قسطيلية) شرقا، يحدها من الغرب جبل مرجاجو وهضبة مولاي عبد القادر، ومن الشرق الجروف الصخرية وهضبة بئر الجير، ومن الجنوب السبخة الكبرى.

أما المدينة التاريخية (الاسلامية) فتقع على تلتين يفصل بينهما وادي الرِّحِي، على السفح الشرقي لجبل مَرجاجو، ترتفع قليلا عن مستوى سطح البحر، ويزيد هذا الارتفاع بصورة أوضح بمجرد تخطي منطقة الميناء وكلما توجهنا ناحية الجنوب أو الجنوب الغربي وأيضا الجنوب الشرقي، يتراوح هذا الارتفاع ما بين بضعة أمتار و150م، أدناه عند حي البحرية وأقصاه عند السور الغربي حيث القصبة، وهي تأخذ شكلا اقرب إلى المثلث حيث قاعدته ساحل البحر.

وأما فلكيا فتقع وهران على خط عرض '35.42° شمالا وعلى خط طول 0.39° غربا، ولقد توسعت المدينة منذ نشأتها الأولى وامتدت مبانيها خارج الأسوار لاسيما باتجاه الشمال والشمال الغربي وباتجاه الشرق أيضا في فترة متأخرة، لتعرف أقصى امتداد لها عقب الفتح الثاني لها وقبيل الاحتلال، وتحوز وهران على مساحة قدرت ما بين 60 و70 هكتارا.

وعموما فإن هذا الموقع الذي تحتله وهران بما في ذلك المرسى الكبير يعد إستراتيجيا، سواء من الناحية البحرية؛ وذلك بما يوفره من امتيازات عسكرية وتجارية، أو من الناحية البرية حيث كانت الملتقى الرئيسي للعديد من الطرق القادمة من تلمسان أو معسكر أو سيدي بلعباس أو وجدة أو حتى تلك القادمة من عمق الصحراء.

ثانيا- أصل التسمية :

ذُكر إسم وَهْرانَ لأول مرة في المصادر التاريخية من قبل الجغرافي ابن حوقل المتوفى عام 371هـ حيث قال : " ... ومنها إلى مدينة وهران مَراس لا مدن لها مشهورة...". ثم أتى على ذكرها من بعده البكري الذي توفى عام 487هـ، وهذا في مؤلفه: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا

والمغرب الذي قال : "... ومدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع".

أما عن كيفية نطقها فإن أغلب المؤرخين ينطقونها بفتح الواو وسكون الهاء، وفي هذا الصدد يقول محمد بن يوسف الزياني في كتابه دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ما يلي : " اعلم أن وَهْرَانَ بفتح الواو كما لابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وأنباء الزمان والحافظ أبي راس في كتابه عجائب الأسفار ولطائف الأخبار والخبر المغرب وروضة السلوان وغيرهم لا يكسرها وغلط من كسرها".

ولقد اختلف حول أصل تسمية المدينة بوهران اختلافا بيّنا غير أن ما نكاد نجزم به أن لفظة "وهران" كانت معروفة لدى القبائل المجاورة لتلك المنطقة والذين ينتمون لقبيلة مغراوة قبل تأسيس المدينة، ونعتقد أنه اسم لأحد الوديان التي تعبرها.

ومهما يكن فإن الاختلاف لا يزال قائما حول معنى الكلمة الذي لا يمكننا الجزم فيه، وإن كنا نميل إلى الرأي الشائع والقائل بأن لفظة وهران معناها "الأسود" أو "الأسدان". خصوصا وأن منطقة وهران – على غرار العديد من مناطق الجزائر– عرفت بتواجد الأسود فيها والتي لم تنقرض إلا خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث كانت السلطات حينها تشجع المستوطنين وغيرهم بإغراءات مالية على قتل الحيوانات المتوحشة وفي مقدمتها الأسود.

ثالثا– تأسيس مدينة وهران :

يرجع تأسيس مدينة وهران إلى عام 290هـ/903م، من قبل بحارة أندلسيين على الأرجح بقيادة محمد بن عون ومحمد بن عبدون، كانوا ينتجعون مرسى المدينة، بموافقة قبيلتي نفزة وبني مسقن المغراويتين المجاورتين للمدينة والمنحدرتين من قبيلة أزداجة البربرية، وهذا في عهد الخليفة الأموي الأندلسي أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن.

ونذكر أن البحارة الأندلسيين كثيرا ما كانوا يترددون على سواحل المغرب الأوسط لاسيما تلك القريبة من الأندلس، فإليهم يعود الفضل في بناء مدينة تنس في ذات الفترة تقريبا التي بنيت خلالها وهران وهي سنة 262هـ .

رابعا- أهم المحطات التاريخية لمدينة وهران:

مما لا شك فيه أن منطقة وهران بصفة عامة عرفت نشاطا بشريا منذ عصور غابرة تمتد إلى ما قبل التاريخ، وهذا ما تؤكده الشواهد المادية الكثيرة من كهوف ومغارات إضافة إلى أدوات حجرية تمّ الكشف عنها خلال الحفريات الأثرية التي تمّت صيف عام 1892م من قبل فرانسوا دومارك (F.Doumerque) وبول بلاري (P.Pallary) داخل بعض تلك المغارات، وقد وضعت بالمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران.

في غضون الفترة ما بين القرنين الخامس والثاني ما قبل الميلاد شهدت المنطقة توافد الفينيقيين إليها والذين اتخذوا منها محطات تجارية على غرار مدينة تنس، حيث اختاروا خليج مداغ مركزا لاستقرارهم، إلا أنه تم العثور على مغارات تعود للفينيقيين في القصر الجديد قريبا من قصر الباي وعلى بعد عشرات الأمتار من مرسى وهران.

وإن كانت الشواهد الأثرية تؤكد التواجد الفينيقي بالمنطقة وقريبا من المكان الذي شيدت به المدينة، فإن الأمر يختلف بالنسبة للرومان الذين فضلوا الاستقرار في المدينة المسماة حاليا بطيوة والتي تقع إلى الشرق من وهران على مسافة تقدر بنحو 40 كلم، وبها بنوا الميناء الذي أسموه بالأعظم (Portus Magnus).

والذي نكاد نجزم به أن مدينة وهران التي بنيت على ربوة من الأرض تقع على الضفة اليسرى من وادي الرحي في عام 290هـ، لم تكن معروفة بهذا الاسم قبل تعميرها من قبل المسلمين، وليس في موقعها ما يشير إلى أنها كانت آهلة من قبل بالسكان، كما لم تشهد استقرارا بشريا سابقا لتاريخ بناءها، وهذا ما تثبته الشواهد الأثرية والتي تعود فحسب إلى الفترات الإسلامية وفترة الاحتلال الاسباني ثم فترة الاحتلال الفرنسي.

1- وهران خلال العصر الوسيط :

لم تَنْعَم مدينة وهران بُعيد نشأتها طويلا بالأمن والاستقرار؛ إذ صارت بؤرة للتوتر والاضطرابات ومحل نزاع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في بلاد المغرب – الذين أقاموا دولتهم عام 296هـ/909م– واتخذوا من المهدية بتونس عاصمة للخلافة، حيث سعوا حثيثا للسيطرة على مختلف مناطق وأقاليم المغرب الأوسط ومن بينها وهران، بمؤازرة ودعم من حلفائهم الزيريين، واستمر هذا الصراع على وهران عقودا طويلة جدا.

ومع نهاية القرن الخامس الهجري وبالضبط في سنة 473هـ/1081م انتزع المرابطون – بقيادة يوسف بن تاشفين– مدينة وهران من أيدي الخزريين المغراويين ومحى أثرهم من جميع بلاد المغرب. وقد عرفت المدينة خلال تلك الفترة شهرة معتبرة لأهمية ميناءها من جهة ولقوة سلطتها المركزية بتلمسان التي أصبحت بمثابة العاصمة الإقليمية لبلاد المغرب الأوسط من جهة ثانية.

إلا أن هذا الاستقرار الذي عرفته بلاد المغرب عامة ووهران خاصة لم يدم طويلا، إذ في سنة 537هـ/1143 يتولى حكم المرابطين تاشفين بن علي الذي في عهده يأفل حكم هذه الدولة الكبيرة، ثم في سنة 539هـ/1145م يستولي عبد المؤمن بن علي الموحدي على وهران ويقضي على آخر حكام المرابطين.

خلال حكم الموحدين شهدت وهران فترة ازدهار واستقرار كبيرة وغدت نقطة ارتكاز عسكرية وعاصمة إقليمية انطلقت منها عديد الحملات العسكرية لفتح ما تبقى من مدن بلاد المغرب على غرار قسنطينة وتونس، كما تحول ميناء المدينة وميناء المرسى الكبير – الذي صار واحدا من أكبر موانئ بلاد المغرب– إلى ورشتين لصناعة السفن، وساهما في صناعة ما يربو عن 100 سفينة – إلى جانب ميناء هنين– بأمر من الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي العام 556هـ/1162.

إثر انهيار الدولة الموحدية؛ خضعت وهران للدولة الزيانية الناشئة، وكان ذلك عام 627هـ/1230م، إذ حوصرت المدينة من قبل يغمراسن بن زيان بعد رفض واليها الخضوع للزيانيين، وبعد مقاومة شديدة اضطر الوهرانيون إلى الاستسلام وقبول الوالي الزياني المعين كحاكم جديد للمدينة.

في العام 629هـ/ 1232م رضخت المدينة للسيطرة الحفصية بزعامة أميرها أبي زكريا الذي أخضع تلمسان لحكمه أيضا، وظلت كذلك إلى أن فتحها يغمراسن العام 686هـ/ 1287م.

وخلال حصار تلمسان من طرف السلطان المريني أبي يعقوب يوسف الناصر كلّف هذا الأخير أحد قادته باحتلال وهران، وبعد حصار ليس بالطويل تمكن من بسط سيطرته عليها. ثم تواصلت سيطرة المرينيين على المدينة بصورة متقطعة خلال العهود التالية.

ومما يمكن تأكيده أن المدينة لم تعرف استقرارا دائما عقب سقوط الدولة الموحدية، فأحيانا تناوب في السيطرة عليها سلاطين الدويلات الثلاث الزيانية والمرينية والحفصية لتسع مرات متتالية وخلال مدة لا تتعدى النصف قرن.

2- وهران خلال العصر الحديث :

أ- الاحتلال الاسباني :

لقد خضعت مدينة وهران للاحتلال الإسباني مدة طويلة جدا من الزمن بلغت 260 سنة مر على فترتين امدت الأولى ما بين سنتي 915هـ/1509م و1119هـ/1708م، بينما امتدت الثانية ما بين سنتي 1144هـ/1732م و1206هـ/1792م، وقد تخلل الفترتين الحكم العثماني للمدينة بقيادة الباي مصطفى المسراتي.

فعقب سقوط دولة المسلمين في الأندلس سنة 897هـ/ 1492م شرعت اسبانيا في عملية مركزة ومدروسة لاحتلال سواحل المغرب الإسلامي لدوافع دينية وسياسية وعسكرية واقتصادية،

وقد أدت هذه الحملة العسكرية إلى احتلال العديد من المدن الساحلية للمغرب الأوسط ومن بينها مدينة وهران وكان ذلك بتاريخ 915هـ/1509م.

ب – التواجد العثماني بمدينة وهران:

لقد حكمت وهران من قبل العثمانيين لمدة ليست بالطويلة بلغت نحو 63 عاما فقط، وتمت على فترتين اثنتين، كانت الأولى حين تحريرها من قبل الباي مصطفى المسراتي العام 1119هـ/1708م، حيث اتخذت المدينة من حينه عاصمة لبايليك الغرب بدلا من معسكر.

أما الفترة الثانية من الحكم العثماني للمدينة فهي التي أعقبت تحريرها الثاني والنهائي العام 1206هـ/1792م من قبل الباي محمد الكبير، والذي اتخذ وهران عاصمة لبايليكه عوض معسكر، عرفت خلال فترة حكمه التي دامت إلى غاية 1213هـ/1799م الأمن والاستقرار والرخاء، وقد حاول أن يعيد لها مجدها بعد أن كانت عبارة عن قلعة محصنة شبه مغلقة، وبذل جهودا معتبرة لتعميرها وإصلاح ما تخرب منها، واستقدم إليها السكان من كل مكان؛ من معسكر ومازونة ومستغانم وتلمسان والمدية وملیانة وغيرها.

ثم تداول على الحكم بعد وفاة الباي محمد الكبير العام 1213هـ/ 1799م بايات لم يكونوا في مستوى المسؤولية التي ألقيت على عاتقهم، فشهدت وهران وبايليك الغرب عامة –خلال فترة حكمهم– الكثير من الثورات والقلاقل والأزمات .

ج – احتلال الفرنسيين لوهران ونهاية الحكم العثماني:

تعد وهران واحدة من المدن الجزائرية القليلة التي دخلتها قوات الاحتلال من دون مقاومة تذكر، وذلك رغم تحصيناتها العسكرية القوية التي تعود إلى الفترات الإسلامية المتعاقبة وأيضا إلى فترة الاحتلال الاسباني، وقد تم احتلال المدينة بصفة نهائية تقريبا مع نهاية سنة 1831م/جمادى الثانية 1247هـ عقب فرض الحماية التونسية عليها والتي لم تدم طويلا.

التطور العمراني لمدينة وهران :

أولا – خلال الفترات الاسلامية الأول قبل الاحتلال الاسباني:

لقد نشأت مدينة وهران في مرحلتها الأولى ابتداء من تاريخ تأسيسها العام 290هـ على مساحة صغيرة من الأرض كانت ملكا لقبيلة أزداجة البربرية، والممتدة على الضفة اليسرى من وادي الرِّحِي المجاورة للبحر، وقد جلب إليها موضعها الممتاز عددا كبير من السكان لتصبح فيما بعد منفذا بحريا لتلمسان ولعديد الدول التي حكمت المنطقة، وذلك يرجع بالأساس إلى ميناء المرسى الكبير الذي عُد من أفضل موانئ المغرب الأوسط.

غير أن التطور العمراني لمدينة وهران ارتبط ارتباطا وثيقا بالمعطى التاريخي وبالظروف الأمنية التي عرفتها المنطقة، فأحيانا شهدت فترات متتالية من التقدم والازدهار وأحيانا اخرى شهدت فترات من التقهقر والانحصار، فلم يكد يمر على تأسيس هذه المدينة الفتية سبع سنوات حتى زحفت عليها قبائل زناتة وأضرمت فيها النيران سنة 297هـ، عاما بعد ذلك؛ استطاع دواس بن صولات عامل الفاطميين بتاهرت أن يزحف على المدينة ويفتحها ويعيد تعميرها من جديد.

وقد عرفت حينها الاستقرار والهدوء مما انعكس بالإيجاب على تطورها العمراني، حيث شهدت بناء العديد من المساكن الفخمة والمساجد ذات المآذن الرشيقة كما شهدت إقامة الأسواق الواسعة وأحيطت بأسوار ذات أبراج مما أدى إلى نزوح قبائل المناطق المجاورة إليها.

وفي سنة 343هـ /954م فتح يعلى بن محمد زعيم قبيلة بني يفرن وحليف الأمويين وهران وتغلب على حاكمها حينذاك محمد بن عون، ليخربها ويحرقها، وينقل أهلها عنوة إلى مدينة إيفكان التي كان قد اختطها العام 342هـ بأراضي بني راشد، ثم تراجع الناس إليها بعد ذلك وأعادوا تعميرها من جديد.

في سنة 406هـ /1005م تمكنت قبيلة أزداجة من حكم وهران، إلا أن المعز بن زيري بن عطية تمكن من إخراجهم منها وعين على رأسها أبناء خزر الزناتي الذين تداولوا على

حكمها سنين عديدة، عرفت خلالها وهران الاستقرار والهدوء والذي يكون قد انعكس إيجابا على تطورها العمراني دون ريب، وهذا ما يكون قد أكده الناصري في كتابه عجائب الأسفار.

في سنة 473هـ/1081م تمكن المرابطون من فتح وهران، وقد عرفت المدينة خلال تلك الفترة شهرة معتبرة لأهمية ميناءها من جهة ولقوة سلطتها المركزية بتلمسان فصارت إحدى أهم مدن بلاد المغرب الأوسط.

وفي سنة 539هـ/1145م يسيطر الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي على وهران، حيث تعرضت للحصار بعد أن لجأ إليها فلول المرابطين، لتهدم أسوارها وتقتحم بواباتها، فنزل أهلها على حكم عبد المؤمن في يوم عيد الفطر من ذلك العام.

خلال حكم الموحدين شهدت وهران فترة ازدهار واستقرار كبيرة وغدت نقطة ارتكاز عسكرية وعاصمة إقليمية انطلقت منها عديد الحملات العسكرية لفتح ما تبقى من مدن بلاد المغرب على غرار قسنطينة وتونس.

حين استلاء السلطان المريني على المدينة واقامته بها لبعض الوقت أمر بتشييد البرج الأحمر الذي صار إيوان الحكم لكل من ملك المدينة فيما بعد، كما بنى في الوقت ذاته حصن المرسى الكبير، وكان هذا عام 747هـ/1346-1347م.

ثانيا – خلال الاحتلال الاسباني الأول:

ومع مطلع القرن السادس عشر تحتل المدينة من طرف الاسبان، ومما يجب التنويه إليه أن المدينة خلال الفترة الاولى من هذا الاحتلال والذي دام زهاء القرنين حافظت على طابعها العمراني الاسلامي، فرغم ما طالها من التغييرات والإضافات المعمارية فإن ذلك لم يغير من ذلك الطابع في شيء ولم تكن ذات صلة بالفكر العمراني الاسباني الحديث.

أما عدد السكان فلم يتجاوز في أحسن الأحوال الأربعة آلاف نسمة، نصفهم تقريبا من جنود الحامية، ونصفهم الآخر من المدنيين، في حين بلغ عدد المساكن 500 مسكن فقط. وهو ما انعكس سلبا على التطور العمراني للمدينة.

ثالثا – خلال الفترة العثمانية الأولى:

لما حررت المدينة للمرة الأولى من قبل الباي مصطفى المسراتي العام 1119هـ/1708م، اتخذت من حينه عاصمة لبايليك الغرب بدلا من معسكر، و قد صاحب ذلك نهضة عمرانية ومعمارية كبيرة. فبعد أن استقر به المقام بوهران شرع الباي في إعادة إعمار المدينة من جديد وجلب إليها السكان من المدن المجاورة وأعاد إليها نشاطها التجاري الذي عرفت به منذ نشأتها الأولى، كما أعاد إليها نشاطها الاجتماعي والثقافي بعد أن كانت مدينة شبه ميتة محاصرة من جميع الجهات إلا من ناحية البحر، غالبية ساكنتها من الجنود المتحصنين بين أسوارها وداخل حصونها وأبراجها والعمال المشتغلين في بناء الأبراج وحفر الأنفاق، أما ساكنتها من المدنيين فكان قليل جدا لا يتعدى في أحسن الأحوال الأربعة آلاف نسمة.

وقد قام الباي بانجاز الكثير من المباني خاصة منها الدينية والمدنية، ومن جهة أخرى فقد وسّع في القصبة، وهذا من خلال ما بناه من مباني وعلى رأسها القصر. كما يعتقد أنه بنى بلدة إفري الواقعة إلى الجنوب من وهران، واتخذها كرباط للطلبة المحاصرين للإسبان وذلك العام 1701م.

رابعا – خلال الاحتلال الاسباني الثاني:

خلال فترة الاحتلال الاسباني الثانية لوهران (1732–1792م) ساءت الأوضاع كثيرا وفي جميع المجالات وقد انعكس سوء الأوضاع هذا على تطور النسيج العمراني للمدينة بشكل سلبي، فوهران التي كانت تضم بين أسوارها قبل الاحتلال الاسباني الأول ستة آلاف مسكن وألف وخمسمائة حانوت، زيادة على مساجدها ومدارسها وحماماتها الكثيرة، لم تعد تتسع في أحسن الأحوال خلال فترة الاحتلال الاسباني الثاني لأكثر من 532 مسكنا و42 بناء عموميا، أما عدد السكان فقدر وفق إحصاء رسمي تم سنة 1787م بـ7793 نسمة أغلبهم من الجنود، والأكيد أن جهود الاسبان عموما كانت منصبة على تحصين المدينة وليس على إعمارها.

خامسا – خلال الفترة العثمانية الثانية:

غير أن الحالة هذه تبدلت بشكل ملفت عقب التحرير الثاني لها وعرف نسيجها العمراني تطورا كبيرا كما تضاعف عدد سكانها حيث بلغ نحو 25 ألف نسمة. أما الفترة الثانية من الحكم العثماني للمدينة فهي التي أعقبت تحريرها الثاني والنهائي العام 1206هـ/1792م من قبل الباي محمد الكبير، والذي اتخذ وهران عاصمة لبايليكه عوض معسكر، عرفت خلال فترة حكمه التي دامت إلى غاية 1213هـ/1799م الأمن والاستقرار والرخاء، وقد حاول أن يعيد لها مجدها بعد أن كانت عبارة عن قلعة محصنة شبه مغلقة، وبذل جهودا معتبرة لتعميرها وإصلاح ما تخرب منها، واستقدم إليها السكان من كل مكان؛ من معسكر ومازونة ومستغانم وتلمسان والمدية وملیانة وغيرها، بل وحتى من وجدة وفاس، ووزع على الوافدين أراض للبناء على الضفة اليمنى لوادي الرحى، وعلى تلك الضفة نشأت المدينة الجديدة – التي نظم شوارعها ووسع في أحيائها – باعتبار أن المدينة القديمة أتى الزلزال على معظمها، وما بقي سالما من مبانيها الخاصة والعامة اتخذ بعضه كمقرات وإدارات لعاصمة البايليك الجديدة، ووزع بعضه على المقربين منه. ومن جهة أخرى سمح للكثير من الأسبان المدنيين بالإقامة في المدينة ولاسيما أصحاب الحرف والصناعات مع ضمان الحماية والمساعدة لهم. كما استقدم اليهود من مختلف المدن وخاصة من ندرومة ومعسكر وتلمسان ومستغانم وذلك قصد تنشيط التجارة.

ولم تشهد المدينة بعد وفاة الباي محمد الكبير وإلى غاية احتلالها من قبل الفرنسيين تطورا عمرانيا كبيرا سوى ما يكون قد بناه البايات الذين تداولوا على حكم المدينة من منشآت معمارية على غرار الباي عثمان بن محمد الذي تولى الحكم سنة 1213هـ/1799م مباشرة بعد موت أبيه الباي محمد الكبير، ونقل مركز حكمه من البرج الأحمر إلى القصبة.وهو الذي يكون قد بنى أو جدد جامع سيدي الهواري إضافة إلى مساكن فخمة تطرق اليها بعض الكتاب المعاصرين ولم نتمكن من الوقوف عليها.

موقع مدينة وهران الاسلامية

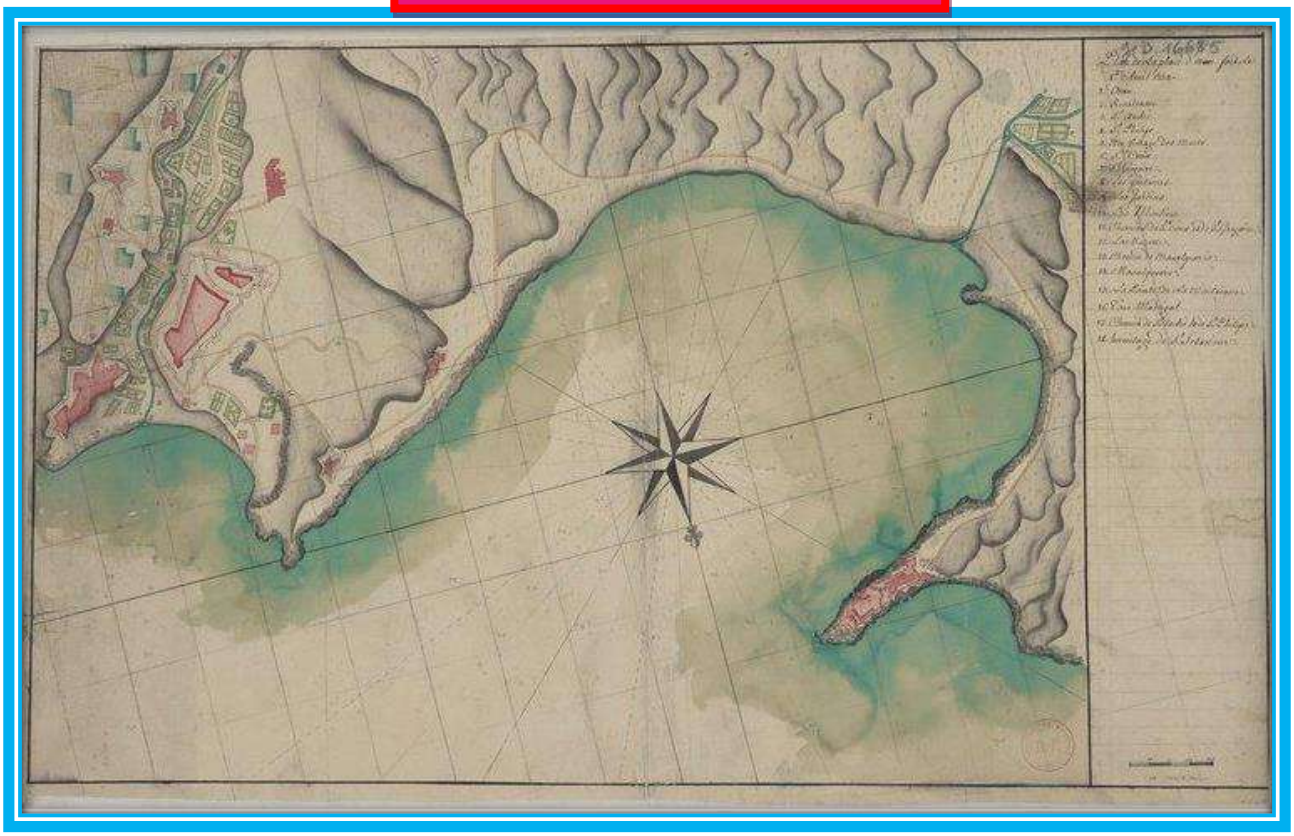

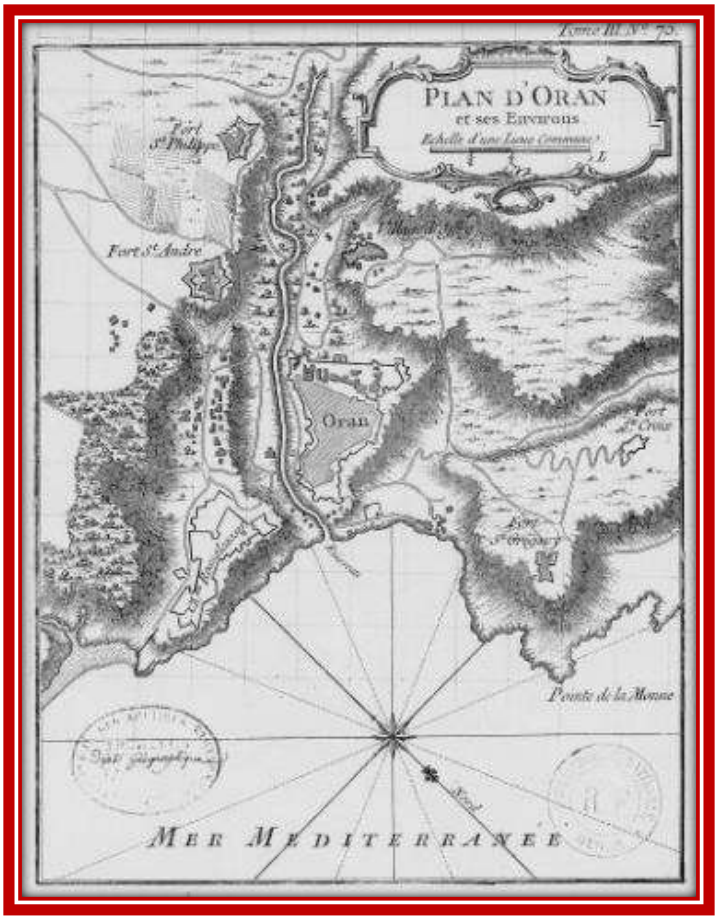

وهران خلال الاحتلال الاسباني

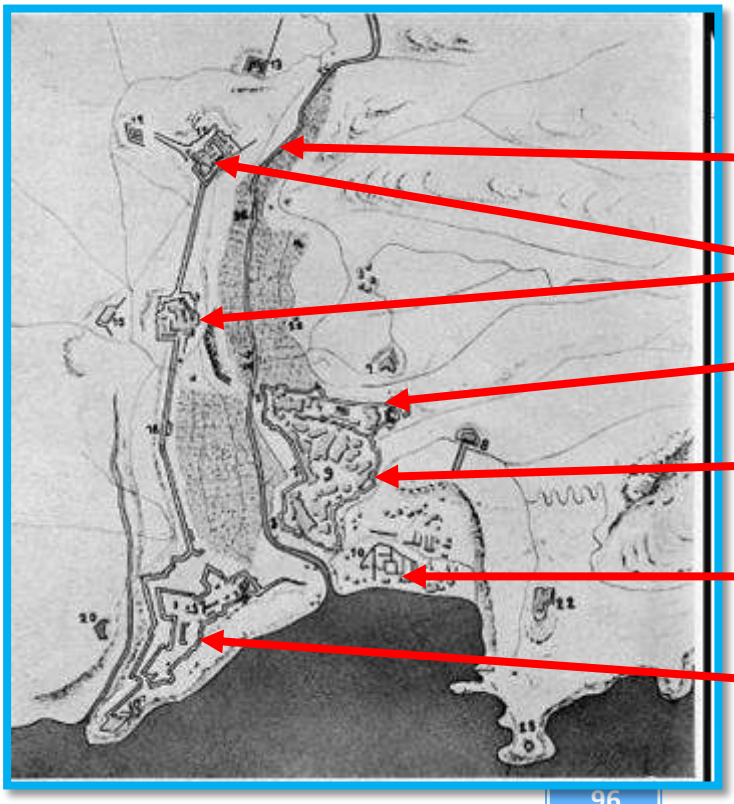

وادي الرحي

أبراج اسبانية

القصبة

المدينة الأم

حي البحرية

رأس القصر

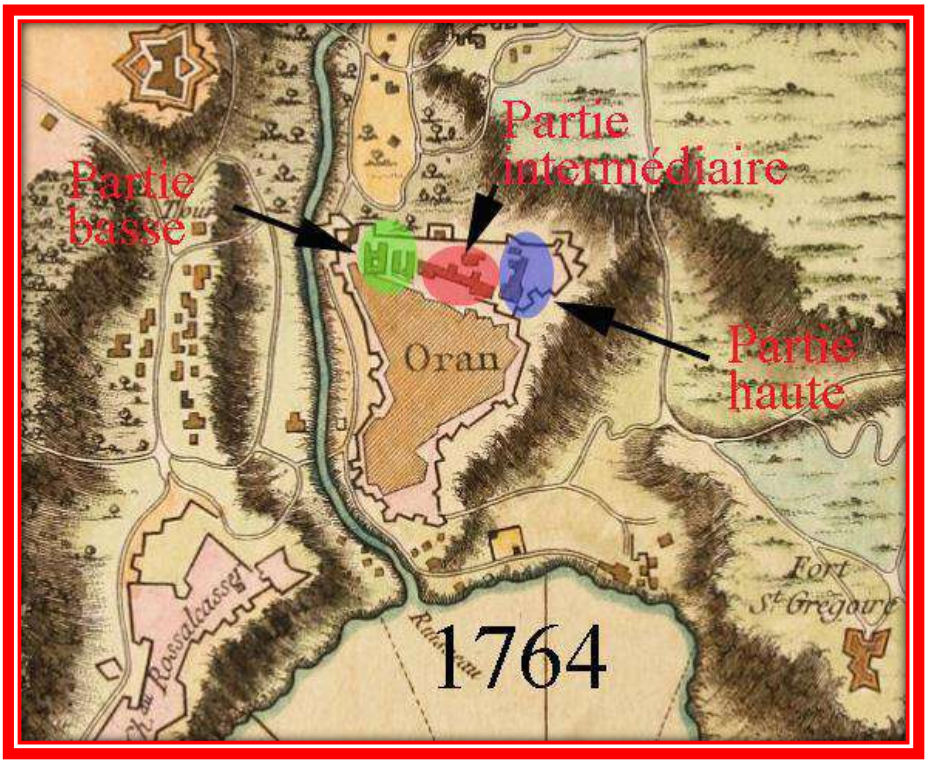

وهران خلال الاحتلال الاسباني الثاني

وهران خلال الفترة العثمانية الثانية

التطور العمراني لمدينة وهران خلال العهد العثماني:

التركيبة العمرانية لمدينة وهران :

نظرا لقلة المصادر التاريخية التي تطرقت لوهران من الناحية العمرانية ولاندثار الكثير من معالم المدينة التي ترجع إلى الفترة الاسلامية على وجه الخصوص، فإنه من الصعب تتبع التطور العمراني لها، ومع ذلك فإن ما وقفنا عليه من المصادر التاريخية ومن الشواهد المادية جعلنا نستنتج أن وهران لم تختلف في تركيبتها عن باقي المدن الاسلامية سواء من حيث نسيجها العمراني أو معالمها المعمارية:

أولا- مقر الحكم :

كانت دار الإمارة تقع في أعلى القصبة إلى الجنوب من المدينة على ارتفاع 90 م، وكان معظم حكام وهران يزاولون حكمهم منها بما فيهم الحكام الاسبان وذلك حسب المصادر التاريخية، وبعد التحرير الثاني للمدينة العام 1792م نقل الباي محمد الكبير مقر الحكم الى البرج الاحمر ثم إلى القصر الذي بناه عقب الفتح مباشرة، وخلال فترة حكم ابنه الباي عثمان (1799-1801م) انتقل هذا الأخير إلى القصبة واتخذ من قصرها الذي بناه الباي مصطفى المسراتي دارا للإمارة خلال فترة حكمه للمدينة ما بين سنتي 1708 و1732م، مع العلم أن هذين المعلمين لا يزالان قائمين إلى يومنا، ولو أن قصر القصبة أصابه الكثير من التخريب والتهديم.

قصبة وهران

ثانيا- المسجد الجامع:

لا نملك معطيات تاريخية عن مسجد المدينة الجامع من حيث موقعه أو من حيث تاريخ بناءه، إلا أنه من المؤكد أن وهران كان بها مسجد جامع تؤدى فيه صلاة الجمعة وهو ما تؤكده المصادر التاريخية، ففي حوالي منتصف القرن الخامس الهجري ذكرها البكري وتحدث عن جامعها، وفي هذا يقول : " ولها مسجد جامع"، دون أن يمدنا بمعلومات مفصلة عن الجامع ولا عن غيره من المساجد التي تكون موجودة حتما بالمدينة. وفي سنة 848هـ خلال الحكم الزياني لها زارها القلصادي على مرتين وأقام بها لأيام في الزيارة الأولى والثانية، إلا أنه لم يأت على وصفها، باستثناء الإشارة عرضا إلى جامعها الأعظم في سياق الكلام عن الأحباب والإخوان حيث قال : "... فمنهم الشيخ المتبرك: إنه مقام الوالد إمام الجامع الأعظم سيدي أبو عثمان سعد الشلوني (في)". وفي حديثه هذا إشارة غير مباشرة إلى وجود مساجد أخرى بالإضافة إلى جامعها الأعظم. في حدود منتصف القرن الحادي عشر الهجري زار العسكري والمؤرخ الاسباني كربخال وهران وهي إذ ذاك تحت الاحتلال الإسباني، وفي معرض حديثه عن تاريخ وهران واقتحام الأسبان للمدينة العام 915هـ/1509م وما ارتكبوه من مجازر ضد المسلمين، أشار كربخال عرضا إلى بعض المباني الدينية والمتمثلة في الجامع وبيت الفقيه إذ يقول: "... وإن كان بعض المسلمين قد صمدوا خمسة أيام في دار الفقيه وكانت محاذية للجامع، ولكنهم في النهاية لم يستطيعوا النجاة من الفتك أو الأسر".

ومن جهة أخرى فقد تخلف عن الفترة العثمانية العديد من المساجد منها جامع محمد بن عثمان الواقع في المدينة الاسلامية إلى اليسار من ضفة وادي الرِّحي، على يمين شارع النابلسي حاليا، والذي نرجح أن يكون هو الجامع الأعظم لاسيما وأنه يتوسط المدينة ويشرف على رحبة الجوهرة وقريبا منه يقع الحمام الكبير الذي بناه الباي مصطفى المسراتي، رغم بعده عن القصبة حيث مقر الحكم (دار الإمارة).

والذي يكون قد بُني خلال ولاية الباي مصطفى المسراتي الذي حكم بايليك الغرب بين سنتي 1119هـ و1145هـ/1708 و1732م، وإن كانت المصادر التاريخية سكتت عن ذلك.

والأكيد أن الباي الأول لوهران يكون قد بنى بالتأكيد مسجدا واحدا على أقل تقدير داخل الأسوار كانت تقام به صلاة الجمعة، خاصة إذا علمنا أن المساجد التي بنيت في المدينة قبل الاحتلال الاسباني الأول قد حولت كلها إلى كنائس كما تشير إليه الكثير من المصادر العربية والأجنبية. ومع ذلك فإن اعتقادنا هذا لا ينفي بالضرورة أن يكون الجامع أقدم في بناءه من ذلك التاريخ الذي رجحناه، ثم جُدد في عهد الباي مصطفى وأضيفت له قبة مركزية على غرار المساجد ذات الطراز العثماني.

ومما لا شك فيه أن جامع الباشا الذي بُنِيَ بعد التحرير النهائي للمدينة من الأسبان العام 1796م وبأمر من باشا الجزائر حين ذاك وقريبا من قصر الحكم؛ كان هو عنوان الحكم العثماني بوهران والجامع الأعظم لوهران، حيث ظل يرتاده البايات والأغوات طيلة الفترة الثانية من حكمهم، والذي يعتبر المعلم الوحيد الباقي الذي شُيّد على طراز المساجد العثمانية ذات القبة المركزية، حتى يكون رمزا للتواجد العثماني بهذه المدينة على غرار ما كان عليه الحال في باقي مدن الجزائر، وهو

الذي كان يُسَيَّرُ حسب اعتقادنا وفق المذهب الحنفي، ليفقد بالتالي جامع محمد بن عثمان مكانته الذي كان عليها من قبل.

وللعلم فقد ذكر إحصاء 1851م الذي قامت به سلطات الاحتلال أنه كان بالجزائر حينذاك 1569 مسجدا منها 75 في المناطق المدنية (الحضرية)، 14 منها بإقليم وهران، أما المساجد الواقعة في الريف فبلغت 1494 مسجدا، منها 194 في إقليم وهران. ومع ذلك فإن هذا الإحصاء المهم لم يُشر إلى عدد المساجد التي كانت موجودة بمدينة وهران والذي بلغ حسب اعتقادنا الأربعة مساجد على أقل تقدير، ثلاثة منها لا تزال قائمة إلى اليوم محافظة على طابعها الأصيل، بينما حول الرابع إلى كنيسة خلال فترة الاحتلال وهو الذي كان يعرف بمسجد البرانية أو جامع بني عامر، وفي العام 1400هـ/ 1980م تمّ فتحه من جديد للمصلين بعد إجراء بعض التغييرات عليه ليسمى باسم الصحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه.

وتجر الإشارة إلى الكثير من المصادر تحدثت عن كثرة مساجدها ومن ذلك حسن الوزان الذي زارها خلال القرن التاسع الهجري حيث قال: "وبها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة من مساجد ومدارس وملاجئ وحمامات وفنادق". وقال عنها كربخال :"... كانت بها التجارات الواسعة والمساجد والمدارس والمستشفيات ومحلات النزول والدور المعتبرة.

كما وجد بوهران الكثير من المدارس والزوايا والتي تعرضت لها مختلف المصادر التاريخية، ومن ذلك حسن الوازن وكربخال، وأيضا الراشدي الذي يقول في سياق حديثه عن العالم إبراهيم التازي – الذي عاش خلال القرن التاسع الهجري ومات بوهران قبيل الاحتلال الاسباني–وما شيده من المباني الدينية والتعليمية ومرافقها : "... ومن أعظم الدلائل على ولايته الباهرة، وكراماته الظاهرة، ما أجراه الحق سبحانه على يديه من بناء الزاوية النبيهية المتعددة الأبواب، والمساجد الأنيقة العالية والمرافق المعدة للزوار، وأبناء السبيل بمسجد زاويته نهاية في الفخامة

والاحتفال ومدارسها المشتملة على الميضات الأنيقة الدارة، والحمام الذي ما شوهد مثله في البلاد...". وفي ذات السياق يذكر ما أقامه للطلبة من مباني دينية فيقول: "... كم بنى بها من مباني رائعة، وزوايا رائعة... ". إلا أن جميع هذه الزوايا والمدارس تعرضت إلى الهدم من طرف الاحتلال الاسباني للمدينة.

ثالثا – الأحياء السكنية :

عرفت وهران خلال تاريخها الطويل ثلاث أحياء رئيسية كبرى وهي حي المدينة الاسلامية القديمة أو المدينة الأم وحي المدينة الجديدة وحي ثالث أصغر هو حي البحرية، وكانت هذه الأحياء الكبرى تنقسم إلى أحياء صغيرة:

1- حي المدينة الأم (القديمة) :

يعتبر النواة الأولى للمدينة يرجع تأسيسه مع نشأة المدينة عام 290هـ، يقع داخل السور القديم، ضم فيما نعتقد مختلف المباني الدينية على غرار المساجد والمدارس والزوايا والمباني المدنية كالحمامات والفنادق والحوانيت والرحاب والمساكن وغيرها، سمي خلال الاحتلال الاسباني بالبلانصا (La Blança)، وقد تفرع عنه حي أصغر هو حي القصبة الذي اشتمل على دار الامارة ومختلف المباني الحكومية إضافة إلى السجن. ولا تزال قائمة إلى اليوم فيه بعض المباني لكن في حالة جد سيئة وفي مقدمتها قصر الباي مصطفى المسراتي ودار إقامته وحمامه إضافة إلى الكثير من التحصينات العسكرية الاسبانية على أطرافه.

مع العلم أن حي المدينة الأم تضرر كثيرا بالزلزال الذي دك المدينة في أكتوبر من سنة 1790م، أمر دفع الباي محمد الكبير باستحداث مدينة جديدة على الضفة اليمنى من وادي الرحي. وهو اليوم يشتمل على الكثير من المباني الدينية والمدنية والعسكرية والتي ترجع بالخصوص إلى العهد العثماني بفترتيه الأولى والثانية وإلى فترة الاحتلال الاسباني ولو بشكل أقل. وأهم هذه المباني نذكر جامع محمد بن عثمان وجامع سيدي الهواري وضريحه وحمام الباي مصطفى المسراتي وعدد من

الدور السكنية التي لا تزال محافظة على طابعها الأصيل العائدة إلى العهد العثماني ومنها دار الباي إبراهيم الواقعة إلى جانب جامع سيدي الهواري.

2- حي المدينة الجديدة:

يعتبر ثاني أكبر أحياء مدينة وهران من حيث المساحة وعدد السكان، استحدثه الباي عقب فتحه للمدينة عام 1792م، وهو يقع خارج السور القديم ممتدا من الجنوب إلى الشمال بموازاة حي المدينة الأم، ويتفرع عن هذا الحي ثلاثة أحياء صغيرة هي:

-حي جامع الباشا : يقع إلى الشمال من المدينة الجديدة الى جانب قصر الباي، كان يعبره شارع كانيستال الذي صار الشارع الرئيسي لوهران، فعلى حوافه اصطفت العديد من المحلات والحوانيت والمقاهي اضافة الى الجامع الأعظم والحمام الذي بإزائه.

-الحي اليهودي (درب ليهود): يقع الى الجنوب من الحي جامع الباشا، وقد خصصه الباي محمد الكبير لإسكان اليهود رغبة منه في تنشيط التجارة.

-حي رحي الريح: يجاور الحيين السابقين بمحاذاة وادي الرِّحِي وقد ذكر في بعض وثائق البيع.

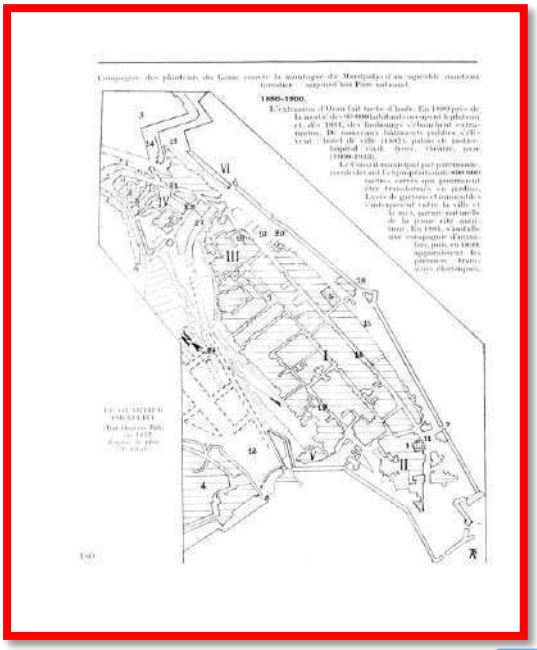

رابعا- الأسواق والرحاب:

لم نعد نعرف من أسواق المدينة إلا السوق الذي كان يقع أمام باب السوق حيث ساحة أول نوفمبر اليوم بمحاذاة سور المدينة الثاني، الذي يربط القصر الجديد ببرج الصبايحية (سان اندري) والذي كان من المفترض أن تباع فيه

مختلف السلع، غير أن الإدريسي أشار إلى تعدد أسواقها قائلا : "... وبها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافقة"، وليس غريبا أن تكون بها اسواق عديدة باعتبارها كانت مركزا تجاريا كبيرا فمنها وإليها ترد وتصدر مختلف السلع. أما ما بقي من الرحاب فهي ساحة الشيخ عبد القادر (ساحة الجوهرة سابقا)، ولو أن بعض المصادر أشارت إلى وجود العديد من الساحات ومنهم كاربخال الذي قال أن:" كل مرافقها رائقة البناء وأزقتها وساحتها جيدة الترتيب.

خامسا- الشوارع والطرقات :

لا تكاد تختلف شوارع وأزقة مدينة وهران عن باقي شوارع وأزقة مدن الجزائر خلال الفترة العثمانية على غرار مدينة الجزائر وقسنطينة بل ولا عن مدن الفترة الوسيطة، فقد تميزت شبكة الطرق بالمدينة الاسلامية بالتواءاتها وانكساراتها أحيانا وعدم انتظام في اتساعها، فقد تتسع وقد تضيق نظرا لعوامل مختلفة، وغالبا ما تتفرع عن الشوارع الكبرى طرقا أصغر تنتهي بدروب.

وبالعودة إلى وهران فقد بلغ عدد شوارعها وطرقها فيما تخلف منها نحو سبعة وعشرين، أهمها شارع سيدي الهواري (القصر القديم سابقا) الذي يمتد من الجنوب إلى الشمال كما كان الحال في أغلب المدن الاسلامية القريبة من البحر، وهذا الشارع يربط طرفي المدينة وينتهي عند مركز المدينة حيث رحبة الجوهرة، كما يوجد شارع آخر هو شارع القصبة الذي يمتد تقريبا بموازاة الشارع السابق في الجهة المرتفعة من المدينة وينتهي هو الاخر عند مركز المدينة، وبالإضافة إلى هذين الشارعين فقد وجدنا طرقا أخرى عديدة بعضها يمتد عموديا على الشارع الرئيسي والبعض الآخر بالموازاة معه.

وعقب تحرير المدينة من طرف الباي محمد الكبير استحدثت شوارع وطرقا جديدة تمخضت عن بناء المدينة الجديدة، ولعل أهم شارع استحدث هو ذلك الذي ربط المدينة الأم بالمدينة الجديدة، والذي ينطلق من باب كانيستال مارا أمام جامع

الباشا على شارع بن عمر بوتخيل (شارع فيليب سابقا) لينتهي عند باب السوق حيث المدخل الشرقي لوهران أمام ساحة أول نوفمبر حاليا، ليصبح الشارع الرئيسي الأهم حيث اصطفت على جوانبه الكثير من المباني الدينية والمدنية والحوانيت والورشات والمقاهي. كما استحدثت طرقا عديدة أخرى بداخل أحياء المدينة الجديدة، غير أن ما يلاحظ على هذه الاخيرة أنها تميزت بالاستقامة وعدم الالتواء نظرا لانتظام سكنات ومباني هذا الحي الجديد على غير عادة غالبية المدن الاسلامية.

سادسا- التحصينات العسكرية :

تعتبر وهران من اكثر المدن تحصينا في الجزائر نظرا لما امتلكته من استحكامات عسكرية عديدة، وهذا راجع في الاساس إلى الظروف الامنية والعسكرية التي مرت بها سواء خلال الفترة الوسيطة أو الفترة الحديثة، ومن ذلك احتلالها من طرف الاسبان على مرتين والذي دام أزيد من قرنين ونصف من الزمان وهذه التحصينات هي:

1- السور:

لا يزال الكثير من أجزاء السور قائمة إلى اليوم، وأكثر ما اندثر منه هو ما كان يقع في الناحية الشرقية من المدينة الاسلامية نظرا لعمليات الهدم التخريب التي قامت بها سلطات الاحتلال الفرنسي بعد احتلالها للمدينة رغبة في توسيع وهران.

يبلغ طول السور 2557م، وكان يتخلله عند أنشائه بابان؛ باب تلمسان في أسفل المدينة جنوبا وهو الباب الذي يتوجه نحو مدينة تلمسان، وباب كانيستيل، والذي يقع في الناحية الشرقية أسفل المدينة وقريبا من مصب وادي الرحى، وكان يعتبر المدخل الرئيسي حيث منه نتوجه شرقا حيث قرية كريشتل ونحو المرسى أيضا.

ونعتقد بناء على معطياتنا التاريخية والأثرية أن السور في مساره الحالي يعود بناءه إلى الفترة التي بنيت خلالها وهران وليس إلى الفترة الاسبانية، فأكثر ما قام به

الاسبان هو تجديدة وترميمه وزيادة تقويته، ومن جهة أخرى فمازالت لحد اليوم آثار السور الأصلي قائمة وبالخصوص في القصبة، والتي نرجح أنها تعود إلى العهد الموحدي على أقل تقدير بحكم مواد وتقنية البناء الاسلامية.

وفي فترة لاحقة من تاريخ وهران أضيف سور ثاني إلى الشرق من المدينة، يمتد من الشمال إلى الجنوب حيث القصر الجديد وينتهي عند برج بني زروال (سان فيليب)، وكان يتخلله بابان؛ باب السوق شمالا وباب الجيارة عند برج الصبايحية(برج سان اندري) جنوبا، غير أن معالم هذا السور اندثرت تماما في بداية الاحتلال الفرنسي.

وقد زود السور الأول للمدينة من بعض جهاته بخندق كنظام دفاعي متقدم، كان الهدف منه إعاقة المهاجمين عن التقدم، كما استعمل أيضا لتجميع مياه الامطار. أما من الناحية الشرقية للمدينة الأم فقد شكل وادي الرِحّي خندقا طبيعيا زود بجسرين للعبور إلى الضفة اليمنى؛ عرف الأول باسم جسر تلمسان لوقوعه قرب باب تلمسان والثاني عرف باسم كانيستال لوقوعه هو الآخر قرب باب كانيستال.

2- الأبواب :

كان يتخلل سُوريْ المدينة العديد من الأبواب وصل عددها إلى تسعة حسب البعض تتوزع بحسب الجهات والنواحي، اندثر اغلبها بُعيد احتلال فرنسا لوهران، ولم يبق منها إلا بابان هما:

أ- باب كانيستال: عرف أيضا باسم باب البحر لاشرافه وقربه من الساحل، كما سمي بباب الجزائر وباب الشرق وباب سوق الخيل. يعتبر أقدم باب للمدينة إلى جانب باب تلمسان، لا يزال قائما إلى اليوم، وكان يعتبر الأهم من بين جميع أبواب المدينة، شهد ترميمات مهمة خلال الفترة الاسبانية.

ب- باب سانتون: سمي أيضا بباب مايوركة وباب المرسى، وهو يقع في الناحية الغربية الشمالية من المدينة، بناه الاسبان عند احتلالهم الثاني للمدينة سنة 1754م،

لا يزال في حالة جيدة من الحفظ، كان يؤدي إلى المرسى وحي البحرية وإلى مرتفعات مرجاجو إضافة إلى الأبراج الاسبانية القريبة.

وإلى جانب هذين البابين فقد كان لوهران عدة أبواب أخرى تردد ذكرها في الكثير من المصادر سواء العربية أو الأجنبية ولا سيما الفرنسية منها وهي :

-باب تلمسان: كان يقع قريبا من الركن الجنوبي الشرقي لوهران على الضفة اليسرى من وادي الرحي.

-باب القصبة: يقع أعلى القصبة ويؤدي إلى مرتفعات مرجاجو، وقد ذكره المؤلف الفرنسي بييس (Piésse).

-باب السوق: عرف بالاسبانية باسم : (La Barrera de Rosalcazar) سماه الفرنسيون بباب نابليون، بناه الاسبان سنة 1740م، كان يوجد كما أسلفنا عند نهاية السور الثاني للمدينة قريبا من البرج الأحمر والذي كان يتصل بباب كانيستال عبر طريق صار الشارع الرئيسي للمدينة عقب تحريرها الثاني من الاسبان عام 1792م.

-باب الجيارة: شيده الاسبان وسموه بـ(Rasserio de la Cantera) كما سمي بباب المحاجر وبباب سان أندري، يقع إلى الجنوب من الباب السابق عند برج الصبايحية (سان أندري) غير بعيد عن مسجد البرانية حيث كانت أفران الجير.

-باب عمارة : يقع غرب البرج الاحمر وقرب مصب وادي الرحى، استعمله قاطني حي البحرية لدخول المدينة.

كما ورد في بعض الكتابات أسماء أبواب أخرى هي باب لامون وباب الحمراء وباب البيرتا(Bab el Puerta)، لكن لم نتعرف على مواضعها، ولا عن حقيقة وجودها فقد تكون تسميات لأبواب سبق ذكرها.

3- الأبراج والحصون:

كان للمدينة العديد من التحصينات العسكرية التي ترجع إلى الفترة الوسيطة، وما تخلف منها أعاد استعماله الاسبان عند احتلالهم للمدينة سنة 1509م بعدما أدخلوا عليها بعض الاصلاحات، ومن ذلك السور بأبراجه والبرج الأحمر والقصبة، كما أنشأوا عددا من الحصون والأبراج في الفترة الأولى من احتلالهم للمدينة (1509-1708م). وقد ذكرها الراشدي باسهاب حيث يقول : "... وهي محوطة بحصون شامخة راسخة كأنها الهضاب، وفيها مدافع معدة لرمي الجنود كأنها أسود غضاب. وهي خمسة حصون عظام صعبة المرام، لكل منها خندق خاص دائر به من جميع جهاته كأنه متمنطق به، وعلى شفاه الخندق خشب محددة الرؤوس دائرة، يلي كل حصن حصنا أصغر منه بينهما فراغ لا يخلص إلى الأكبر حتى يتخلص من الأصغر...". وهذه الحصون والأبراج هي برج مرجاجو وبرج بن زهوة المسمى أيضا ببرج القديس غريغواري وبرج لامون وبرج القديس فرديناند. وخلال الفترة الثانية لاحتلالهم وهران (1732-1792م) قاموا ببناء تحصينات عسكرية أخرى خاصة على الضفة اليمنى لوادي الرحي على غرار حصن القديس أندري المعروف ببرج الصبايحية وحصن القديس فليب المعروف ببرج بني زروال إضافة إلى برج القديسة تيراز وبرج القديس ميغال وبرج القديس كارلوس. وكانت هذه الابراج والحصون مدعمة باسوار وانفاق تعزز دفاعاتها. وقد أشار الراشدي إلى كثرة أنفاقها وقوة تحصينها خلال الاحتلال الثاني لها من طرف الأسبان مقارنة بما كانت عليه زمن الباي مصطفى المسراتي فقال : "... وما من موضع من هذه المواضع إلا وفيه نفق يؤدي إلى غيره، فمن كان فيها وأراد أن يذهب تحت الأرض إلى أي موضع منها أو من المدينة ذهب، وبذلك ازدادت هذه المدينة تحصينا على ما كانت عليه في زمن أبي شلاغم...".

غير أن هذه الحصون والأبراج نالها ما نال المعالم المعمارية عموما من الهدم والتخريب والإهمال ولم يبق منها إلا القليل قائما، وفي مقدمتها حصن مرجاجو والبرج الأحمر.

سابعا- الأرباض:

عرفت وهران العديد من الأرباض استحدثت كلها من قبل بايات البايليك لعدة أهداف وأغراض باستثناء ربض البحرية، كانت تقع على الطرق الكبرى المؤدية إلى المدن المشهورة حينها كتلمسان ومعسكر ومستغانم، وهذه الأرباض هي:

1- ربض إفري: يقع جنوب المدينة، أنشأه الباي الأول لوهران مصطفى المسراتي عام 1701م أين أقام رباط الطلبة لمحاصرة الإسبان الذي استطاع دحرهم وطردهم من وهران والمرسى الكبير عام 1708م. بعد الاحتلال الثاني للمدينة سنة 1732م؛ استوطن البلدة القبائل الموالين للمحتل المعروفون بـ"المغاطيس"، لكن وبفعل الهجمات المتتالية للجزائريين اضطر هؤلاء للانسحاب مرة أخرى واللجوء الى حي لاكاليرا (La Calera) الواقع بمقربة من سور المدينة الغربي. لتعمر بلدة افري من جديد خلال الحصار الثاني للأسبان من طرف الباي الثاني لوهران محمد الكبير عام 1789م، أين أقام رباطا للطلبة، وبعد التحرير صارت ضاحية تعج بالسكان.

2- ربض القليعية: يقع إلى القرب من باب الجيارة، وهو الربض الذي سكنه الأشخاص القادمين من قلعة بني راشد بنواحي معسكر ابتداء من عام 1790م، بتشجيع وتحفيز من الباي محمد الكبير.

3- ربض رأس العين: يقع قريبا من منبع وادي الرحي في الناحية الجنوبية من وهران، على مقربة من حصن رأس العين (San Fernando).

4- ربض خنق النطاح: أهم ضواحي المدينة على الاطلاق، يقع إلى الشرق من المدينة ذو مساحة ممتدة ومصادر مياه كثيرة، سكنته قبائل الدوايز والزمالة والغرابة،

أقام به الباي محمد الكبير مدرسته الشهيرة وهي لا تزال قائمة إلى اليوم، والتي تخرج منها الكثير من علماء المنطقة ومن بينهم الأمير عبد القادر.

ولقد كان القصد من إقامة هاتين الضاحيتين الأخيرتين بعد عام 1792م توطين القبائل شبه الرحل من جهة، ومن جهة أخرى لامتصاص الفائض من السكان التي عجزت المدينة من استيعابهم، بحيث أن عدد الذين سكنوا بالضاحيتين تساوى أو فاق عدد من سكن وهران داخل الأسوار.

5- ربض البحرية: شيد شمال المدينة في المساحة المحصورة بينها وبين البحر بالضفة الغربية لوادي الرحي، سكنه أول الأمر الأندلسيون، وباحتلال المدينة سنة 1509م أُبعِدو من طرف الاسبان الذين قاموا بتوسيعه من خلال انشاء بنايات جديدة سنة 1563م، وقد تعرض لعمليات تعمير جديدة بعد احتلالهم الثاني لوهران، ليصبح بعد ذلك أحد أهم الاحياء كما سبق وأن أشرنا من قبل.

ملحق المخططات والأشكال والصور

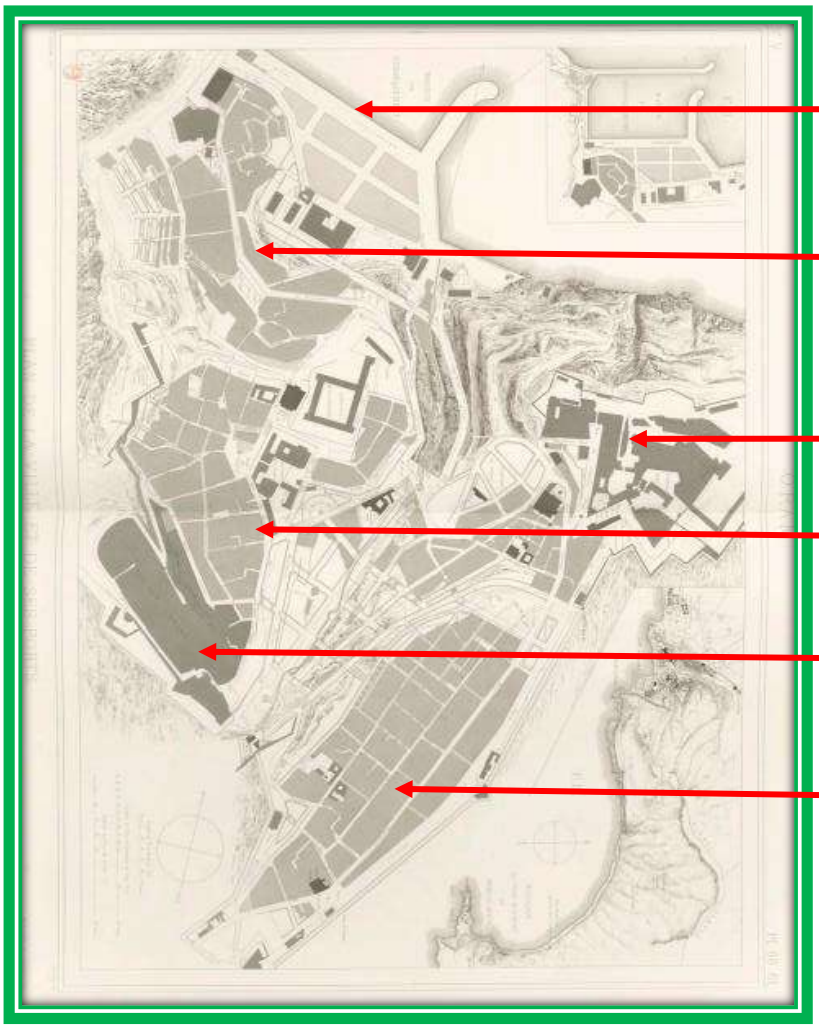

قائمة المصادر والمراجع:

- **مارمول، كربخال**، إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1988.
- **الوزان، حسن بن محمد الفاسي**، وصف إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1983م.
– **جبار، آسيا**، مدن الجزائر في القرن التاسع عشر، منشورات ANEP، الجزائر، ب.ت.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1410هـ/ 1980م.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع الهجري(16-20م)، الجزءان الأول والثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
- **سعيدوني، ناصر الدين**، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- **سعيدوني، ناصر الدين والبوعبدلي المهدي**، الجزائر في التاريخ؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
محفوظ بوطبة، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر –معهد الآثار، 2016/2017م.
- **الواعر، صبرينة** " الغزو الاسباني للمدن والموانئ الجزائرية؛ وهران والمرسى الكبير أنموذجا"، أعمال الملتقى الدولي؛ الموانئ الجزائرية عبر العصور "سلما وحربا" المنعقد يومي 07-08 ديسمبر 2009م، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر.
- **دي ايبلزا، ميكال و الوسلاتي الهادي** "ملاحظات أب اسباني يزور وهران في عهد مصطفى بوشلاغم"، المجلة التاريخية المغربية، العدد12، 1978م.
- **مقيبس، بشير**، مدينة وهران؛ دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
- **بوعزيز، يحيى**، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م.
- **بوعزيز، يحيى**، وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1985م
- **الناصري أبو راس، محمد بن أحمد بن عبد القادر**، الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق؛ سليمة بن عمر، دار صنين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، د.م، 2002م.

- **المزاري، آغا بن عودة إسماعيل،** طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر،الجزء الأول، تحقيق ودراسة : يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م.
- **الزياني، محمد بن يوسف،** دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م.
- **الراشدي، ابن سحنون،** الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر،2013م.
- **المشرفي، عبد القادر بن عبد الله إبن أبي جلال،** بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، مخطوط منشور على شبكة الأنترنت، مدونة سيدي بن عزوز (albordj.blogspot.com).
- **بورويبة، رشيد،** وهران، سلسلة فن وثقافة، 1979م.
- **بلجوزي، بوعبد الله،** آثارعمران حواضر بايليك الغرب في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2012/2013م.

Lespès, R, « Oran, ville et port avant l'occupation française (1831) », In Revue africaine, N° 75, 3° trimestre, 1934. PP 277-335.

Don Joseph Valléjo, « Contribution à l'histoire du vieil Oran », Trad : Casenave, In R.A., V. 66, 1925.

In **Casenave, Jean**, « Contribution à l'histoire du vieil Oran », RA., V. 66, 1925.

Birebent Paul, " Oran avant la France", L'Algérianiste, n° 103, Septembre, 2003.

Ferhat Bendaoud, R. H., étude de l'Architecture militaire de la ville d'Oran pendant l'occupation espagnole 1505-1792, d'architecture et Mémoire de Magister, école polytechnique d'urbanisme, Alger, 1999/2000.

Benkada Saddek, Espace urbain et structure sociale à Oran de 1792 à 1831, Mémoire de diplôme d'étude approfondies, université d'Oran, Institut des sciences sociale, Oran, 1988.

Seguy George ,Oran et l'Algérie en 1887, tome 2, Libraire - éditeur, Oran, 1888.

Salinas Alfred, Oran la joyeuse ; Mémoire franco-andalouses d'une ville d'Algérie, Editions L'Harmattan, Paris, 2004.

Lapène Edouard, Tableau historique de la province d'Oran, le départ des espagnols en 1792, jusqu'à l'élévation depuis d'Abdel-Kader en 1831, Metz, 1842.

Lespès René, Oran ; etude de geographie et d'histoire urbaines, Librairie Félix Alcan, Paris, 1938.

Kehl,Camille, Oran et l'Oranie avant l'occupation française, Imprimerie L. Fouque, Oran, 1942.

Mikel et Vilar Juan Bta, Plans et cartes)**de(Epalza** l'Algérie, 16ème- 18ème siecles, Julio Soto hispaniques de S.A, Madrid, 1988. Impresor,

Fey ,Henri-Léon, Histoire d'Oran ; avant, pendant et après la .domination espagnole, Edition Dar-el-Gharb, Oran, 2002

Golvin,L, Le Maghrib central à l'époque des Zirides, recherches Paris, graphiques, d'Archéologie et d'histoire, Arts et Métiers 1957.

Golvin,L, La Mosquée, Imprimeries La Typo-litho et Jules

réunies, Alger, 1960. carbonel

Golvin,L, Recherche archéologique à la Qala de banu Hammad, Maison neuve, Paris, 1965.

Cruck,E, Oran et les témoins de son passé, Imprimerie Heintz Oran, Octobre, 1956. frères,

Abadie Louis, Oran et Mers El- Kébir, vestiges du passé Edition Gandini,Paris, 2002. espagnol**,**

Esterhazy Walsin, De la domination turque dans l'ancienne d'Alger, librairie de charles Gosslin, régence Paris, 1840.

Pièsse, louis, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Paris, 1862 Hachette,

Raymond, André, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, . Editions Sindbad, Paris, 1985

Reclus Onésime, Sites et Monuments ; Algérie (Alger-Constantine-Oran), Tourning –club de France, Paris, 1902

Shaw,(Dr), Voyage dans l régence d'Alger, Traduit de l'Anglais par J.Maccarthy, Paris, 1850.

المحاضرة الثامنة

العمارة الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني

العمارة الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني

تمهيد:

تعتبر عمائر العصر العثماني بمختلف أنواعها بالجزائر هي الأكثر عددا بين عمائر العصور السابقة التي مازالت قائمة لطول أمد العصر العثماني وقرب العهد منه، وهو الأمر الذي نلاحظه في العديد من الدول التي خضعت للحكم العثماني على غرار تونس ومصر وبلاد الشام عموما، وقد مثلت تلك الآثار الشاهد المادي الأبرز - الذي لا تخطئه العين- الدال على الإمتزاج الحضاري والثقافي بين الأتراك والسكان المحليين.

وقد احتلت العمائر الدينية المكانة الأسمى والمقام الأول بين أنواع العمائر التي عكف العثمانيون على إقامتها في مختلف مدن الجزائر، كما كان الحال خلال العصور السابقة، ذلك أن الشارع الحكيم شجّع على بناءها لما في ذلك من الثواب العظيم، بل وأحيانا أوجب إقامتها وشدد في ذلك كما بالنسبة للمساجد حفظا لمقصد مهم من مقاصد الشريعة الإسلامية وهو الدين، وعليه فليس من الغريب أن تُعدّ المساجد في الجزائر أو في غيرها من البلاد الإسلامية أهم الأبنية الدينية على الإطلاق والأكثر حضورا وعددا مقارنة بغيرها من الأبنية.

والجدير بالذكر أن النشاط المعماري الذي جرى في الجزائر على عهد العثمانيين أكبر بكثير مما سبق وأن كُتِبَ عنه أو ما تَخلف عن ذلك العهد، ذلك أن الدراسات التي أُنجزت في هذا المجال من قبل الفرنسيين على وجه الخصوص أهملت تلك الفترة، ومن جهة أخرى فقد قام المحتل بحملة هدم واسعة جدا طالت معظم ما بني خلال هذا العهد.

ومع ذلك وبالرغم مما طال عمائر العهد العثماني بمدن الجزائر عموما من تخريب وهدم، فإن ما تخلف منها يُعد من الشواهد الأثرية الهامة التي منها نستقي الخصائص المعمارية والفنية لعمائر تلك الفترة وفي مقدمتها المباني الدينية والممثلة خصوصا في المساجد.

أولا – المساجد:

ذكر إحصاء 1851م الذي قامت به سلطات الاحتلال أنه كان بالجزائر حينذاك 1569 مسجدا منها 75 في المناطق المدنية (الحضرية)، أما المساجد الواقعة في الريف فبلغت 1494 مسجدا. إلا أنه لم يتبق من هذه المساجد إلا العدد القليل بسبب الهدم الذي تعرضت له خلال فترة الإحتلال.

وقد تميزت مساجد الجزائر خلال الفترة العثمانية عموما بما يلي:

- أبعادها المتواضعة مقارنة بمساجد العثمانيين بتركيا.
- المظهر الخارجي البسيط وثراءها الفني بالداخل.
- الإهتمام بجدار القبلة والمحراب إضافة إلى المدخل والمئذنة.
- ظهور طرازين من المساجد؛ المحلي والوافد مع ثالث هو مزيج بين الطرازين.
- تنوع مخططات بيوت الصلاة في المساجد الجزائرية.

ورغم هذا التنوع في الأشكال والعناصر المعمارية فإن العامل الديني ساهم بشكل رئيسي في توحيد مضمونها وجوهرها في مختلف بلاد المسلمين بما فيها الجزائر، وهو أمر يحسب للعمارة الاسلامية التي جمعت بين الوحدة والتنوع.

1- مساجد الطراز المحلي:

ينسب نمط هذه المساجد التي بنيت خلال الفترة العثمانية بالجزائر إلى الطراز المغربي الأندلسي الذي يتميز بالسمات التالية :

أ- خضوع التخطيط المعماري لبيت الصلاة فيه للنظام المعروف بنظام التخطيط القائم على الأعمدة (Hypostyle) أو الدعامات والذي لا تشكل فيه القبة العنصر الأساسي.

ب- وجود صحن تتوسطه فسقية تحيط به الاروقة من ثلاث جهات غالبا.

ت- قيام مئذنة واحدة ذات مسقط مربع في أحد جوانب المسجد.

ث- وجود محراب يتوسط جدار القبلة يكتنفه عمودان وينفتح بعقد منكسر متجاوز.

ج- إستخدام المنبر الخشبي المتحرك والذي خصصت له غرفة ضيقة تقع يمين المحراب.

ح- شيوع العقود المنكسرة المتجاوزة والمفصصة و بشكل اقل العقود نصف الدائرية.

خ- إستخدام الأعمدة الملساء ذات التيجان من الطراز المغربي الاندلسي.

د- إعتماد السقوف الهرمية والمسطحة إضافة إلى الاقبية والقباب - منها المضلعة- ولو بشكل أقل.

وإن كان من المعلوم أن المساجد ذات الطراز المحلي خلال الفترة العثمانية قد تشابهت من حيث تخطيطها العام فإنها بالمقابل اختلفت من حيث توجه البلاطات وبالتالي فإننا أمام نمطين اثنين:

- **نمط البلاطات الموازية لجدار القبلة الذي ظهر في وقت مبكر من العصر الإسلامي.**
- **نمط البلاطات العمودية على جدار القبلة وهو الذي ظهر في المسجد الأقصى.**

واستمر العمل بهذا التخطيط في الجزائر خلال الفترة العثمانية رغم ظهور طراز جديد هو الطراز العثماني الذي تشكل فيه القبة المركزية عنصرا محوريا. ومن ضمن المساجد التي ظلت وفية للتصميم القديم نشير إلى **مسجد القصبة البرّاني** بمدينة الجزائر و**جامع سيدي لخضر** بقسنطينة و**مسجد الإمام سيدي الهواري** بوهران وأيضا **الجامع الكبير** بمعسكر.

1.1- مسجد القصبة البراني بمدينة الجزائر :

1.1.1- الموقع: يقع جامع القصبة الخارجي والمسمى بالبَرَّاني في مقابل قلعة الداي بقصبة مدينة الجزائر، يحده من الجهة الشرقية شارع النصر أما من الناحية الغربية والجنوبية فتحده ثكنة عسكرية ويفصل بينهما شارع محمد طالب.

2.1.1- تأسيس المسجد: من المرجح أن يعود تأسيس الجامع إلى عام 1064هـ/1653-1654م من خلال وثائق تشير إلى وجود مسجد صغير يقابل باب القصبة الجديدة، إلا أن حسين باشا آخر دايات الجزائر أعاد بناءه أو توسيعه، وذلك بسبب انتقال مقر الحكم إلى المقر الجديد بقلعة الداي عام 1234هـ/1818م، وهذا ما تشير إليه كتابتان أثريتان ثبتت أعلى مدخلي المسجد.

3.1.1- تاريخ المسجد: بُعيد احتلال مدينة الجزائر سنة 1830م استغل المسجد من طرف جيش المحتلين، وفي سنة 1839م تسلمته وزارة داخلية الاحتلال وحول إلى كنيسة دعيت باسم القديسة كروا (Sainte-Croix)

4.1.1- الوصف المعماري للمسجد: هو عبارة عن مسجد من الحجم الصغير ذو شكل مستطيل، يتم الدخول إليه عبر مدخلين رئيسيين، أما بيت الصلاة فيه فذات عرض 14.50م وعمق 12.5م، يتشكل من أربع بلاطات وخمسة أساكيب.

يضم المسجد محرابا من النوع البسيط ذو تجويف نصف دائري يتوسط جدار القبلة، إرتفاعه 2.40م وعرضه 2.30م، واجهته مزدانة بالمربعات الخزفية الأصيلة، يكتنفه عمودان أملسين بارتفاع 1.45م وبقطر 20سم ذات تاجين بسيطين، متوج بعقد منكسر متجاوز.

تقوم عقود بيت الصلاة على أعمدة من ثلاثة أنماط، أما النمط الأول فذو ساق مركب جزءه السفلي مثمن الأضلاع بينما جزءه العلوي فمظفر، تيجانه تتشكل من لفائف تحتل الأركان

الأربعة. أما النمط الثاني فذو بدن أملس وتاج شبيه بتيجان النمط الأول، وأما النمط الثالث فبدنه مثمن الأضلاع ينتهي بتاج بسيط ذو نتوءات.

للمسجد نوافذ صغيرة ذات شكل مستطيل بارتفاع 1.67م وبعرض 1.05م، كل نافذة متوجة بعقدين بصليين يفصل بينهما عمود حلزوني من الرخام يعلوه تاج بسيط مربع.

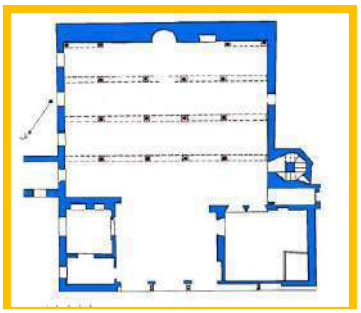

أما **مئذنته** فتحتل منتصف الجدار الجنوبي الغربي ذات مسقط ثماني الأضلاع، ترتفع بنحو 8.50 م، تتكون من البرج الرئيسي والجوسق الذي لا يتعدى ارتفاعه المتر الواحد.

ينتهي البرج الرئيسي بشرافات هرمية الرأس تحتل أربعة منها زوايا الأضلاع وأربعة أخرى منتصفاتها.

يتشكل جوف المئذنة من دعامة مصمتة يلتف حولها سلم صاعد من 28 درجة، تضاء هذه الدرجات ببعض المزاغل المزدانة من الأعلى ببلاطات خزفية خضراء وبيضاء اللون ذات زخارف نباتية.

2.1- الجامع الأخضر بقسنطينة:

1.2.1- موقع الجامع: يقع بوسط المدينة بالقرب من رحبة الصوف أسفل القصبة، يشرف من ناحية الغرب على شارع سيدي لخضر، ومن ناحية الجنوب على نهج كامب.

2.2.1- التسمية: سُمِي بجامع سيدي لخضر نسبة إلى الولي الصالح سيدي لخضر قيّم الجامع والمدفون خلفه، كما ذُكر هذا الأخير في مختلف النصوص والوثائق الرسمية على غرار سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات باسم الجامع الاخضر للونه الأخضر الغالب عليه تيمنا ببعض المساجد العثمانية.

3.2.1-التأسيس: يعود بناء الجامع الأخضر عام 1156هـ/1743م من طرف باي قسنطينة حسن المدعو بوحنك الذي تولى حكم البايليك ما بين سنتي 1148 و1168هـ/1736 و1754م. ومن جهة أخرى يضم الجامع كتابتين تأسيسيتين كتبتا بالخط المغربي بأسلوب الحفر البارز، وهما مثبتتان بالواجهة الخارجية للجدار المقابل للمحراب، أما الأولى فهي من الجص موجودة أعلى النافذة التي تتوسط مدخلي بيت الصلاة، ذكر فيها إسم المؤسس وتاريخ التأسيس الذي هو 1156هـ. وأما الكتابة الثانية فهي تعلو المدخل الأول لبيت الصلاة نقشت على لوحة من الرخام، وهي عبارة عن أبيات من الشعر تشير إلى المؤسس وتاريخ التأسيس.

4.2.1- الوصف المعماري للجامع: يقع المسجد تقريبا وسط مجموعة من المباني التي تحيطه من جميع الجهات فيما عدا جانبا منه في الجهة الجنوبية وجانبا ثان في الجهة الشمالية. والجمع يتكون من طابقين، تقع أسفل أحدهما حوانيت تصطف على جانبي ساباط، والذي يوجد إلى الغرب من فتحته المدخل الرئيسي للجامع.

تظهر في إحدى واجهات الجامع خمس نوافذ كبيرة ذات شكل مستطيل مسدودة بشبابيك معدنية، وتبرز في مؤخرة بيت الصلاة مئذنة ذات قاعدة مربعة وبدن وجوسق مثمنين، وفي الواجهة الأخرى فتحت نافذة واحدة فقط.

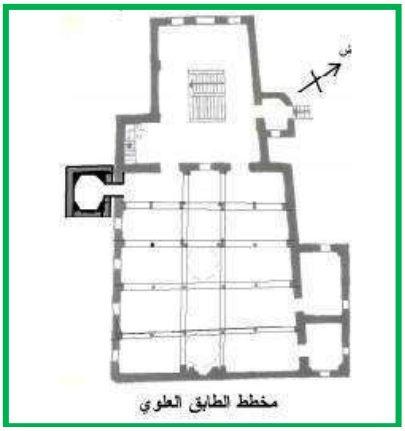
مخطط الطابق العلوي

ويضم الجامع مدخلين يقعان في الطابق السفلي حيث الحوانيت، أما الأول فيقع في الضلع الجنوبي إرتفاعه 1.90م وعرضه 1.36م تتقدمه سقيفة، وإلى القرب منه فتح مدخل رئيسي ثان

بأبعاد 1.86 في 1.40م له باب خشبي من مصرعين، وهو يفضي إلى الفناء الفاصل بين الجامع والقبة الضريحية التي تقع خلفه باتجاه الغرب.

أما بيت الصلاة فيقع في الأعلى فوق الحوانيت والساباط ذو شكل مستطيل عمقه 15.20م وعرضه 12.60م يتم الولوج إليه عبر مدخلين فتح في ضلعه الشمالي الغربي تتوسطهما نافذة. ويتكون بيت الصلاة من خمس بلاطات موازية لجدار القبلة تقطعها بلاطة وسطى محورية وأربعة أساكيب عمودية، ذات عقود نصف دائرية وأحيانا متجاوزة قليلا، فيما عدا العقود التي تقوم عليها القبة التي تتقدم المحراب والقبة التي تتوسط بيت الصلاة حيث تنتهي حوافها بفصوص، تقوم هذه العقود على أعمدة رشيقة اسطوانية البدن قصيرة بارتفاع 1.40م تعلوها تيجان بسيطة في معظمها ذات طراز حفصي. كما استعملت دعامات مدمجة في الحائطين الشمالي والغربي.

وقد استخدم في تغطية بيت الصلاة سقف مسطح من الداخل وهرمي من الخارج، بينما غطيت التي تتقدم بيت الصلاة وتلك التي تتوسط البلاطة الوسطى بقبتين تقومان على حنايا ركنية.

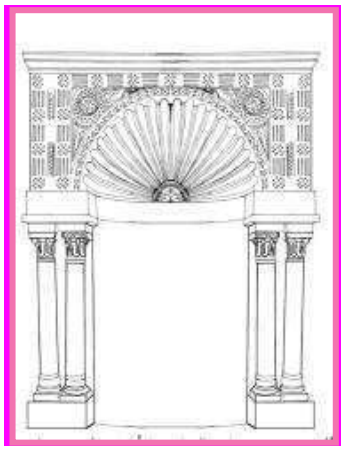

أما **المحراب** فتشكل من حنية نصف دائرية بعرض 1.36م وبعمق 0.75م، تعلوه نصف قبيبة تأخذ شكل محارة، وهو مكسو ببلاطات خزفية مربعة، يكتنفه عمودان مزدوجان أملسان لها تيجان مزخرفة، وتنتهي هذه الأعمدة بعقد مفصص.

ونجد على يمين المحراب **منبرا** خشبيا بطول 2.80م وبعرض 0.70م، وعلى محوره في البلاطة الرابعة تقع دكة المبلغ التي ترتكز على أربعة أعمدة من الرخام ذات بدن حلزوني منتهي بتاج بصلي يزينه صفان من أوراق الأكانتس.

وتقوم في البلاطة المتطرفة سدّة خشبية ذات درابزين ترتكز على أعمدة من الخشب، يتم الصعود عليها عبر سلم خشبي خارجي ينتهي بباب عبر الجدار الغربي.

لبيت الصلاة بابان فتحا في جدارها الشمالي، أحدهما يشرف على البلاطة الأولى يوصل إلى غرفة الإمام والثاني على البلاطة الثانية يفضي إلى إحدى الغرف، أما المدخل الثالث فيؤدي إلى ممر مسقوف يفضي بنا إلى سلم المئذنة. وقد ازدانت جدران بيت الصلاة ببلاطات خزفية تصل إلى ارتفاع 1.80م مستوردة من عدة بلدان منها التونسية والايطالية.

أما الصحن فيقع بالطابق السفلي يفصل بين بيت الصلاة والقبة الضريحية ذو شكل شبه مربع، إلا أننا لا يمكن اعتباره صحنا بالمعنى التقليدي، ذلك أنه عبارة عن مساحة من الأرض تخلو من العناصر المكونة لصحون المساجد الاسلامية.

ويضم الجامع الأخضر ميضأة تقع إلى الأسفل منه مساحتها تقدر بـ5X11.20م، يتم الوصول إليها عبر مدخلين أحدهما يقع بالطابق السفلي والثاني بالطابق العلوي الذي يتقدمه درج نازل.

وأما **المئذنة** فهي منفصلة عن الجامع تقع قريبا من الركن الجنوبي الغربي، تتشكل من قاعدة مربعة بارتفاع 3م وبدن مثمن، تنتهي بجوسق مثمن هو الآخر تتوجه قبيبة مثمنة تنتهي بعمود ركبت فيه تفاحتان يعلوهما هلال. ويمكن الصعود إلى أعلاها عبر سلم خشبي مشكل من 84 درجة تدور حول نواة مركزية أسطوانية مصمتة من الخشب، يُضاء سلم المئذنة بواسطة مزاغل فتحت في جدرانها.

3.1- مسجد الإمام سيدي الهواري بوهران:

1.3.1- موقع المسجد: يقع مسجد الإمام سيدي الهواري في مدينة وهران الاسلامية على الضفة اليمنى من وادي الرّحِي، يحده من ناحية الشرق ضريح سيدي الهواري والبنايات الفرنسية

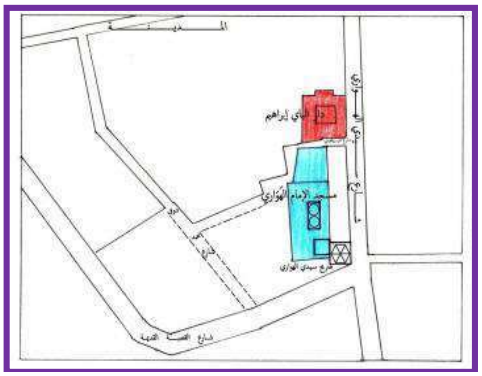

المشرفة على شارع سيدي الهواري وشارع دوك محمد من ناحية الغرب، ويشرف من جهة الشمال على طريق دي ريفولي (De Rivoli)، أما من ناحية الجنوب فيشرف على شارع حاسي محمد.

2.3.1- التأسيس: يعود بناء المسجد كما تشير إليه عديد المصادر الفرنسية إلى الباي عثمان بن محمد الكبير وذلك عام 1213هـ/1799-1800م، غير أن الكتابة التأسيسية المعتمد عليها في تأريخه مفقودة حاليا، ومع ذلك فقد أشار إليها المؤرخ الفرنسي بييس (Piésse).

3.3.1-المؤسس: هو عثمان بن محمد بن عثمان الإبن الأكبر للباي محمد الكبير، ثالث بايات وهران والثامن والعشرون الذي حكم بايليك الغرب، نصبه أبوه خليفة له على القطاع الشرقي للبايليك، رافق أباه في حملته على الجنوب الجزائري.

4.3.1-الوصف المعماري للمسجد: يأخذ المسجد في شكله الحالي شكلا مستطيلا بطول 24.75م وبعرض 12.05م متربعا على مساحة تقدر بـ298م^2، وهو يضم بيت الصلاة والمئذنة والميضأة الواقعة أسفل بيت الصلاة، تندمج واجهته الشرقية مع ضريح الإمام سيدي الهواري والبنايات الفرنسية.

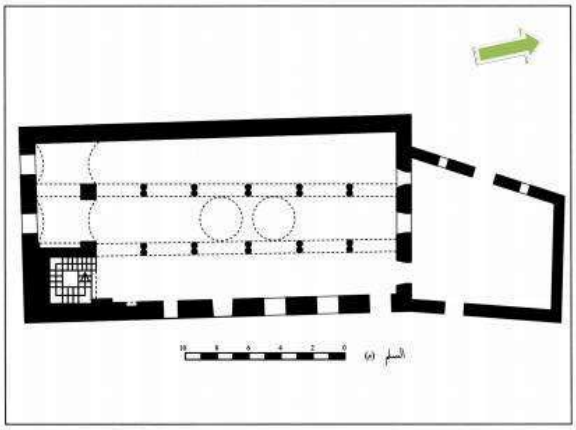

نصل إلى صحن المسجد الحالي عبر مدخل مستحدث يفتح مباشرة على طريق ريفولي في جهته الغربية الشمالية، أما المدخل الثاني فهو الذي نفضي من خلاله إلى بيت الصلاة والواقع في ركنها الشمالي الشرقي.

وللتذكير فقد كان للمسجد قبل الشروع في عملية ترميمه مدخلان اثنان؛ واحد خاص بالرجال كان يقع في نهاية الضلع الجنوبي لبيت الصلاة عوض حاليا بنافذة كبيرة، وفي المقابل كان يوجد مدخل آخر خاص بالنساء يفتح في منتصف الجدار الشمالي لبيت الصلاة.

يتقدمُ الصحنُ بيتَ الصلاة حاليا من ناحية الشمال ذو شكل شبه منحرف نشكك في أصالته أضلاعه تقدر بـ6.68م 8.78م و8.18م و9.23م، يوجد به بئر مسيج حاليا.

نصل إلى **بيت الصلاة** عبر مدخل فتح حديثا يقع قريبا من الزاوية الشمالية الشرقية، وقاعة الصلاة حاليا تتميز عموما بالاستطالة، أما بيت الصلاة في صورته قبل الإضافات فعرضه 19.30م وعمقه 9.70م.

مشكل من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة وستة أساكيب عمودية تحدها عقود منكسرة متجاوزة محمولة على أعمدة مزدوجة ذات سيقان ملساء صنعت من الحجر الكلسي ذات تيجان بسيطة.

إستخدم في تغطية بيت الصلاة سقف مسطح نصبت في وسطه قبتان حديثتان ذات مسقط دائري، فتح في نهاية جدار القبلة مدخل يبدو حديثا يؤدي إلى المباني الفرنسية، كما فتحت

نافذتان كبيرتان على يسار المحراب، ونجد في الجدار الشمالي نافذتين تقعان على يسار المدخل الرئيسي لبيت الصلاة.

يقوم المحراب في منتصف جدار القبلة وقد طمست الكثير من معالمه خلال فترة الاحتلال، وهو حاليا عبارة عن تجويف مضلع يبلغ عرضه 1.35م وعمقه 1.05م بينما يصل ارتفاع فتحته إلى 2.32م ذو عقد موتور.

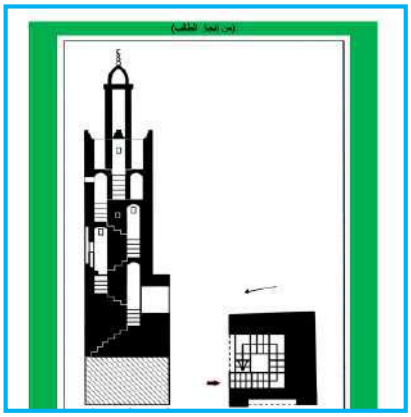

أما **المئذنة** فتقع في الركن الجنوبي الشرقي من بيت الصلاة في صورته الحالية، ذات مسقط مربع، يصل ارتفاعها إلى 17.60م تتكون من طابقين؛ البرج الرئيسي والجوسق، أما من حيث زخرفة واجهاتها فهي بسيطة ومتكررة عبارة عن قطاع واحد فقط يمثله عقد مفصص أصم يؤطره شريط مكون من صف واحد من البلاطات الكبيرة.

هذا القطاع الزخرفي البسيط يتكرر بذات الشكل في جميع واجهات البرج الرئيسي للمئذنة ماعدا الواجهة الشمالية الخالية من أية زخرفة.

أما زخارف واجهات الجدار المحيط بالجوسق فهي عبارة عن حشوة مستطيلة غائرة مشكلة من بائكة صماء من ثلاثة عقود مفصصة محمولة على أعمدة بدون تيجان، وتتكرر هذه الزخارف وبنفس الشكل في الواجهات الأربعة كلها.

نصل إلى جوف المئذنة من خلال بيت الصلاة وعبر مدخل يقع في الركن الشمالي الغربي الذي يفتح مباشرة على الدرج الصاعد الذي يلتف بشكل منكسر حول النواة المركزية للمئذنة وهي عبارة عن دعامة صماء. يتشكل هذا الدرج الصاعد من 42 درجة وعشر استراحات مضاءة بفتحات مستطيلة.

يقوم **الجوسق** وسط البرج الرئيسي وهو مربع المسقط تغطيه قبيبة نصف دائرية ركب في أعلاها وتد من ثلاث تفافيح تنتهي بهلال.

4.1- الجامع الكبير بمعسكر:

1.4.1- موقع الجامع: يقع الجامع في وسط مدينة معسكر تقريبا، يسمى حاليا بمسجد مصطفى بن تهامي، يحده شمالا حمام الأدهم المسمى حاليا بحمام البركة وجنوبا ينفتح على ساحة مصطفى بن التهامي أما شرقا فيحده نهج إدريس أمهور ومن الغرب يفصله زقاق ضيق عن بعض المحلات التجارية.

2.4.1- التأسيس: بني الجامع في شعبان من العام 1160هـ/1747م من طرف الحاج عثمان الباي الثالث والعشرين لبايليك الغرب، وهذا ما تدل عليه كتابة تأسيسية مثبتة ببيت الصلاة نفذت بالخط المغربي بواسطة الحفر البارز.

وقد أعيد ترميمه ثم أضيف له ضريح الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني سنة 1167هـ على يد الباي محمد الكبير، كما تمت توسعة أخرى للجامع سنة 1385هـ/1965م شملت الجهة الغربية.

كما توجد كتابة تأسيسية ثانية مثبتة في المربع الثاني وراء المحراب نصت على إسم المؤسس وتاريخ الفراغ من الأشغال وهو رمضان عام 1162هـ/أوت 1749م. صنف الجامع كمعلم تاريخي يوم 1919/07/25م.

3.4.1- الوصف المعماري للمسجد: بني الجامع على أرض تميل إلى الإنحدار تقريبا ونصل إليه عبر ثلاث مداخل؛ الرئيسي منها واقع بالجهة الجنوبية، وبعد التوسيعات التي أجريت عليه أصبح المدخل الرئيسي ضمن الزيادات، أما المداخل الأخرى فهي مستحدثة أحدها يفتح في الجدار الشمالي وآخر في الركن الجنوبي الغربي نصل عبره إلى الطابق العلوي المخصص حاليا كمصلى للنساء.

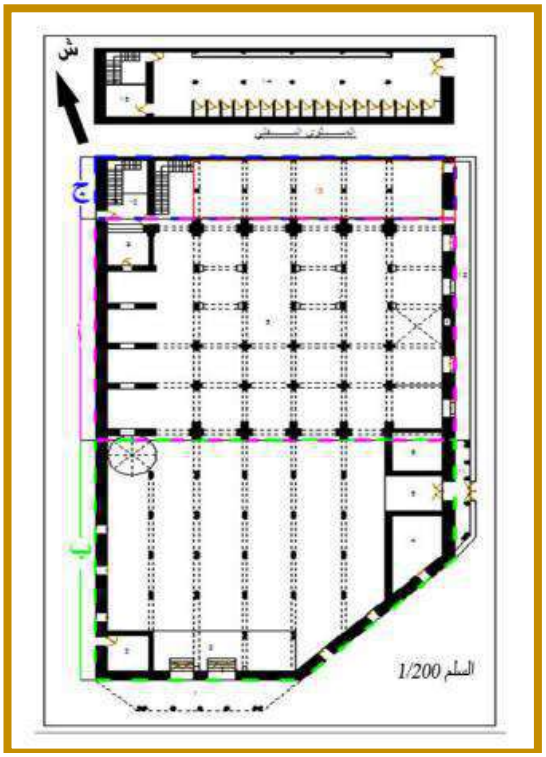

أما بيت الصلاة فكان قبل توسعة 1385هـ/1965م ذو شكل منتظم قريب إلى المربع عرضه 28م وعمقه 24م، أما حاليا وبعد التوسعة فصار غير منتظم الشكل يبلغ أقصى عرضه 44م، يتشكل من ست بلاطات موازية لجدار القبلة تتقاطع مع أحد عشر بلاطة عمودية تحدها عقود منكسرة متجاوزة ترتكز على أعمدة ضخمة رباعية وثلاثية ومزدوجة. وقد كان لبيت الصلاة سقف خشبي من الداخل أما من الخارج فيأخذ في الغالب شكلا جمالونيا، وأما الجزء المضاف فمغطى بسقف مستو من الاسمنت.

يقع **المحراب** في الجدار القبلي ينفتح بعقد منكسر متجاوز يكتنفه عمودان مدمجان بالجدار تتقدمه قبة محمولة على حنايا ركنية، وقريبا من المحراب نجد منبرا خشبيا.

لهذا الجامع ست نوافذ تحتل خمسة منها الجدار الشرقي، وأخرى مستحدثة فتحت في الجدار الجنوبي.

وبخصوص الصحن فيبدو أنه كان يحتل القسم المضاف سنة 1965م وهو عبارة عن حديقة ومقبرة تضم مشاهير معسكر.

أما **المئذنة** فتقع في الركن الجنوبي الغربي لبيت الصلاة الأصلي حاليا، قريبا من منتصف الجدار الجنوبي إرتفاعها 23.10م، ذات مسقط مربع تنتهي بجوسق مثمن الأضلاع تعلوه قبيبة مضلعة هي الأخرى مثبت فوقها هلال. واجهاتها مزدانة بعقود مفصصة صماء.

2- مساجد الطراز الوافد:

مع هذا النمط الجديد ذو القبة المركزية – تختفي البلاطة الوسطى الواسعة التي تعدّ من أبرز سمات المساجد الإسلامية – لاسيما المغربية الأندلسية – وقد ظهر في تركيا على يد المهندس المعماري سنان باشا، متأثرا ببناء كنيسة آيا صوفيا بالقسطنطينية وصار المثال المحتذى في المساجد، وكان أساس الفكرة المعمارية في هذا النمط هو تحويل الجزء الأكبر من بيت الصلاة إلى فراغ كبير مسيطر لا تحول دونه الأعمدة أو الدعامات كما في الطراز التقليدي.

وقد ساعد ودفع العثمانيين إلى بناء القباب الكبيرة ما يلي:

1) – التأثر بالبناءات البيزنطية وفي مقدمتها كنيسة آيا صوفيا.

2) – التقاليد السلجوقية في البناء والتي عرفت القباب وإن كانت صغيرة الحجم.

3) – عامل المناخ؛ فإقامة القباب يحول دون تراكم مياه الامطار والثلوج فوق الأسطح.

4) – رغبة العثمانيين في ابتكار حل يقلل من عدد الاعمدة والدعامات داخل بيت الصلاة.

وهذا النمط الجديد هو الذي حمله الأتراك إلى المغرب الإسلامي وطبقوه – تقريبا – في كل مبانيهم **حسب مارسي**، إلا أن المعمار الجزائري أحدث في المخطط الأصلي بعض التعديلات المهمة.

فقد تميزت المساجد التركية السلطانية ذات القبة المركزية بما يلي :

- ✓ إحاطة القبة المركزية لبيوت صلاة بأنصاف قباب.
- ✓ وجود صحن تحيطه أروقة مسقوفة بقباب صغيرة.
- ✓ ضخامة البناء وثراءه الزخرفي وتعدد الملحقات.
- ✓ تعدد المآذن ذات الشكل القلمي والتي قد تصل إلى الستة.
- ✓ وجود منبر رخامي ثري بالزخارف.

جامع السلطان أحمد بإسطنبول

جامع السليمية بأدرنة باسطنبول

بينما تميزت مساجد الجزائر خلال الفترة العثمانية بما يلي:

- ✓ إحاطة القبة المركزية بقباب صغيرة وأقبية متقاطعة في الغالب.
- ✓ غياب الصحن الذي تحيطه الأروقة المسقوفة بالقبيبات.
- ✓ تواضع مساجد الجزائر من حيث الحجم وفقرها الزخرفي مقارنة بمساجد تركيا.
- ✓ الإكتفاء ببناء مئذنة واحدة فقط ذات شكل مضلع في الغالب.

- ✓ وجود منبر خشبي في جميع المساجد باستثناء جامع السيدة الذي كان له منبر من رخام.

ولقد عرفت الجزائر في ذات الفترة عدة أنماط من هذا الطراز الوافد، فالأول يأخذ فيه بيت الصلاة شكلا مربعا تعلوه قبة مركزية كبيرة محمولة على عقود ركنية أشبه ما تكون بأنصاف القباب على غرار **جامع صفر** (940هـ/1534م) بمدينة الجزائر.

أما النمط الثاني فيتجسد في **الجامع الجديد** (1070هـ/1660م) بمدينة الجزائر والذي يقوم تخطيطه على بيت صلاة ذات شكل صليبي تشكل القبة الكبيرة مركزه، بحيث يكون أحد أضلاعه أكثر امتدادا من بقية الأضلاع الثلاثة الأخرى، يتكون من ثلاث بلاطات عمودية أوسعها البلاطة المركزية. والذي نعتقده – في الأخير– أن هذا النمط من الطراز الوافد لم يتكرر في مساجد أخرى بمدن الجزائر.

وأما النمط الثالث فهو الأكثر ترددا في مساجد الجزائر والذي تقوم فيه بيت الصلاة على قبة مركزية تحيطها أروقة مسقوفة بقباب صغيرة وبأقبية متقاطعة غالبا، كما هو الشأن في **جامع حسن باشا** بوهران و**مسجد المبايعة** بمعسكر.

1.2- جامع صفر:

1.1.2- موقع الجامع: يقع جامع صفر عند التقاء شارعي الإخوة باشارة وروان عبد الحميد قريبا من زاوية وجامع سيدي محمد الشريف.

2.1.2- التأسيس: شرع في بناء المسجد في شهر رجب من عام 940هـ/1534م من أموال تصدق بها أحد المسيحيين الذين إعتنقوا الاسلام وكان مملوكا لحاكم الجزائر خير الدين وأصبح يسمى بصفر بن عبد الله، ودامت الأشغال في بناء المسجد تسعة شهور. وقد تم توسعة المسجد في عهد الداي حسن باشا في العام 1798، ثم أمر الداي حسين بإعادة بناءه وتوسيعه للمرة الثالثة ما بين سنتي 1826 و1827م.

3.1.2-الوصف المعماري للجامع: بني الجامع على قطعة أرض مستطيلة تحتل مساحة تقدر بنحو 400م^2. للمسجد واجهتان؛ واجهة رئيسية تحتوي على مدخلين يطلان على شارع الإخوة بشارة، ويوجد مدخل آخر بالواجهة الجنوبية الغربية المطلة على شارع عبد الحميد روان يؤدي مباشرة إلى بيت الصلاة.

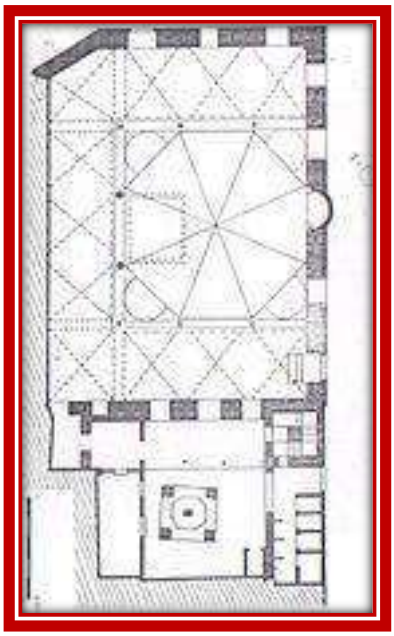

تتكون بيت الصلاة من قسم مركزي تعلوه قبة مثمنة محمولة على أربع حنايا ركنية، ويحيط بهذا القسم من الناحية الشمالية والجنوبية والغربية ثلاثة أروقة وهي مغطاة بأقبية متقاطعة. أما بوائك بيت الصلاة فهي مشكلة من عقود منكسرة، وهي محمولة على نوعين من الأعمدة؛ أما الأول فهو عبارة عن أعمدة رخامية ذات تيجان بحلزونيات بارزة في الزوايا وتعلو مجموعة من أوراق الأكانتس، وهذه الأعمدة تتوزع مزدوجة على يمين ويسار المحراب.

نصف دائرية على شكل محراب.

أما مئذنة الجامع فذات قاعدة مضلعة يبلغ ارتفاعها 16.75م، تتكون من البرج الرئيسي الذي ينتهي بشرفات هرمية الرأس، ومن الجوسق الذي نصله من خلال سلم صاعد من 63 درجة. وهذا الجوسق مكون من ثلاثة أقسام، أما الأول فذو مسقط مربع يليه قسم أسطواني ثم قسم ثالث مخروطي تعلوه ثلاث تفافيح.

للجامع صحن يقع إلى الجنوب من بيت الصلاة مستطيل الشكل، طوله 6.2م وعرضه 5م.

2.2- الجامع الجديد:

1.2.2- الموقع: يقع الجامع حاليا في ساحة الشهداء غير بعيد عن جامع المرابطين على الواجهة البحرية أسفل القصبة.

2.2.2- التسمية: إن تسمية الجامع الجديد هي صفة له من حيث البناء للتمييز بينه وبين جامع المرابطين الذي بني عام490هـ.

3.2.2- التأسيس: بني الجامع عام 1070هـ /1660م وشارك في بناءه العسكر على نفقة منظمة سبل الخيرات، وقد ذكر في الكتابة الأثرية إسم الحاج حبيب الذي قد يكون أمين البنائين ووكيل جمعية سبل الخيرات.

4.2.2- الوصف المعماري للجامع: يتخذ الجامع شكلا مستطيلا حيث يبلغ طوله 40م وعرضه 25م، له أربعة مداخل، واحد كان يفتح في الواجهة وقد سدته سلطات الاحتلال أما الثاني فيفتح على الرواق المنحدر الذي يصعد من المرسى.

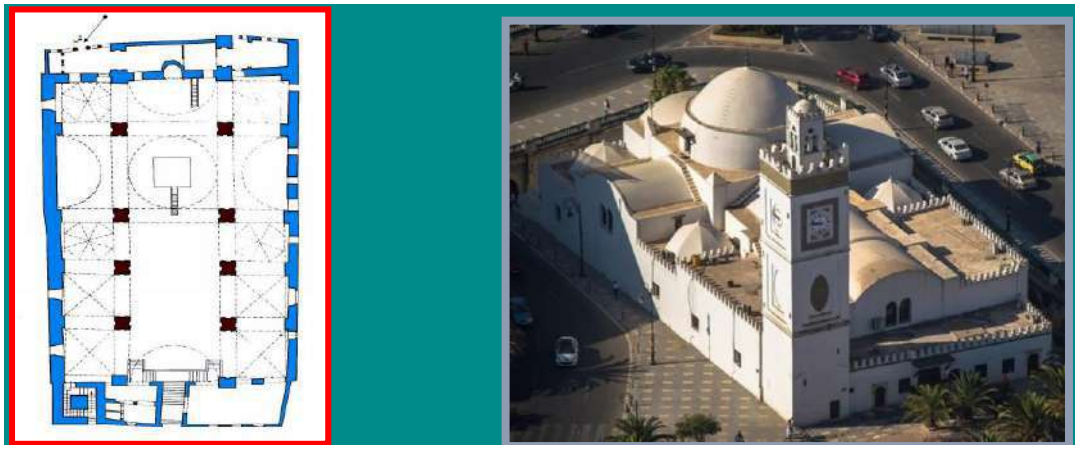

يقوم تخطيطه على بيت صلاة ذات شكل صليبي تشكل القبة الكبيرة مركزه، بحيث يكون أحد أضلاعه أكثر امتدادا من بقية الأضلاع الثلاثة الأخرى، يتكون من ثلاث بلاطات عمودية أوسعها البلاطة المركزية القائمة على دعامات ضخمة، وقد غطيت أضلاع الشكل الصليبي بأقباء نصف برميلية، فيما أحاطت بالقبة المركزية –الدائرية المسقط– في أركانها قباب مثمنة صغيرة، أما الجزء الخلفي المتبقي من بيت الصلاة فقد سُقف بأقباء متقاطعة.

للجامع محراب يتوسط جدار القبلة ذو حنية سباعية الأضلاع، يكتنفه من الجانبين عمودان مدمجان من الرخام يفتح بعقد متجاوز، تعلوه ثلاث شمسيات من الجص المفرغ. تزدان واجهته العلوية بزخارف جصية نباتية وكتابية، أما جدران المحراب من الداخل فكسيت ببلاطات خزفية، كما تضمن المحراب العديد من الكتابات بالخط المغربي.

ونجد على يمين المحراب **منبرا رخاميا** ثابتا غنيا بالزخارف، وقد جُلِبَ من جامع السيدة الذي هدمته سلطات الاحتلال سنة 1832م، بينما نقل المنبر الخشبي الأصلي من مكانه إلى جانب الدّكة.

تقوم هذه الدّكة أسفل القبة المركزية يُصعد إلى أعلاها عبر درج المنبر الخشبي المثبت إزائها – المذكور آنفا، وهي محاطة بدرابزين ذو قوائم رشيقة،

تقوم على أعمدة مركبة نصف ساقها السفلي مثمن الأضلاع بينما العلوي حلزوني، وهذه الأعمدة ذات تيجان شبيهة بالتاج الأيوني، يوجد في منتصف ضلعها الشرقي تجويفة على هيئة محراب.

أما المئذنة فهي ذات طراز مغربي أندلسي، تقع في الركن الشمالي الغربي من الجامع، وهي ذات مسقط مربع يبلغ ارتفاعها 30م، يصعد إلى جوسقها من خلال سلم صاعد يلتف حول نواتها المركزية المصمتة، يتشكل من 124 درجة، ينتهي هذا الجوسق بقبيبة ثُبت عليها وتد يحمل ثلاثة تفافيح وينتهي بهلال.

3.2- جامع حسن باشا بوهران:

1.3.2-الموقع: يقع جامع الباشا على الضفة اليمنى لوادي الرِّحِي قُبالة قصر الباي عند شارع بن عمر بوتخيل والذي يلتف حوله من ثلاث جهات؛ الشرقية والغربية والشمالية، أما من جهة الجنوب فيحده شارع "المسجد".

2.3.2-التأسيس: شيده الباي محمد الكبير بأمر من الباشا حسن بُعيد فتح وهران تخليدا لهذه الذكرى، وتمَّ الفراغ من أشغال بناءه في أواسط رمضان من العام 1210هـ/1796م.

3.3.2-الوصف المعماري للجامع: للجامع واجهتان؛ الغربية وهي مشكلة من مستويين نظرا للانحدار الذي يتخذه الموضع، يتشكل المستوى الأول من مجموعة من الحجرات عبارة عن حوانيت، أما الواجهة الشرقية والشمالية فهي عبارة عن سور نصف دائري طوله 55م يتخلله في منتصفه مدخلان؛ المدخل الرئيسي وهو عبارة عن مدخل تذكاري تليه حجرة شبه مربعة تتوسط رواقي الصحن. وعلى يمينه استحدث مدخل ثان بعد الاستقلال.

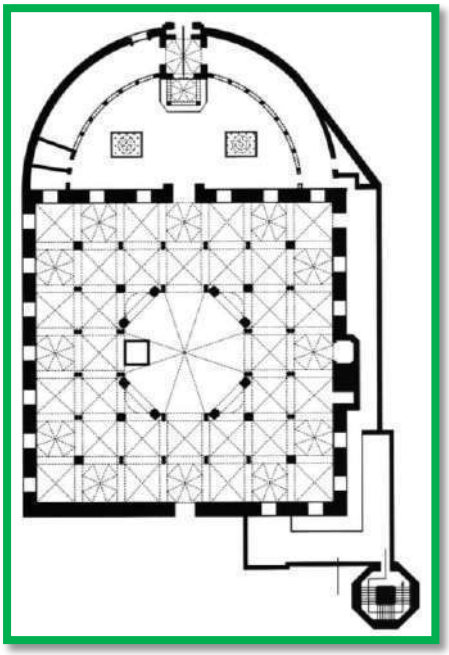

بعد الولوج عبر المدخل الرئيسي نجد صحنا نصف دائري قطر دائرته 22.5م يحيط به من جهتيه رواق مشكل من بائكة من عقود منكسرة متجاوزة مزدانة ببلاطات خزفية. تتصل من جهة حجرة المدخل فسقية للوضوء تتوسطها نافورة، تعلوها قبة مضلعة ذات رقبة مزينة بكتابات أثرية زخرفية.

ومن خلال الصحن نصل إلى بيت الصلاة التي تأخذ شكلا مربعا طول ضلعها 28م بمساحة تقدر بـ781م^2 وهي يتكون من سبع بلاطات عمودية على جدار القبلة وسبعة أخرى موازية مشكلة من بوائك من عقود منكسرة متجاوزة محمولة على دعامات وأعمدة.

وتقوم في وسط بيت الصلاة **قبة مركزية** ثمانية الأضلاع تحيط بها اثنتا عشر قبة أصغر حجما تقوم على منطقة انتقال عبارة عن مثلثات ركنية ملساء، بينما غطيت المساحة المتبقية بأقباء متقاطعة.

وتوجد أسفل القبة المركزية **دكّة** ذات مسقط مربع طول ضلعها ثلاثة أمتار محمولة على أربعة أعمدة رخامية رشيقة من النوع المركب، نصفها السفلي مضلع بينما العلوي حلزوني، ذات تيجان كورنثية جميلة.

للجامع **محراب** يتوسط حائط القبلة يتكون من حنية خماسية الأضلاع متوجة بقبيبة، يكتنفه عمودان رخاميان يحملان عقدا منكسرا متجاوزا، تعلو فتحة العقد ثلاث شمسيات من الجص المخرم، تزدان واجهة هذا المحراب ببلاطات خزفية أصلية.

وعلى يمين المحراب بنيت غرفة صغيرة وضيقة وُضع بداخلها منبر خشبي ذو عجلات بحيث يدفع إلى الأمام كل جمعة ليخطب عليه الإمام.

أما المئذنة فتقوم في الركن الجنوبي الشرقي من الجامع بعيدة عنه ببعض الأمتار، ذات مسقط مثمن، يصل إرتفاعها إلى نحو 35م، تتكون من البرج الرئيسي والجوسق، يصعد إلى أعلاها من خلال درج صاعد يلتف حول دعامة مصمتة مكون من 147 درجة.

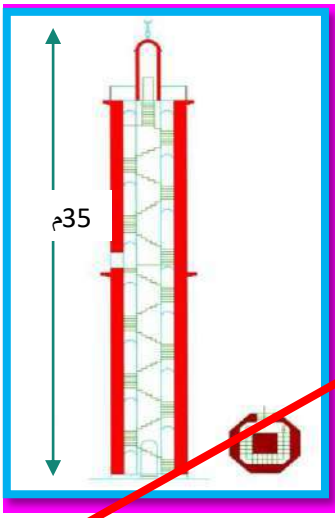

4.2- مسجد المبايعة بمعسكر:

1.4.2- الموقع: يقع جامع المبايعة قريبا من سور المدينة من الناحية الجنوبية الشرقية في حومة سيدي علي بن محمد وسط حي عين

البيضاء، وقد عرف بعدة أسماء أخرى وهي جامع عين البيضاء وجامع سيدي حسن وجامع الباي محمد الكبير.

2.4.2-التأسيس: بني الجامع في أول ذي القعدة من عام 1175هـ/1779م من طرف الباي محمد الكبير لما كانت معسكر عاصمة للبايليك قبل فتح وهران. وقد ذكر إبن سحنون الراشدي في كتابه "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" أن الباي بدأ في تشييد مسجده الكبير بعد أن قام بإصلاح مساجد الجمعة العتيقة.

حَوَّله الاحتلال إلى مستودع للتجهيزات العسكرية ثم أصبح مخزنا للعلف وإسطبلا للدواب بعد ذلك، وبقي على هذه الحال مدة من الزمن إلى أن قامت الادارة الاستعمارية بترميمه ثم تصنيفه كمعلم تاريخي، وقد سُلم للجزائريين عام 1910م ليصنف بتاريخ 1919/10/25م.

3.4.2-الوصف المعماري للمسجد: يتخذ المسجد شكلا مربعا تتقدمه من الناحية الجنوبية ساحة مستطيلة تمثل حاليا صحن المسجد، فيما تحتل المئذنة الزاوية الجنوبية الشرقية من بيت الصلاة، وقد بُني على أرضية تميل قليلا نحو الشرق، وكان يضم عند بناءه إضافة إلى بيت الصلاة صحنا ومدرسة.

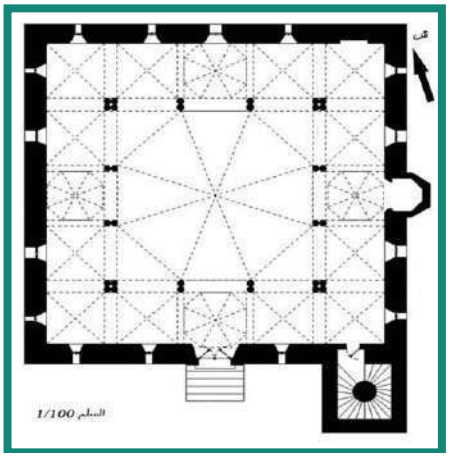

نصل عبر الصحن إلى بيت الصلاة من خلال مدخل يقع في منتصف الضلع الجنوبي، وقد انتظم بيت صلاة المسجد وفق مخطط مربع تتوسطه قبة مركزية ثمانية الأضلاع، يحدها في منتصف الأضلاع قبيبات مضلعة هي الأخرى بينما غُطِي ما تبقى من سقف المسجد بأقبية متقاطعة.

يتوسط جدار القبلة **محراب** رائع الجمال، ذو تجويف خماسي الأضلاع، يكتنفه عمودان مدمجان بالحائط، ينفتح بعقد منكسر متجاوز ازدانت واجهته بزخارف جصية جميلة وعليها تمَّ نقش الكتابة التأسيسية للجامع، بينما نجد على يمين المحراب منبرا خشبيا مستحدثا.

أما المئذنة فهي بارتفاع 20.40م، ذات قاعدة مربعة يبلغ طول ضلعها 4.10م وارتفاعها 3.50 م يليها بدن مثمن، ثم جوسق مثمن هو الآخر تعلوه قبيبة مثبت فوقها وتد به تفافيح وينتهي بهلال. نصل إلى أعلى المئذنة من خلال درج صاعد يتخذ شكلا دائريا –وليس منكسرا كما جرت العادة– يدور حول نواة صماء أسطوانية عدد درجاته 62 درجة.

ثانيا–المدارس:

لقد ظل المسجد لعهود طويلة يتولى مهمة التدريس بداخله إلى غاية مطلع القرن الخامس الهجري حيث بدأ إنشاء المدارس، وقد كان للسلاجقة الدور الريادي في بناءها ونشرها في بلاد

العراق وفارس، أما حول ظهورها فقد تعددت أسبابه ولعل أبرزها كما يعتقد الكثير هو مناهضة المد الشيعي ونشر المذهب السني. إلا أن هناك عوامل أخرى تكون قد ساهمت في ظهور المدرسة ومنها كما يذكر **أحمد فكري** ضرورة إقامة بيوت للأساتذة والطلبة وهذا ما لا يمكن توفيره بالمسجد.

وقد ضمت بعض مدارس الجزائر كغيرها من المدارس الاسلامية عموما:

- بيتا للصلاة وصحنا مكشوفا ومجنبتين إضافة إلى مؤخر تقع خلفه مباشرة ميضأة.
- بيوت للطلبة قد تتوزع على طابقين.
- مئذنة ومدخلا بارزا أحيانا.
- قبة الضريح وغرفة المطبخ ومكتبة، وهي العناصر التي تتقدم بيت الصلاة.
- في حالات نادرة وُجِد مسجد مستقلا نوعا ما عن مبنى المدرسة يقع بجانبها كما هو الحال بالنسبة لمدرسة سيدي محمد الشارف بمازونة.

وعرفت تركيا نفس هذا الطراز وهو الطراز التقليدي في بناء المدارس ولم يكن الاختلاف سوى في بعض العناصر، حيث كان التصميم قائما على صحن أوسط مكشوف تتوسطه نافورة ويحيط بهذا الصحن أربعة أروقة تعلوها قبيبات، بينما تشغل الأضلاع الداخلية لهذه الأروقة أو بعضها حجرات الطلبة، أما قاعة التدريس (درس خانه) فهي عبارة عن قاعة مربعة غالبا تعلوها قبة كبيرة، تستخدم كبيت للصلاة في حال المدارس المستقلة غير الملحقة بالمجمعات المعمارية (الكليات)، هذه الأخيرة ذات محراب ومنبر ومئذنة.

وعقب فتح القسطنطينية العام 1453م ظهرت المجمعات المعمارية التي ضمت من بين ما ضمت المدارس ولعل أهمها مُجمع السليمانية.

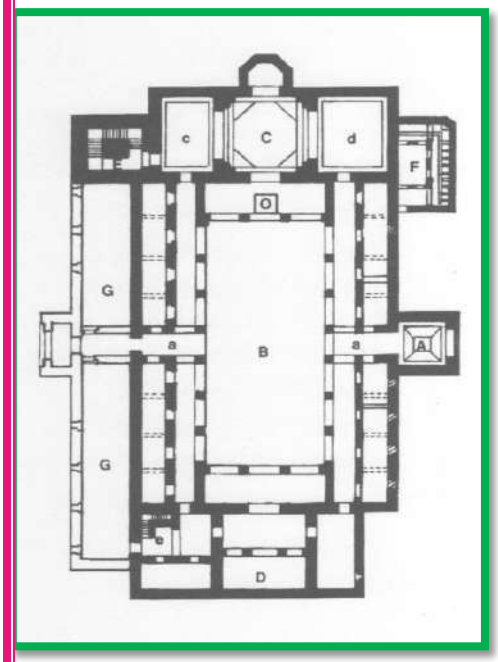

المدرسة التاشفينية بتلمسان

والأكيد أن نظام المدارس سواء في المشرق أو المغرب وسواء في تركيا أو الجزائر لم يختلف في تخطيطه كثيرا، فهي عموما تخضع لنفس التصميم والتوزيع؛ فهي تضم بيتا للصلاة وصحنا مركزيا مكشوفا وبيوتا للطلبة. كما ضمت العديد من المدارس ضريحا أو أكثر، وأصبحت الظاهرة متبعة في جميع البلاد الإسلامية. وانحصر الاختلاف في بعض العناصر المعمارية غير المؤثرة تماما على النمط العام للمدرسة.

وقد تميزت مدارس المغرب الإسلامي- بما فيها تلك التي ترجع إلى الفترة العثمانية بما يلي

- صغر حجمها لاقتصارها على تدريس مذهب واحد هو المذهب المالكي.
- وحدة المخطط (قاعة كبيرة للصلاة وللتدريس وصحن تتوسطه نافورة أو حوض ماء مع طابق ثاني غالبا).
- ثراءها الفني والزخرفي.

وهو الأمر الذي يجعلنا نستنتج أن مدارس الجزائر التي بنيت خلال العهد العثماني لم تتأثر مطلقا بمدارس تركيا من حيث التخطيط، إنما حافظت في بناءها على التقاليد المحلية الموروثة سواء الزيانية أو المرينية أو حتى الحفصية.

1- مدرسة سيدي محمد بن الشارف بمازونة :

1.1- موقع المدرسة: تقع المدرسة بالجهة الشمالية من حي القصبة العتيق، حيث تطل واجهتها الرئيسية على نهج بوعلوفة.

2.1- التأسيس: يعود تأسيس المدرسة إلى أحد المهاجرين الأندلسيين المعروف باسم الشيخ سيدي محمد بن الشارف في عام 1029هـ/1619م الذي مازال ضريحه بالمدرسة.

3.1- الوصف المعماري للمدرسة: تضم المدرسة مسجدا ذو شكل مربع طول ضلعه 12م، له مدخلان أحد رئيسي يقع في الواجهة الامامية والثاني يقع في الجدار الشرقي خاص بالإمام، يتشكل بيت الصلاة من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة وثلاثة أخرى عمودية، وقد بني هذا المسجد وفق الطراز الوافد حيث يغطي بيت الصلاة فيه قبة مركزية مضلعة تحيطها أربع قباب صغيرة في الأركان يتخللها أقباء نصف برميلية، وخارج بيت الصلاة تقوم مئذنة مضلعة في الركن الشمالي الغربي.

أما المدرسة في حد ذاتها فهي مبنى غير منتظم يتوسطه صحن مستطيل، يتم الدخول إليه عبر مدخل يقع في الواجهة الرئيسية الغربية، طول هذا الصحن 16م وعرضه 6م، يحيطه من ثلاث جهات تقريبا حجرات الطلبة، باستثناء جانب من الجهة الجنوبية حيث الجدار الشمالي للمسجد. في الجهة الشرقية نجد الضريحين؛ أحدهما لمؤسس المدرسة والثاني للشيخ سيدي أبي طالب أحد مدرسي المدرسة.

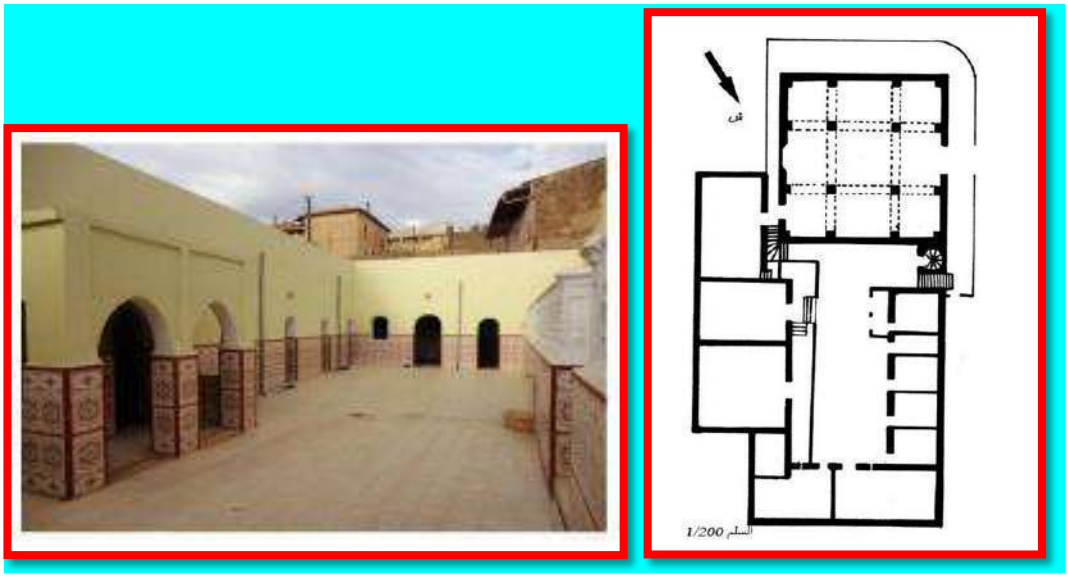

2- مدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة:

1.2- موقع المدرسة: تقع في شمال المدينة العتيقة بجوار جامع سيدي الكتاني، تحد سوق العصر من ناحية الشمال.

2.2- التأسيس: بنيت المدرسة عام 1776م من طارف صالح باي، وهو ذاته الذي بنى المسجد المسمى بجامع سيدي الكتاني.

3.2- الوصف المعماري للمدرسة: نصل إلى المدرسة عبر مدخلين؛ الأول يقع في الجهة الشرقية والثاني يقع في الجهة الشمالية وكلاهما يتقدمهما رواق يطل على الصحن، أما المدرسة في حد ذاتها فتتكون من طابقين يتوسطها صحن أقرب إلى المربع، تحيط بها أربعة أروقة تتكون من ثلاث عقود تحملها أعمدة مضلعة، نجد بالجهة الشرقية -حيث القبلة- القاعة الكبرى أو الإيوان الذي يعتبر قاعة للتدريس وللصلاة أيضا، ذات شكل مربع عمقها 6.49م وعرضها 6.44م، تحتوي هذه القاعة على محراب مجوف يتوسط الجدار، يتقدمها صحن شبه مربع بطول 6.80م

وبعرض 6.24م، أما حجرات المدرسة التي تحيط به فهي بطول 2.70م وبعرض 2.15م.

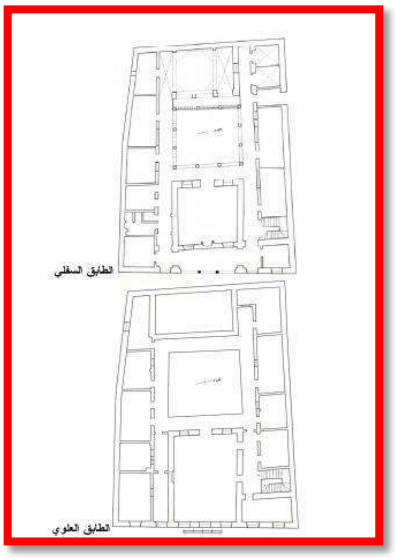

هذا النظام التخطيطي الذي نجده في الطابق الأرضي يتكرر ذاته في الطابق العلوي، باستثناء القاعة الكبرى التي تأخذ أبعادا أكبر بعمق 7.19م وبعرض 7.77م.

ثالثا–الزوايا:

1– زاوية بن عبد الرحمن بقسنطينة:

1.1– الموقع: تقع زاوية بن عبد الرحمن بحومة الشارع من حي باب القنطرة بالمدينة العتيقة بقسنطينة.

2.1– تأسيس الزاوية: من المرجح أن هذه الزاوية تعود إلى أوائل القرن الثالث عشر هجري / الثامن عشر الميلادي من طرف الشيخ عبد الرحمن بن أحمد المعروف بباش تارزي.

3.1– الوصف المعماري للزاوية: تتشكل الزاوية من مدخل رئيسي يقع بوسط الجدار الغربي ينفتح على صحن حوله رواق من ثلاث جهات، توجد في شماله الميضأة وفي شرقه توجد ثلاثة قبور. ومن الصحن يمكن الدخول إلى بيت الصلاة عبر بابين من الخشب، واحد ينفتح على البلاطة الأخيرة والثاني ينفتح على البلاطة الوسطى. وبيت الصلاة هذا ذو شكل قريب من المربع (8.70 X 8.45م)، يتشكل من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة تحدها أربعة دعامات فوقها عوارض خشبية، وعلى هذه

الدعامات تقوم قبة مركزية على محور المحراب. يقع في الجدار الجنوبي الشرقي لبيت الصلاة محراب ذو تجويف نصف دائري، وإلى اليسار منه نجد ضريح المؤسس.

2- زاوية سيدي عبد المؤمن :

1.2- الموقع: تقع الزاوية بشارع ملاح السعيد بقسنطينة وكانت تفتح على سويقة باب الجابية بأحد الشوارع الرئيسية التي كانت بالمدينة خلال العهد العثماني.

2.2- تأسيس الزاوية: رغم أن الكتابة الأثرية الموجودة للمجدد السيد صالح خوجة بن مصطفى بن ململي يكجري إلا أن مؤسسها الأول يكون على الأرجح سيدي عبد المؤمن الذي كان يشغل منصب شيخ الإسلام وأمير الركب الحجازي منذ العهد الحفصي وبقي في منصبه مع بداية الحكم العثماني إلى غاية أن أغتيل سنة 1561م على يد الأتراك.

3.2- الوصف المعماري للزاوية: بُنيت الزاوية في وسط مجموعة من البناءات لها مدخل رئيسي يقع بالجهة الجنوبية، أما بيت الصلاة فهو ذو شكل مستطيل غير منتظم الأضلاع حيث يقدر طول الجدار الجنوبي 7.90م والشرقي 10.95م يتوسطه محراب نصف دائري يكتنفه عمودان غليظان لهما بدن حلزوني بدون قاعدة ولا تاج ذو عقد نصف دائري، يوجد في طرف جداره الجنوبي حجرة تابعة لزاوية محمد النجار. يتشكل بيت الصلاة من رواق يحيط بصحن أوسط من ثلاث جهات ورواقان في الجهة الرابعة، والرواق مكون من دعامات ذات أشكال مختلفة، تعلو الرواق الغربي خلف الصحن قبة. أما الصحن فأبعاده صغيرة ذو شكل مستطيل بطول 3.85م وبعرض 2.40م مغطى حاليا بسقف. كما تضم الزاوية ميضأة تقع إلى جانب بيت الصلاة في الجهة الجنوبية، بها حوض للوضوء وخمس كنيفات، يُرجح أنها مستحدثة.

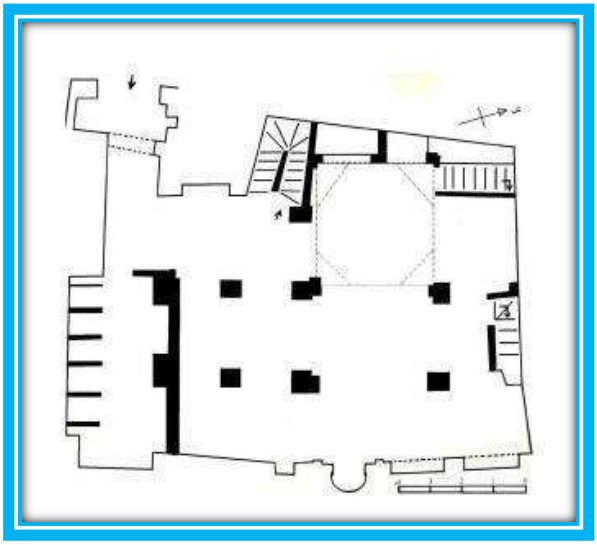

رابعا-الأضرحة:

لم يكن الضريح معروفا في صدر الإسلام ولا في العهد الأموي ولا في بداية العصر العباسي، ولعل أول ضريح اتخذه المسلمون ومازالت آثاره ماثلة هو قبة الصليبية بسامراء الذي بناها الخليفة المنتصر بالله، وهو عبارة عن بناء مثمن تتوسطه قاعة مربعة يغلب الظن أنها كانت مسقوفة بقبة، والمرجح أنه دفن بهذا الضريح ثلاثة من الخلفاء العباسيين هم المنتصر والمعتز والمهتدي، لينتشر بعد ذلك في مختلف البلاد الاسلامية.

وقد خلفت لنا مختلف العهود الإسلامية المتأخرة في المغرب الكثير من القباب الضريحية القائمة بذاتها، ومن هذه القباب في الجزائر نذكر قبة سيدي إبراهيم وقبة سيدي مرزوق التي بناها السلطان يغمراسن وكلاهما يعودان إلى العهد الزياني، وقبة سيدي بومدين وهي من العهد الموحدي لتجدد خلال الفترة المرينية ثم العثمانية. غير أنه يبدو أن أكثر القباب ترجع إلى الفترة العثمانية وإن كان يصعب في الغالب تأريخها ومنها **ضريح الباي مصطفى المسراتي وضريح الباي الأحمر** بمدينة مستغانم.

وقباب الفترة العثمانية لا تختلف في تخطيطها – كما يبدو– عن تصاميم القباب الضريحية التي وجدت ببلاد المغرب في عهوده السابقة، علما أن أقدم نموذج للعمارة

الضريحية عبارة عن قاعة مربعة ذات قبة يفتح باب في واجهاتها الأربعة، هذا النمط يتردد في المشرق كما في المغرب و يبقى "النموذج المخصص للضريح المسلم". وقد تألفت النماذج الموجودة ببلاد المغرب الإسلامي في العادة من قاعدة مربعة تقوم عليها قبة نصف كروية وقد تكون القاعدة مفتوحة من ناحية الجنوب بواسطة عقود حدوية.

وقد ضمت بعض المساجد بين جنباتها ضريحا أو أكثر عرفت بالمساجد الضريحية، حيث لا تزال الجزائر تحتفظ بالكثير منها، ومنها في مدينة الجزائر **مسجد وضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي ومسجد وضريح سيدي محمد بن عبد الرحمن** المشهور بسيدي محمد بوقبرين الذي يكون قد بُني عام 1206هـ/1792م.

كما أن بعض المدارس التي بنيت أثناء الفترة العثمانية في الجزائر اشتملت على ضريح لمؤسسها –على غرار ما كانت عليه معظم المدارس في المشرق التي اشتملت على ضريح أو أكثر– ومنها مدرسة سيدي الكتاني التي بناها صالح باي (1185–1207هـ/1771–1792م) بقسنطينة، ومدرسة مازونة التي أسسها سيدي محمد بن الشارف عام 1029هـ/1619م.

1- ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر:

1.1–الموقع: يقع بحي قصبة الجزائر.

2.1–التأسيس: يُعتقد أن مؤسس المبنى هو الوكيل عبد القادر سنة 1627م، كما يُعتقد أن الذي أمر بالبناء هو الداي حاج أحمد عام 1696م، علما أنه توجد كتابة أخرى تشير إلى إتمام الأشغال بإشراف الوكيل سيدي واضح أيام حكم عبدي باشا وذلك سنة 1730م. ومع ذلك فإنه لم يُتَوَصل إلى تحديد دقيق لزمن البنيان الذي أقيم حول ضريح الثعالبي. ومن جهة أخرى فقد تعرض المبنى إلى العديد من التجديدات والترميمات خلال الفترة العثمانية.

3.1- الوصف المعماري للضريح: يتم الدخول إلى المبنى عبر مدخل معقود بعقد نصف دائري وهو عبارة عن مركب يشغل مساحة تقدر بـ1400م^2، له مئذنة ذات مسقط مربع تزدان واجهاتها بمربعات خزفية إضافة إلى عقود نصف دائرية مصمتة. كما يضم المبنى عديد الملحقات خُصصت للوكيل ولمجموعة الخدم بالإضافة إلى قاعة لإقامة الزوار وميضأة ومقبرة خاصة تضم رفات العديد من الشخصيات الدينية.

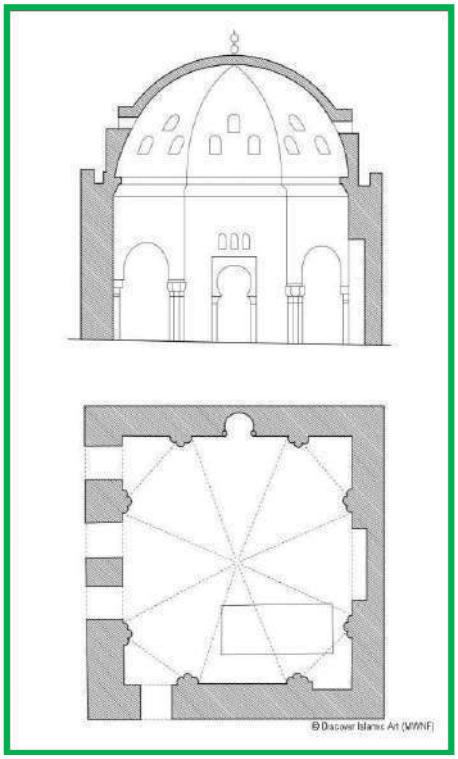

أما الضريح فنصله عبر مدخل معقود، وهو عبارة عن حجرة مربعة تقريبا على غرار معظم الاضرحة في الجزائر يستغل للصلاة، تعلو الحجرة قبة محمولة على أربعة عقود ترتكز على أعمدة ثلاثية ملساء ذات تيجان، وقد زينت هذه القبة بشمسيات مخرمة يلتف من داخلها دربوز خشبي. له محراب في منتصف جدار القبلة ذو شكل مضلع إزدان قسمه السفلي ببلاطات خزفية تركية المصدر، ويتوسط القاعة تابوت الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي. وللذكر فإن الضريح يضم بداخله العديد من القبور إلى جانب قبر

2-ضريح سيدي امحمد بمدينة الجزائر:

1.2-الموقع: يقع الضريح بالحامة في بلدية الشهيد محمد بلوزداد على يسار الشارع الذي يحمل نفس إسم الشهيد داخل مقبرة سيدي امحمد.

2.2-التأسيس: بُني أيام حكم الداي حسن سنة 1791م حسب الكتابة الأثرية، غير أن هناك من الأهالي – حسبما ذكره ديفوليكس (Devoulx)- من يعتقد أن الضريح بُني خلال فترة حكم الداي مصطفى باشا الذي حكم عام 1797م.

3.2-الوصف المعماري للضريح: يتم الدخول إلى المبنى بواسطة مدخل ذي عقد منكسر متجاوز، وهذا المبنى مكون من حجرتين، أما الأولى فهي المخصصة للضريح ذات شكل مستطيل عمقها 5.78م وعرضها 2.53م تعلوها قبة مضلعة ذات زخارف جصية، وأما الثانية فهي عبارة عن مسجد صغير بيت صلاته عمقها 14.10م وعرضها 5.41م وهي مشكلة من ثلاث بلاطات عمودية على جدرا القبلة محمولة على عقود منكسرة متجاوزة ترتكز على أعمدة، مسقوفة بقبتين أحدها تعلو الضريح، لها محراب يتوسط جدار القبلة ذو عقد منكسر متجاوز يكتنفه عمودان مدمجان بالجدار. يطل الضريح من خلال مدخل على سبعة حجرات صغيرة عبارة عن خلاوي.

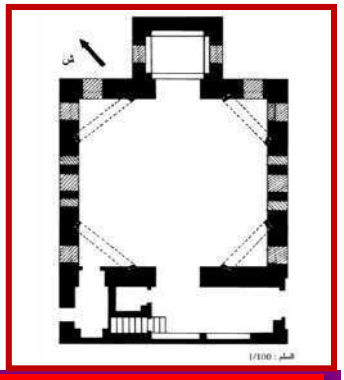

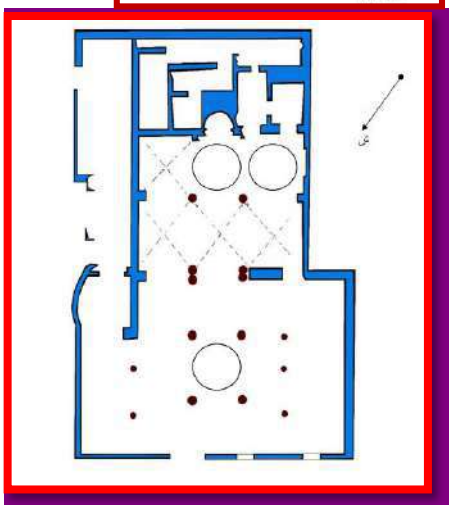

3-ضريح الباي مصطفى المسراتي بمستغانم:

1.3- الموقع: يقع الضريح على هضبة في أعالي حي المطمور بمدينة مستغانم.

2.3- التأسيس: بني هذا الضريح من طرف الباي مصطفى المسراتي أواخر شهران شعبان 1126هـ/1734م.

2.3- الوصف المعماري للضريح: يفضي المدخل الرئيسي للمبنى إلى بهو مستطيل طوله 5.30م وعرضه 2.5م ذو سقف متقاطع، ومنه ندخل إلى حجرة الضريح المربعة طول ضلعها 10م تعلوها قبة مثمنة الأضلاع، تتقدم حجرة الضريح حجرة أخرى صغيرة تعلوها قبة مضلعة أيضا، تكسو جدران الضريح إلى ارتفاع 1.50م بلاطات خزفية حديثة.

4-ضريح الباي مصطفى لحمر بمستغانم:

1.4-الموقع: يقع الضريح على هضبة في أعالي حي المطمر مقابل ضريح مصطفى المسراتي بمدينة مستغانم.

2.4-التأسيس: يُنسب تأسيسه إلى الباي مصطفى الأحمر الأخ الأصغر للباي مصطفى المسراتي والذي تولى حكم بايليك الغرب بعد وفاة الباي مصطفى المسراتي، ويكون الضريح قد بني سنة وفاته.

3.4- **الوصف المعماري للضريح:** يتكون المبنى من حجرتين يفصل بينهما بهو ويتقدمهما فناء، أما الحجرة الصغرى فهي مربعة طول ضلعها 5م تعلوها قبة مضلعة، أما الحجرة الكبرى فذات شكل مستطيل طول ضلعها 6.80م وعرضها 6م ذات قبة ثمانية الأضلاع أيضا، وهذه القبة الضريحية تمثل نموذجا للقباب الضريحية من حيث التخطيط والشكل المعماري والتي عرفتها الجزائر خلال الفترة العثمانية.

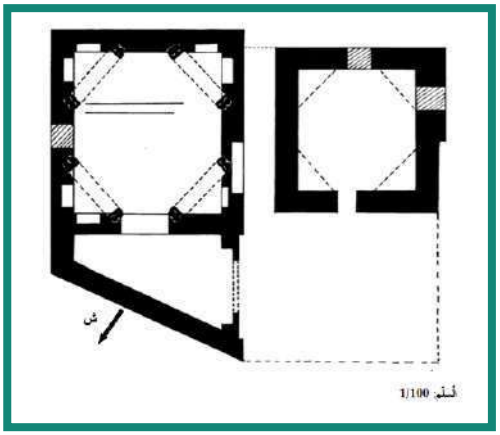

أهم المراجع المعتمدة

- **آصلان آبا، أقطاي**، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث التاريخية والفنون والثقافة الإسلامية باستنبول (IRCICA)، استنبول، 1987م.
- **بوعزيز، يحيى**، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري. منشورات A.N.E.P، الجزائر، الطبعة الأولى، 2002م.
- **رزق، محمد عاصم**، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000م.
- **شافعي، فريد**، العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة)، المجلد الأول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1970م.
- **فكري، أحمد** ، المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف، القاهرة، 1936م.
- **بلجوزي، بوعبد الله**، آثار عمران حواضر بايليك الغرب في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2012-2013م.
- **بن بلة، خيرة**، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008م.
- **بوتشيشة، علي**، العمارة الدينية والمدنية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2.
- **دحدوح، عبد القادر**، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009-2010.

Bourouiba,R, Apports de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique, O.P.U.,Alger, 1987.

Bourouiba,R, L'Art religieux musulman en Algérie, S.N.E.D., Alger, 1973.

Dokali,R, Les Mosquées de la période turque à Alger, S.N.E.D. Alger, 1974.

Golvin,L, Essai sur l'Architecture religieuse musulmane, Tome 1,2,3et4 Edition Klincksieck, Paris, 1970.

Marçais,G, L'Art en Algérie, Imprimerie algérienne, Alger, 1906.

Marçais,G, L'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphique, Paris, 1975.

- **مواقع إلكترونية**

****

المحاضرة التاسعة

العمارة السكنية في الجزائر خلال العهد العثماني

تمهيد:

يعتبر المسكن عموما العنصر الأساسي في تكوين نسيج الحي (الحارة) بالمدينة الإسلامية والأكثر كثافة، وقد خضع في تصميمه لعدة معطيات؛ دينية واجتماعية واقتصادية وطبيعية وبيئية، كما يكون قد تأثر بالتصاميم القديمة، إلا أنه كان أكثر ارتباطا في شكله بقيم وتعاليم الدين الإسلامي مما منحه الحرمة والقدسية والخصوصية، كما جعله متشابها في جميع العهود الاسلامية وذلك من خلال تكويناته المعمارية والزخرفية ولم يكن الاختلاف إلا في بعض التفاصيل.

أولا- الخصائص المعمارية للعمارة السكنية في الجزائر خلال العهد العثماني:

كانت المساكن في الجزائر خلال العهد العثماني تتخذ طرازا واحدا تقريبا يتكرر بنفس الشكل والوحدات والعناصر في مختلف المدن على غرار مدينة الجزائر ووهران وقسنطينة والمدية والبليدة وملیانة، ولا يبدو الاختلاف إلا من حيث الحجم والمساحة وتعدد الأجنحة. تشكلت في العادة من طابقين تفتح على الصحن من خلال أروقة، والراجح أن هذا الامتداد العمودي للمباني ذا صلة بمساحة الأرض المحدودة وبطبيعتها الطبوغرافية التي يغلب عليها الانحدار مما لا يسمح بالامتداد الأفقي في البناء، وكانت هذه المساكن في مجملها ذات تصاميم محلية موروثة عن الطراز المغربي الأندلسي.

وتشكلت هذه المساكن في الغالب من ثلاث مستويات؛ طابق أرضي وآخر علوي وسطح، ذات صحن مركزي تحفه أربعة أروقة عادة، وحول الأروقة تتوزع الحجرات والغرف التي يغلب عليها الاستطالة بينما يتصدرها مدخل منكسر تليه السقيفة، تلك هي العناصر الأساسية المشكلة للمسكن عموما.

وقد انبثق عن هذا الطراز عدة أنماط فمنه النمط المديني الذي يتميز بضيق المساحة ومحدودية الأجنحة، وهناك النمط الريفي والذي يتميز بسعة المساحة وتعدد الأجنحة، وقد خلفت لنا الفترة العثمانية العديد من المساكن التي تنتمي إلى هذا النمط والتي أطلق عليها

"مساكن الفحص" لا سيما بمدينة الجزائر، ومنها دار محيي الدين ودار عبد اللطيف ودار الداي حسين .

وكثيرا ما كان للعامل الاجتماعي دوره في تحديد نمط البناء فبينما تميزت دور العامة بالضيق والبساطة وعدم الانتظام في مخططها، تميزت في المقابل دور الحكام والبايات وكبار القادة والموظفين بالاتساع والفخامة وتعدد المرافق وانتظام مخططها.

وقد نضيف إلى النمطين السابقين نمط ثالث والمتمثل في القصور (دور الإمارة أو الحكم) التي بناها في العادة حكام البلاد وبايات المقاطعات، وهذا النمط يتشابه كثيرا مع النمط الريفي من حيث اتساعه وتعدد أجنحته حتى وإن بُني داخل المدن.

إن بناء قصر الحكم (دار الإمارة) بعيدا عن مركز المدينة تقليد درج عليه الخلفاء والأمراء والسلاطين منذ العصور الاسلامية الأولى، واستمر الحال حتى خلال الفترة العثمانية، وربما مثلت الجزائر العاصمة الاستثناء الوحيد أين أقيمت دار الإمارة بقلب المدينة أو قريبا من ذلك برغم بعض القلاقل والاضطرابات التي شهدتها هذه الأخيرة، وهذا طيلة فترة الحكم العثماني تقريبا والتي امتدت لأزيد من ثلاثة قرون.

بينما في مدن أخرى بنيت بعيدا عن المركز، فالملاحظ أنها في وهران على سبيل المثال بنيت جميعها بعيدا عن مركز المدينة سواء قصر الباي مصطفى المسراتي الذي بني في المنطقة الأعلى من القصبة أو قصر الباي محمد الكبير الذي شيّده في أقصى الطرف الشمالي الشرقي من وهران أو حتى قصر الباي حسن الذي عرف خلال الفترة الاستعمارية بقصر الكوليزي (Collysée) والذي احتل الجزء الشمالي من المدينة القديمة قبل أن يُهدم ويبنى محله المستشفى العسكري الفرنسي.

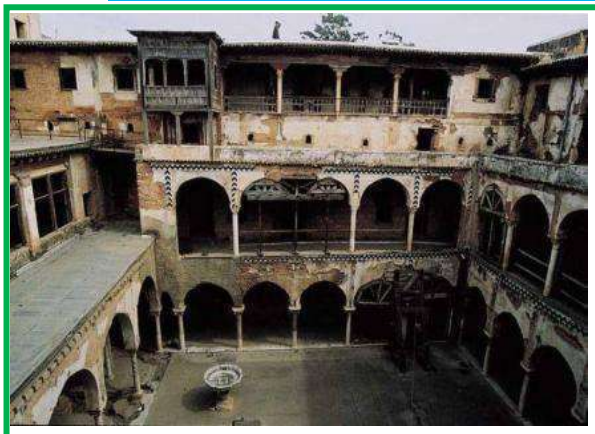

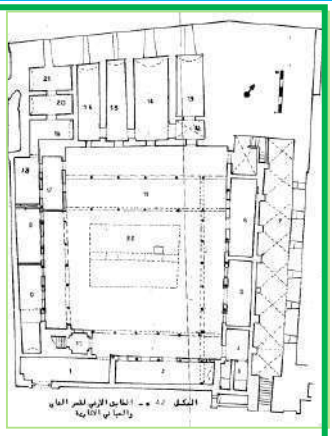

قصر الداي بالجزائر

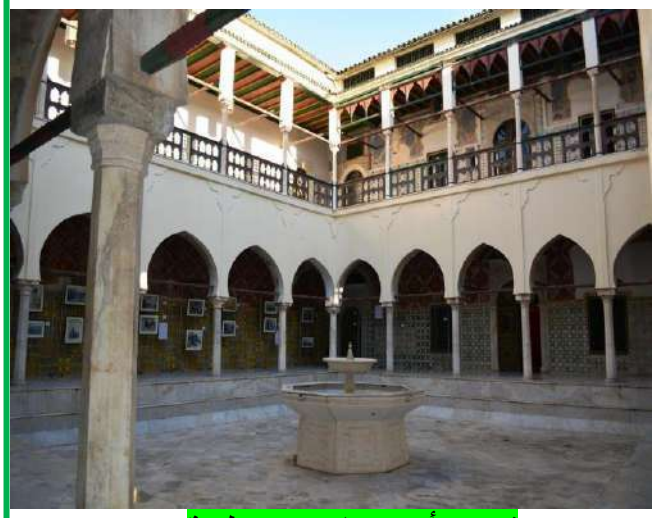

قصر أحمد باي بقسنطينة

قصر الباي بوهران

ثانيا- الوحدات الأساسية للمسكن في الجزائر خلال العهد العثماني:

1- المداخل المنكسرة:

كان المعمار المسلم عادة ما يعمد إلى عمل انكسار في مدخل الدار فينحني الداخل من الباب الرئيسي إما يمينا وإما شمالا، وهذا ضمن إطار منع ضرر كشف عورات البيوت، وهكذا كان الحال في دور وقصور الجزائر خلال الفترة العثمانية.

و" يعد المدخل المنكسر سمة من سمات العمارة السكنية الإسلامية ويتجاوب مع القيم الروحية للمسلمين، ويعكس رؤيتهم للعلاقة الاجتماعية وتجسيد نظرتهم للحياة الأسرية القاضية بالحفاظ على أسرارها وحماية حريتها الخاصة من عيون المارة وسكان المنازل المقابلة إذا خرجوا أو وقفوا بالأبواب أو أشرفوا" فيحفظ للأسرة نوعا من الخصوصية والسكينة ويحميها من الفتن والاضطرابات التي قد تحصل في الخارج، ومن جهة أخرى يبقي على نظافة البيت ويجنبه التيارات الهوائية والريح الحاملة للأوساخ والأتربة.

ومع مرور الوقت صار المدخل المنكسر تقليدا معماريا معمول به في جميع الدور حتى وإن انتفت أهم أسباب إنشائه والمتمثلة خاصة في حجب الرؤية، فبيوت الفحص التي كانت تشيد خارج أسوار المدن وبعيدا عن التجمعات السكانية خلال الفترة العثمانية حافظت على مداخلها المنكسرة.

ويمكن تلخيص وظيفة المدخل المنكسر فيما يلي:

ومما يجب التأكيد عليه أن المدخل المنكسر لم يكن مرتبطا فقط بالعمارة السكنية، إنما عرفته حتى الحمامات، إضافة إلى التحصينات الدفاعية سواء خلال الفترة العثمانية أو الفترات التي سبقت.

2- السقائف :

كانت تتكون مساكن وقصور الجزائر أثناء العهد العثماني غالبا من سقيفتين اثنتين تتخذان موقعا على غاية من الأهمية حيث تأتيان مباشرة بعد المدخل، و" .. مهما كان موقعها، فهي تأتي مباشرة بعد البوابة الرئيسية للقصر وهذه تسمى بالسقيفة الأمامية أو الصغرى، بينما السقيفة الأساسية التي تأتي بعدها تسمى بالسقيفة الكبرى". وهذا فعلا ما نلاحظه في العديد من الدور والقصور سواء المقامة داخل أسوار المدينة كما هو الحال بالنسبة لقصر عزيزة وقصر حسن باشا وقصر الدار الحمراء أو خارج الأسوار على غرار دار الداي حسين ودار عبد اللطيف ودار الداي بابا حسن بمدينة الجزائر، وأحيانا تتوفر المساكن على سقيفة واحدة فقط كما هو الحال بالنسبة لدور مدينة قسنطينة كدار الضياف ودار الدايخة ودار السليماني بالمدية، ودار عزيزة ودار عابد بالبليدة، ودار الباي ودار بوزيان ودار جبلاوي بمليانة، إضافة إلى دار الرايس حميدو والدار الثانية والثالثة لمحي الدين بفحص مدينة الجزائر.

أما وظائف السقيفة فهي :

- ✓ - استقبال الضيوف.
- ✓ - إنجاز الأعمال.
- ✓ - انتظار الزوار.

ولما كانت السقيفة بهذه الأهمية، أولاها المعمار المسلم عناية معمارية وفنية خاصة، فأنشأ بها مقاعد للجلوس موزعة على جوانبها تعرف محليا بـ"الدُكانة" مفتوحة في عمق الجدران تفصل بينها أعمدة مزدوجة، ويعلو كل مقعد عقد إهليليجي (Arc en anse de panier) وتبلط أرضيتها بالقطع الرخامية أو الحجرية، وتكسو حوائطها السفلى ومقاعدها بالمربعات الخزفية الجميلة، أما مدخلها فشكّل إطاره من الرخام أو الحجر المزخرف وجُعل سقفها متقاطع الأضلاع.

وإذا كانت السقيفة في الدور العادية تأخذ مساحة صغيرة، فإنها بالمقابل تكون في القصور والدور الكبيرة ذات مساحة معتبرة لتعد بحق دار استقبال أو انتظار فعلية كما هو الحال بالنسبة لدار مصطفى باشا بالعاصمة.

احدى سقائف القصور

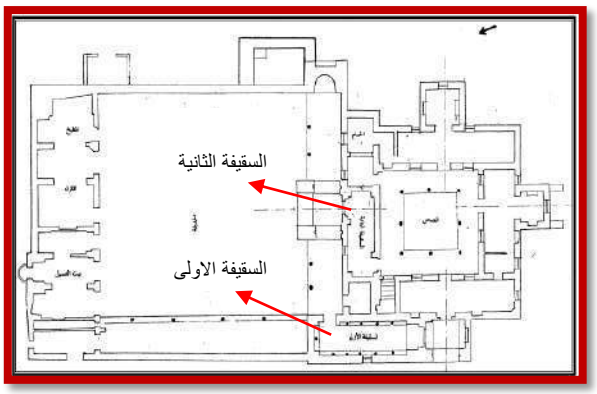

دار الداي حسين بمدينة الجزائر

وتعتبر السقيفة إلى حد ما وبشكلها المتطور الذي رأيناه عنصرا جديدا في تصميم المسكن بالجزائر عكس العناصر الأخرى الموروثة عن العمارة المغربية الأندلسية. وقد عرفتها تونس أيضا مع بعض الاختلاف، حيث كانت توجد سقيفة واسعة تدعى أحيانا بـ"الدريبة" تليها سقيفتان أخريان.

إلا أن أصولها المعمارية قديمة فقد عرفها العراق خلال العهد العباسي وكانت عبارة عن ممر (دهليز) يلي المدخل مباشرة يفضي إلى الصحن، يجهز أحيانا بمقاعد حجرية للجلوس، وقد تستخدم كحجرة لاستقبال الضيوف ولجلوس صاحب الدار أو الخدم.

4- الصحون والأروقة :

يعدّ الصحن أحد أهم الحلول المعمارية والمناخية الاجتماعية الذي تم استخدامه في أغلب الحضارات ابتداء بالحضارتين الرافدية والمصرية، كما يعتبر العنصر الثابت والحاضر باستمرار في مختلف العمائر الاسلامية ومنها المدنية وخصوصا الدور والقصور.

وقد تميزت القصور والمساكن في الجزائر خلال الفترة العثمانية عامة باشتمالها على "وسط الدار" أو صحن مركزي مكشوف تتوسطه نافورة محاط بأروقة تتوزع حولها الغرف ذات سطوح أفقية مستوية، وهذا التصميم "المتطور" يتجاوب مع الظروف المناخية التي تميز منطقة البحر الأبيض حيث الحرارة مرتفعة نسبيا وأشعة شمس معتبرة إضافة إلى

أمطار قليلة وغير منتظمة بعموم البلاد. أما من حيث العامل الثاني الذي أثّر في تصميم المسكن فهو الحالة الاجتماعية، إذ بفضله تمّ المحافظة على حرمة الأسرة وأسرار وحرية أفرادها.

وثالث العوامل؛ العامل الديني الذي فرض على المعمار المسلم أن تكون عمارة الدار متفقة مع تعاليم الدين الإسلامي الداعية إلى عدم الاختلاط وكشف العورات.

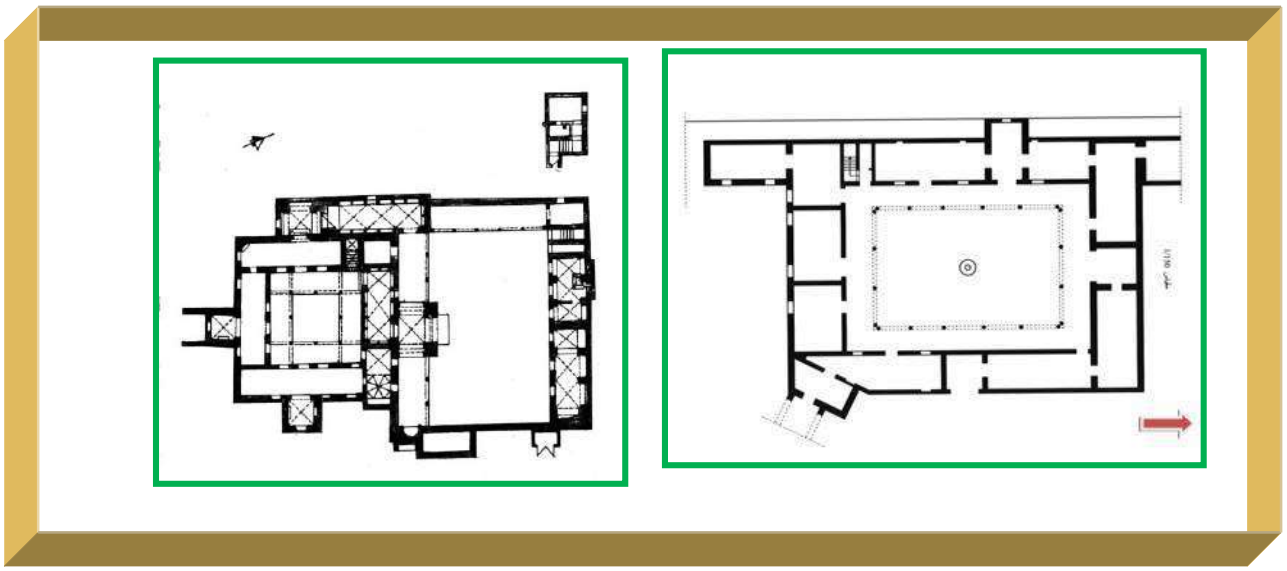

ويمكن تلخيص دور الصحن فيما يلي:

- المحافظة على الاتصال المباشر بالهواء الطلق والسماء الزرقاء طلبا للضوء والنور.
- التخفيف من حدة الضوء الواصل إلى الأروقة.
- الإقلال من نسبة الغبار المتطاير من الطرقات.
- المحافظة على الدفء شتاء والرطوبة صيفا.
- التقليل من الضوضاء الخارجية.
- تلطيف حرارة الجو من خلال النافورات الموجودة به عادة.
- تكييف حرارة الجو خاصة في الصيف.
- إضفاء مسحة من الجمال سواء من حيث النباتات المغروسة بداخله أو زخارف واجهاته.

- السماح للعائلة بالاجتماع من خلال مساحته الفسيحة.
- يعتبر فضاء رحب للعب ومرح الأطفال.
- السماح للمرأة من الخروج دون أن تتوارى من أحد.
- إقامة الحفلات وإحياء المناسبات بداخله.
- منح سكان البيت البهجة والسرور.
- إحياء الحفلات والسهرات وأفراح الزفاف والختان وغيرها.
- تتم الكثير من الأعمال المنزلية ولاسيما غسل الأواني والملابس
- يعتبر عنصر ربطٍ وتواصلٍ بين مختلف غرف ومرافق الدار.

ويتراوح عدد الأروقة التي تحيط بالصحن بمساكن الجزائر خلال العهد العثماني ما بين رواقين وأربعة أروقة، وقد يكون لموقع المسكن ومحدودية المساحة والإمكانيات المادية الأثر البارز في تحديد عدد الأروقة التي تحيط بالصحن.

إن عدد عقود الأروقة المحيطة بالصحون لم يكن ثابتا في مساكن مدن الجزائر، وتراوح ما بين عقد واحد وخمسة عقود،.وفي مساكن الفحص بمدينة الجزائر - على سبيل الاستشهاد- تراوح عدد العقود ما بين عقد واحد وأربعة عقود. وقد يختلف عدد العقود حتى بالمسكن الواحد ذلك أن بعض الصحون اتخذت شكلا مستطيلا على غرار دار إقامة قصر الباي محمد الكبير الذي تشكل فيه رواقان من خمسة عقود بينما تشكل الرواقان الآخران من ثلاثة عقود.

وعلى العموم فقد رُوعِي في تشكيل العقود قاعدة معمارية معينة بحيث يكون وسط الدار مرئيا من مركز الغرف المحيطة عادة بالأروقة، دون أن يحول بينها وبين وسط الدار أي عمود. غير أن هذه القاعدة – وإن احترمت في مساكن مدينة وهران مثلا - حيث عدد العقود يساعد على ذلك؛ فإنها لم تحترم دائما في مساكن أخرى بباقي مدن الجزائر حيث يكون عدد العقود رقما زوجيا وهو الأمر الذي لا يسمح بذلك.

ومهما يكن من أمر فإن العناصر الأساسية في تخطيط البيت الإسلامي لم تشهد تغييرات جوهرية طيلة العهود الاسلامية، إنما مسّ التغيير عناصر ثانوية إستلزمتها ضرورة التطور واستخدام مواد بناء جديدة، ورغم أن عامل المناخ كان من أهم العوامل التي ساعدت على استمرار مخطط المساكن ذات الصحن المركزي، فإن عامل الدين هو الآخر لا يقل أهمية عن العامل السابق في فرض هذا التخطيط واستمراريته، مع العلم أن هذه المساكن تكون قد استلهمت تصاميمها من عمارة المسجد النبوي الذي كان منطلق العمارة الاسلامية.

هذا التصميم الذي بالإمكان أن نميز فيه نمطين؛ نمط حضري ونمط ريفي، المتميز خاصة بمساحة البناء الواسعة غير المحدودة مما يسمح بالتمدد الأفقي في البناء وإضافة ملحق أو أكثر للمبنى والتي من ضمنها الجناح الإداري الذي يشتمل عادة على الديوان، وانفتاح النوافذ على الضاحية حيث لا وجود لمقابل، فكانت أكثر تعدادا واتساعا من مثيلاتها في المساكن الحضرية، إضافة إلى احتواء المسكن – غالبا – على حديقة (فناء) أو أكثر.

ضمن هذا النمط ندرج قصر الباي محمد الكبير بوهران وقصر أحمد باي بقسنطينة الذي احتفظ تصميمهما بعناصره الأساسية التي يشترك فيها كلا النمطين والمتمثلة أساسا في الصحن المركزي المكشوف والأروقة المحيطة به من الجهات الأربعة إضافة إلى الغرف الموزعة حولها والسطح الأفقي والملحقات.

وإذا كانت الدور المتضمنة للصحن هي السمة البارزة لمساكن الجزائر عموما خلال الفترة العثمانية، فإنه في المقابل ظهرت مساكن من نمط آخر لا تضم في ثنايا تخطيطها الصحن ولا الأروقة؛ على غرار دار الباي حسن بوهران، وتميزت هذه الدور بمحدودية المساحة وبامتدادها الرأسي، وتكون الغرف بها في العادة متطابقة الواحدة فوق الأخرى، يتم الانتقال منها واليها عبر سلم يحتل أحد الأركان أو مركز الدار، تتلقى الضوء أحيانا من خلال فتحات أو نوافذ مطلة على الخارج.

هذا النوع من المساكن عرفته مدن الجزائر خلال الفترة العثمانية ومنها العاصمة، كما عرفته في ذات الفترة العديد من المدن الاسلامية كالرشيد بمصر وجدة بالسعودية وصنعاء باليمن، ويبدو أنها كانت خاصة بالطبقة المتوسطة، وقد تميزت بتعدد طوابقها - التي قد

تصل إلى الأربعة طوابق- وبارتفاعها المعتبر، لها واجهتين وأحيانا ثلاث واجهات، تستمد الغرف ضوءها وهواءها من خلال نوافذ تفتح على الخارج ضيقة في الأسفل وواسعة في الأعلى ذات شبابيك (مشربيات) خشبية تسمح بمرور الضوء والهواء، ويتم الانتقال ما بين هذه الطوابق من خلال سلم صغير الأبعاد.

5- الحجرات والغرف:

تميزت حجرات وغرف قصور ودور الجزائر خلال الفترة العثمانية عموما بالاستطالة إذا أخذنا في الاعتبار التغييرات الحاصلة أثناء الاحتلال للكثير من هذه المساكن، بينما عمقها لا يتعدى غالبا الثلاثة أمتار، ذلك أن العمق يتحدد بمدى احتمال السقف الخشبي للثقل الموزع عليه من جهة، وبغية مجارات النمط العام للمساكن من جهة ثانية واستغلال المساحة المتاحة حول الصحن استغلالا عقلانيا من جهة ثالثة، كما أن هذا التصميم يتلاءم وأحوال المناخ السائدة من جهة رابعة.

وإن خاصية استطالة الغرف لم يعرفها المسكن الجزائري في العهد العثماني فحسب، إنما سادت من قبل حيث عرفتها بيوت سدراتة والقلعة وتلمسان، كما عرفتها تونس والمغرب في نفس العصور، وعرفها أيضا المشرق الإسلامي، وهي باختصار خاصية عامة تميزت بها معظم المساكن والبيوت منذ العصور الإسلامية الأولى، بل وحتى الحضارات القديمة.

ومن جهة أخرى فلقد روعي أن يكون مستوى أرضية الغرف والحجرات أعلى من مستوى أرض الأروقة والسبب أن الهواء البارد أثقل من الهواء الساخن حيث يبقى مستقرا في قعر الأروقة والصحن مما يحول دون تسربه إلى داخل الغرف كما أن هذا النظام الذي وجدناه معمولا به في الكثير من عمائر الفترة العثمانية بالجزائر يحول دون تدفق المياه أو غيرها إلى داخل تلك الغرف.

وتحتوي بعض الغرف على أواوين قليلة الغور تعرف محليا بـ "لقبو"، وتقع في الغالب في مواجهة الباب المحوري، وعلى هذا الأساس كان الشكل العام لهته الغرف قريبا من التاء اللاتينية المقلوبة (T)، أي أن الغرفة ترتبط بشكل متعامد مع الإيوان وتنفتح عليه عادة بعقد منكسر متجاوز.

لقد صار الإيوان في صورته المتطورة في العهد العثماني هنا بالجزائر، عنصرا أساسيا في العمارة السكنية، حيث عرفته العديد من مدن الجزائر ومنها الجزائر وقسنطينة ومدينة المدية والبليدة وملیانة إضافة إلى وهران ، تعلوه قبة إذا كان عميقا، أما إذا كان قليل الغور فيسقف بسقف مستو، ويسبق دائما بقاعة عميقة تكون منخفضة عنه، ويفتح عليها في الغالب من خلال عقد منكسر متجاوز.

6- أجنحة القصور :

إذا كانت الدور في الغالب تضمّ جناحا واحدا فقط، فإن القصور في المقابل تتعدد فيها الأجنحة والملحقات، فهي تضمّ غالبا إلى جانب دار الإقامة؛ ديوانا ودويرة وحماما وحديقة أو أكثر وبعض الملاحق الأخرى.

1.6- الديوان:

يعدّ عادة أهم أجنحة القصور باعتباره قاعة استقبال ومقرا للحكم، كما قد يتخذ كمحكمة، ويكون في العادة منفصلا وبعيدا عن دار الإقامة أين تقيم عائلة الباي. وفي هذا الصدد كانت القوانين المعمول بها بالجزائر خلال العهد العثماني تفرض على الدايات المتزوجين أن يُسكِنوا عائلاتهم في إقامات خاصة بعيدا عن دار الإمارة، وقد يتم التواصل بين المبنيين من خلال ممر خاص ينشأ بهذا الخصوص، كما هو الحال بالنسبة لقصر الباي محمد الكبير.

ديوان قصر الباي بوهران

2.6-الدويرة :

عادة ما كانت تضم القصور والدور الكبرى – بما فيه تلك الموجودة بالضواحي- جناحا آخر عبارة عن مسكن إضافي يعرف محليا بـ"الدويرة"، يخصص لإقامة كبار الزوار والضيوف أو يتخذ دارا للابن المتزوج أو لأسرة أحد الأقارب أو مسكنا للخدم .

وكانت "الدويرة" في قصور مدينة الجزائر ودورها الكبيرة عبارة عن مسكن يتألف غالبا من صحن مركزي محاط بالأروقة تتوزع حولها الغرف، إلا أنه أصغر مساحة من المبنى الرئيسي، ويتشكل من مستويين فقط؛ الطابق الأرضي والسطح، يقع في العادة إلى جوار المبنى الرئيسي كما له مدخله المستقل. وقد نجد في تونس ما يشابهها من حيث التصميم، أما من حيث الوظيفة فكان طابقها الأرضي مخصصا للأعمال المنزلية بينما خصص الطابق العلوي لإقامة الخدم (دار الخدم).

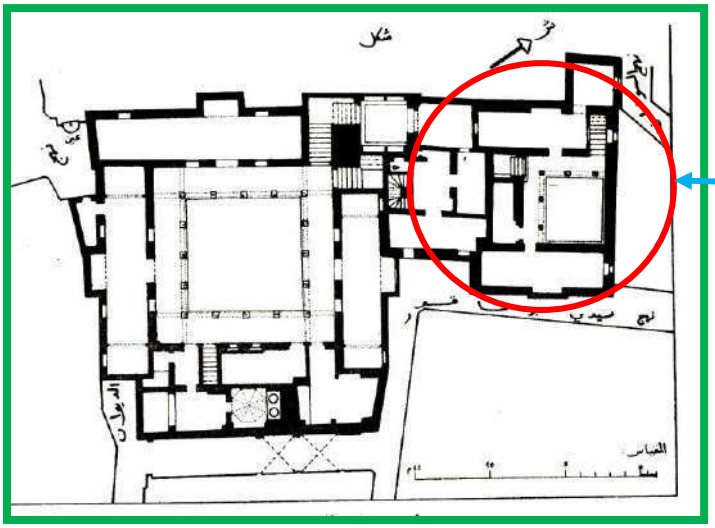

3.6- الحمام:

كانت تضم المدن الاسلامية نمطين من الحمامات نمط عام يندرج ضمن المرافق العامة لأية مدينة، ونمط خاص، وكان هذا الأخير عادة ما يلحق بالقصور والدور، وإن كان لا يختلف في تركيبته المعمارية عن الحمامات العامة عموما فإنه في المقابل يتميز بالبساطة ومحدودية المساحة، وكان يتكون من حجرتين فأكثر إضافة إلى حجرة الفرناق، وقد نجد من الحمامات - وفي حالات قليلة - ما كان يتكون من حجرة واحدة فقط إضافة إلى الفرناق

على غرار حمام أحد مساكن محي الدين بفحص مدينة الجزائر. وكان عادة ما تتوفر القصور والدور في الجزائر خلال الفترة العثمانية على الحمامات، والتي كانت تتكون من غرفة فأكثر.

كانت تشيد الحمامات المعروفة بالخاصّة جنبا إلى جنب مع باقي غرف الدور والمساكن وضمن جناح الإقامة أو "دور الحرم" داخل المساكن أو القصور، ويقصر استخدامها على أهل الدار دون سواهم. وكان موقعها جد قريب من المطبخ بحيث لا ينفصلان عن بعضهما البعض، فقد نجدها إلى جانبه أو فوقه، وهذا قصد الاستفادة من حرارة موقده لتسخين الحجرات أو التزود بالمياه الحارة في حالة انعدام الفرناق من جهة، ولاشتراكهما في قنوات صرف الدخان والمدخنة وتوصيل المياه أو التخلص منها من جهة ثانية.

ومما يلاحظ أن بعض الحمامات الخاصة بنيت بشكل شبه منفصل عن القصور مما قد يسمح لنا بإدراجهما ضمن نمط ثالث من الحمامات هو نمط الحمامات شبه العامة، ومن أمثلتها حمام قصر الباي مصطفى المسراتي بقصبة وهران وحمام قصر الباي محمد الكبير بوهران، وكلاهما بنيا منفصلين عن دار الاقامة. لذلك نعتقد أن هذه الحمامات استخدمت من طرف البايات وأسرهم إضافه إلى كبار رجال البايليك وضيوف البايات.

وكانت هذه الحمامات الخاصة لا تشتمل في العادة إلا على حجرة ضيقة أشبه أحيانا بالحفرة خاصة بالفرناق وهذا في حالة وجوده طبعا، والذي يقع في الغالب مباشرة أسفل القاعة الساخنة كما في حمام دار عبد اللطيف وحمام دار الرايس حميدو وحمام دار الداي حسين، إضافة إلى حمام دار عزيزة وحمام الدار الحمراء وحمام قصر البايات بمدينة الجزائر ، وليس بجانبها كما رأينا في الحمامات العامة.

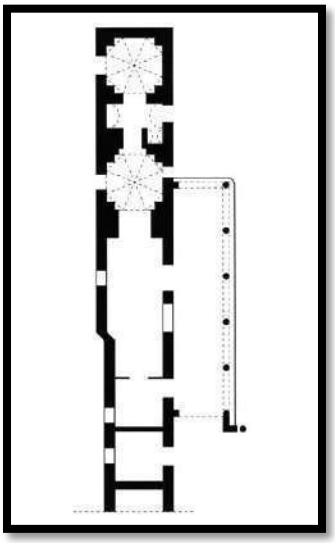

الحمام الملحق بقصر الباي بوهران (النمط الثالث)

4.6- الحديقة :

وإلى جانب ما سبق؛ تضمّ القصور حديقة أو أكثر يبدو أنها ازدانت بالعديد من الأشجار والنباتات والورود. وكانت الحديقة تعرف محليا بالجنينة، وتعتبر من أهم العناصر التي يقوم عليها تصميم بعض القصور والبيت الريفي خاصة، ففيها يحس المرء بمباهج الحياة الخاصة في مقام هو بمنآى عن كل فضول وإزعاج من خلال ما كانت تحتويه الحدائق من أشجار للتزيين تارة وللمنفعة الغذائية تارة أخرى، وأزهار وورود وعيون ونافورات للمياه وربما أيضا أقفاصا للطيور. ومن جهة أخرى فقد نالت هذه الحدائق حظها الوافر من الزخرفة وقد بدا ذلك -لاسيما- من خلال عقود أروقتها المزدانة بالمربعات الخزفية وأرضياتها المبلطة بالقطع الرخامية الجميلة.

حديقة دار بابا حسن بمدينة الجزائر

ثانيا- العناصر المعمارية للمسكن في الجزائر خلال العهد العثماني:

1- المداخل:

اتخذت المداخل في العمائر المدنية بمدن الجزائر خلال العهد العثماني عموما أشكالا وأبعادا مختلفة وفق الموضع الذي تحتله من المبنى، فإذا كانت المداخل الرئيسية للمباني غالبا ما تتخذ أحجاما كبيرة وببروز في معظم الأحيان، فإن مداخل الغرف والحجرات وبعض المرافق تتخذ أحجاما متوسطة أو صغيرة، كما قد تكون هذه المداخل معقودة أو تكون بغير عقود.

لقد كانت مداخل القصور الصيفية والدور الريفية خلال الفترة العثمانية – غالبا – ذات بروز يمتد إلى غاية السطح، ومن ذلك دار بابا حسن وقصر جنان الضباط ودار الداي حسين **ودار الرايس حميدو** وغيرها، وقد لا يمتد هذا البروز في مساكن أخرى إلى غاية السطح.

وقد تميزت مداخل الأبنية العامة والقصور في العمارة الإسلامية بالضخامة، وكثيرا ما ارتفعت أطرها وعقودها وحناياها الغائرة المحرابية الشكل، حتى بلغت علو جدران الواجهة وربما جاوزتها ارتفاعا، وقد ازدانت بجميع العناصر المعمارية الإسلامية وفنونها، كفقرات العقود الملونة والمتداخلة والفسيفساء والرخام والحليات الحجرية والجصية والخزف، وبشكل خاص المقرنصات والدلايات.

2-النوافذ والشمسيات:

1.2-النوافذ:

استخدم المعمار المسلم في عمائره إلى جانب المداخل؛ النوافذ وهذا في مختلف مدن الجزائر خلال الفترة العثمانية التي اتخذت مواضع وأشكالا وأحجاما مختلفة، ومعلوم أن وجود النوافذ ومواضعها وشكلها وحجمها تتحكم فيه عوامل واعتبارات اجتماعية ودينية ومناخية ووظيفية. وعموما فقد استحدثت النوافذ لإدخال ضوء الشمس سواء المباشر أو المنعكس وللسماح بمرور الهواء بالإضافة إلى الرؤية.

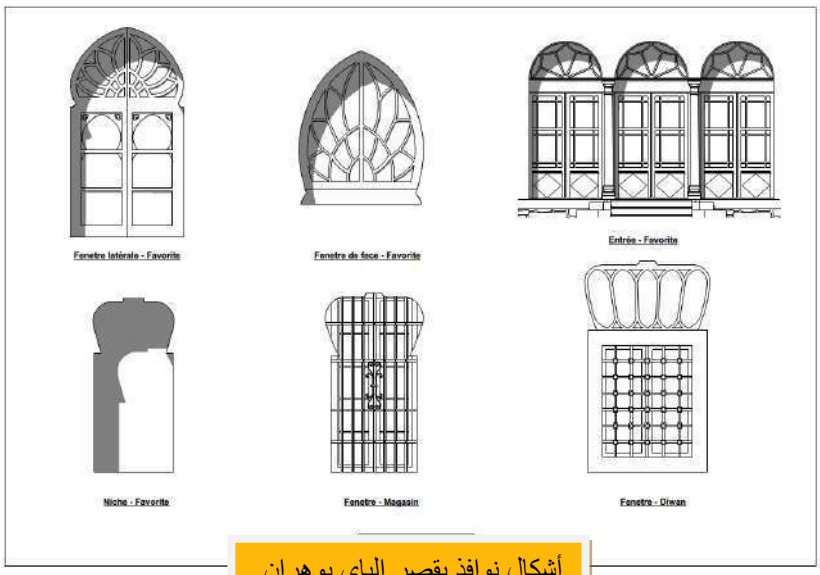

أشكال نوافذ بقصر الباي بوهران

وقد تميزت بالخصائص التالية :

- ✓ – ذات شكل مربع غالبا و مستطيل أحيانا.
- ✓ – روعي في توزيعها عادة مبدأ التناظر.
- ✓ – تميزت بالكثرة تلك المشرفة على الصحون وبالقلة تلك المشرفة على الخارج.
- ✓ – فتحت كثيرة وواسعة في دور وقصور الضاحية والريف.
- ✓ – كانت تعقد غالبا بعقد جزائري.
- ✓ – ذات سياج معدني بما فيها تلك المشرفة على الصحن.
- ✓ – تؤطر عادة بشريط من الزليج.

2.2- الشمسيات:

إلى جانب النوافذ اشتملت مساكن الجزائر على الشمسيات التي هي عبارة عن فتحات أقل اتساعا من النوافذ، وكان القصد من استخدامها هو تخفيف نسبة الإشعاع الحراري المركز المتسرب إلى داخل الغرف وتزويدها بنور ملون مشع، وقد عرفتها العديد من البلاد الاسلامية مع اختلاف في الشكل والحجم والعدد والزخرفة.

وهي ذات خصائص معينة :

- ✓ – مغشاة بالجص المخرم والمعشق بالزجاج الملون في العادة.
- ✓ – ذات عقد نصف دائري في الغالب.

- ✓ – كانت تتخذ مواضع معينة؛ فوق المدخل المحوري للغرف وفوق النوافذ التي تكتنفه وأحيانا فوق الخزائن الجدارية.
- ✓ – يختلف عددها حسب الموضع الذي تتخذه؛ غالبا ثلاثة فوق المدخل المحوري وواحدة فوق النافذتين اللتان تكتنفانه وواحدة فوق الخزائن الجدارية.

3- الأعمدة والدعامات :

لقد غلب استعمال الأعمدة في العمارة المدنية بمدن الجزائر خلال العهد العثماني، أما الدعامات فجاء استخدامها في نطاق جد ضيق وبشكل مدمج مع الحوائط غالبا.

وجاءت هذه الأعمدة وفق ثلاثة أنماط:

أ- العمود المركب:

- مصنوع من الرخام نصفه السفلي مثمن الاضلاع بينما نصفه العلوي حلزوني
- استخدم خاصة في القصور والدور الكبرى
- له تيجان ذات طابع كورنثي
- مستورد من إيطاليا تحت الطلب.
- كثر استخدامه في الاروقة المحيطة بالصحون لاسيما في الطوابق العلوية لتثبيت الدرابزين.

- وجد نوع منه مصنوع محليا من الحجر الكلسي استخدم بأروقة أفنية مساكن الفحص بالجزائر.

ب-العمود الأسطواني:

- ذو بدن أملس ناعم
- مصنوع من الرخام أو الحجر
- ذو تيجان بسيطة

ج-العمود الحلزوني:

- -ذو شكل حلزوني
- -صنع من الرخام أو الحجر
- -كثر استخدامه بالسقائف وأروقة الطابق الارضي للقصور والدور

كما استعمل نوعان آخران من الأعمدة لم يعرفا انتشارا واسعا وهما:

1. العمود المضلع.
2. العمود الأسطواني المضلع.

أما فيما يخص التيجان فاستخدمت أنواع عديدة ثلاثة منها عرفت انتشارا واسعا وهي :

1. التاج ذو النمط المحلي البسيط
2. التاج ذو النمط المغربي الاندلسي
3. التاج ذو الطابع الكورثي

كما عرفت مساكن قسنطينة نوعين آخرين من التيجان هما:

- التاج ذو النمط الحفصي.
- التاج ذو النمط التركي.

4-العقود:

عرفت العمارة المدنية الإسلامية في الجزائر خلال العهد العثماني أنواعا مختلفة من العقود، وكان كل نوع يستخدم في أماكن محددة في الغالب، وأبرز هذه العقود هي :

1.4 العقد المنكسر المتجاوز:

حسب الأستاذ غولفان فان العقد المنكسر المتجاوز ظهر جليا في قصر الأخيضر، كما ظهر بعد ذلك بجامع القيروان في عهد الأغالبة، وقد شاع استعماله في عهود الموحدين والمرينيين والزيانيين وعنهم ورثته الجزائر خلال العهد العثماني، ونال من الإقبال والشهرة بمثل ما ناله من قبل وربما أكثر، إذ استخدم – تقريبا – في جميع مساجد تلك الفترة. وعنه يقول الأستاذ فريد شافعي:" ومما يستوقف النظر أن هذا النوع لم ينتشر في العمارة العربية في الشرق الإسلامي مثلما انتشر في الغرب الإسلامي، الذي يمكن القول أنه هاجر إليه منذ العصر الإسلامي المبكر، وأصبح من أشهر مميزات العناصر الإسلامية هناك "، وتناوب الحجر والآجر في تشكيل فقراته (صنجه) وما لبث أن ظهر في بطنه ومختلف أجزائه المقرنصات الحجرية والجصية.

مواضع استخدامه:

- الأروقة
- مداخل الغرف المحورية
- الفتحات الكبرى التي تفصل ما بين الغرف وأواوينها.
- المداخل الرئيسية للقصور والدور الكبرى.

2.4-العقد النصف الدائري:

نميز في هذا العقد نوعين؛ غير المتجاوز والمتجاوز، هذا الأخير ظهر في المغرب الإسلامي لأول مرة بجامع قرطبة ثم في القيروان. كما كثر استعماله في قلعة بني حماد ثم في العهود التي تلت.

مواضع استخدامه:

- ✓ – مداخل السقائف.
- ✓ – أبواب المرافق المعيشية.
- ✓ – أبواب بداية ونهاية السلالم.
- ✓ – الشمسيات.

3.4-العقد الجزائري:

يعتبر من العقود التي تميزت بها العمائر العثمانية بالجزائر وخاصة المدنية منها أما العمائر الإسلامية فقد خلت منه،ونشير هنا أن الإقبال على هذا العقد كان كبيرا في المساكن والقصور في الجزائر خلال العهد العثماني، بل وأصبح سمة من سماتها البارزة، عكس العمارة الدينية التي لم ينتشر فيها كثيرا.

مواضع استخدامه:

- ✓ – الخزائن الجدارية.
- ✓ – النوافذ المقابلة للخزائن الجدارية.
- ✓ – النوافذ المشرفة على الصحون.
- ✓ – مقاعد السقائف.

5-عناصر التسقيف:

استخدم المعمار في العمائر الدينية والمدنية في مدينة وهران خلال فترة الحكم العثماني أنواعا عدة من التسقيف بغية تغطية الفراغات الناتجة عن تشييد المباني، منها القباب والأقبية بأنواعها إضافة إلى السقوف المسطحة.

1.5-القباب:

عُدّت القباب واحدة من أهم عناصر التسقيف التي استخدمها المعمار المسلم في المباني الدينية دون استثناء. خلال الفترة العثمانية، هيمنت القبة – ثمانية الأضلاع ذات الأصول المغربية الأندلسية وأضحت تؤدي دورا أهم بكثير من الدور الذي أدته من قبل

مواضع استخدامها:

- ✓ – القاعة الحارة للحمام
- ✓ – أواوين الطوابق الأرضية
- ✓ – بداية ونهاية السلالم المفضية إلى السطح.
- ✓ – نقطة تعامد (تقاطع) أروقة الصحون.

2.5- الأقبية المتقاطعة:

وتكمن أهمية هذا النوع من السقف في توزيعه الثقل على نقط ارتكاز ثابتة ومتباعدة دون أدنى تحميل على الجدران القائمة بين هذه النقط.

مواضع استخدامها:

- ✓ - السقائف
- ✓ - المرافق المعيشية كالمطابخ وبيوت الغسيل والكنيفات وبعض المخازن والصهاريج.
- ✓ - السلالم.

3.5- الأقبية نصف البرميلية:

لقد استخدم نوع ثالث من السقوف وهو الأقبية نصف البرميلية وجاء استخدامها متفاوتا بين المعالم. ويبدو أن استخدام القبو البرميلي في التسقيف راجع أساسا إلى سهولة بناءه وقدرته على تحمل الثقل والضغط وتوزيعهما توزيعا متساويا على الجدران.

كما استخدم في الحمامات وعلى نطاق أوسع هذه المرة؛ حيث غطيت به الكثير من القاعات الدافئة وبعض الأروقة الداخلية.

مواضع استخدامها:

- ✓ - المساحات الضيقة كالممرات
- ✓ - الغرف الضيقة المستطيلة
- ✓ - بعض أروقة ومخازن مساكن فحص مدينة الجزائر.
- ✓ - بعض القاعات الدافئة للحمامات الملحقة بالدور والقصور.

4.5-الأسقف الخشبية :

خلال الفترة العثمانية عمّ استخدام الأسقف المستوية في تغطية المباني الدينية والمدنية على حد سواء وفي الكثير من مدن الجزائر وهو ما فرض وجود الأسطح. وقد استخدم السقف الخشبي بالعمائر السكنية خلال العهد العثماني- إضافة إلى القباب والأقبية – وذلك لتغطية الفراغات الذي تتميز بالاستواء.

مواضع استخدامها:

- ✓ - الغرف والحجرات.
- ✓ - الأروقة.
- ✓ - السلالم

وعموما فقد أدت السطوح في الدور والقصور أدوارا عديدة سواء للجلوس والسمر أو للنوم عليها خلال ليالي الصيف الحارة، كما كانت مكانا رحبا تلتقي من خلاله المرأة مع جاراتها لتبادل أطراف الحديث، وأحيانا كانت تستغل للقيام ببعض الأعمال المنزلية على غرار تجفيف بعض المواد الغذائية أو الملابس.

وإلى جانب الأسطح المستوية استخدمت في بعض المدن لاسيما الداخلية الاسقف الهرمية المغطاة بالقرميد أدى بالضرورة إلى غياب الأسطح.

5.5-السلالم:

يقتصر وجودها في الغالب على العمارة السكنية من دور وقصور المكونة من أكثر من طابق، وهي تتميز عموما ببساطة تشكيلها المعماري كما تتميز باتساعها عكس سلالم المآذن، وقد تضم بعض المساكن أكثر من سلم وفقا لمساحتها وتعدد أجنحتها ومرافقها، فالسلالم الرئيسية عادة ما تقع عند أحد أركان الأروقة، ذات مدخل عند بدايتها وعند نهايتها، تتسم بالاتساع وبنسبها الإنسانية، وكانت تكسى نوائم درجاتها بالرخام أو الأردواز أو بلاطات من الآجر بينما تكسى قوائمها أحيانا بالزليج، وتسقف بالأقبية المتقاطعة وأحيانا بالأوتاد الخشبية، أما السلالم الفرعية فعادة ما يرتبط وجودها بالمرافق المعيشية حيث تتميز بالضيق

وبالبساطة في مواد تشكيلها ومغطاة بأوتاد أو روافد خشبية، وجهزت هذه السلالم الرئيسية أحيانا بمقاعد للاستراحة، وقد نجد أحيانا كوات محفورة في جدران هذه السلالم تستخدم لوضع القناديل أو التحف التزيينية.

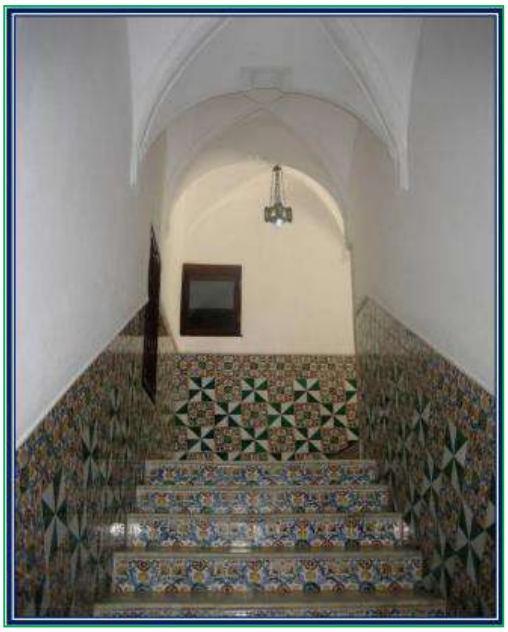

ملحقات

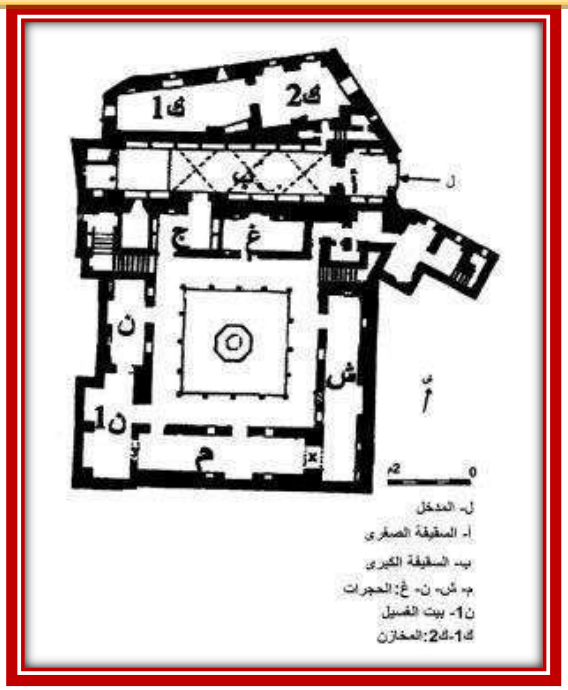

مخطط الطابق الأرضي لدار مصطفى باشا بمدينة الجزائر

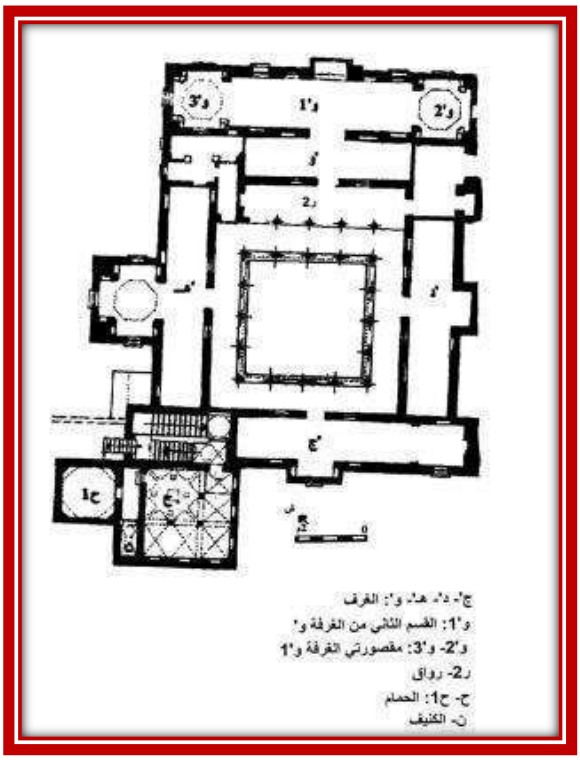

مخطط الطابق العلوي لدار مصطفى باشا

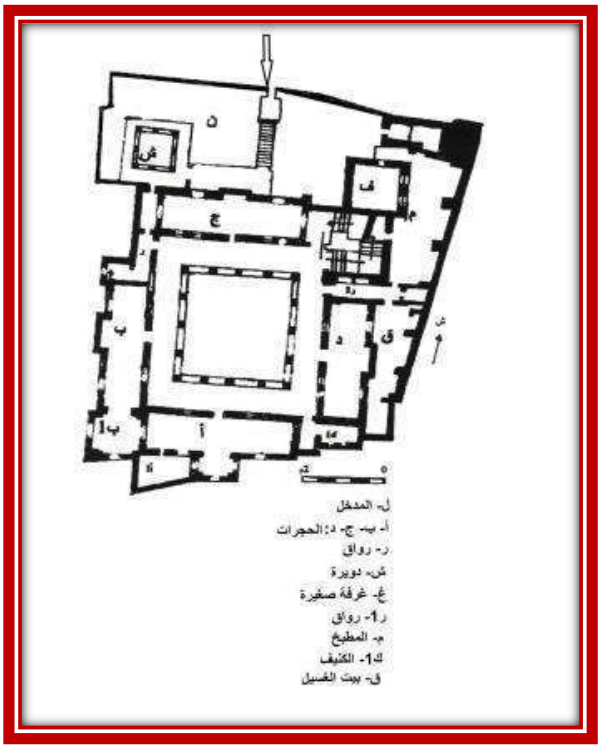

مخطط الطابق الارضي لدار الصوف بمدينة الجزائر

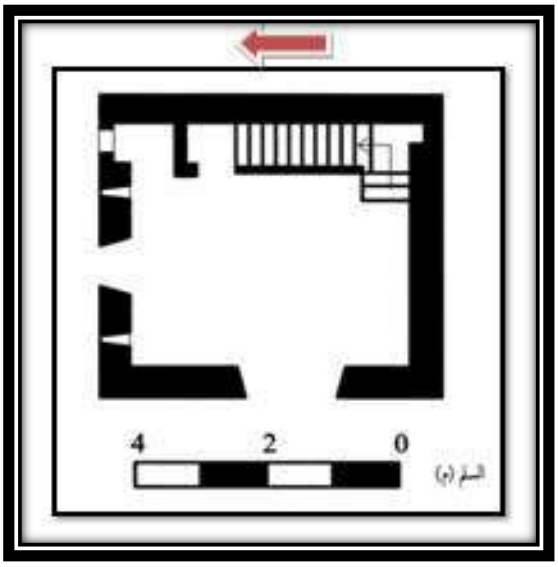

الطابق الارضي لدار الباي حسن بوهران

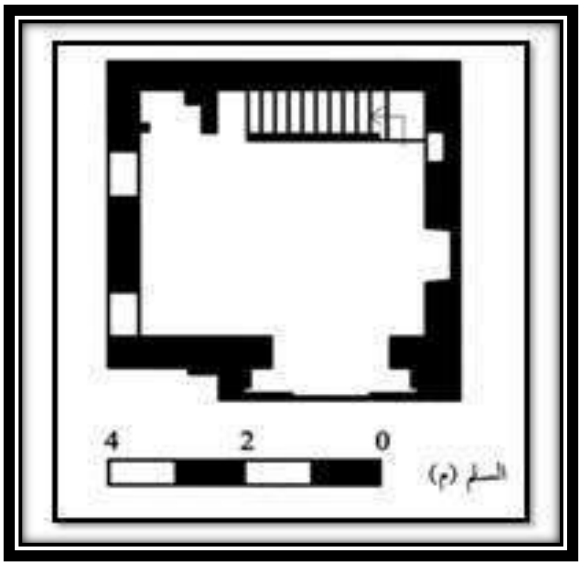

الطابق العلوي لدار الباي حسن بوهران

دار مصطفى باشا

دار الباي حسن بوهران

حديقة النخيل بقصر الباي احمد بقسنطينة

حديقة منزل عبد اللطيف

المدخل الرئيسي لدار مصطفى باشا

أحد مداخل دار مصطفى باشا

مقاعد سقيفة

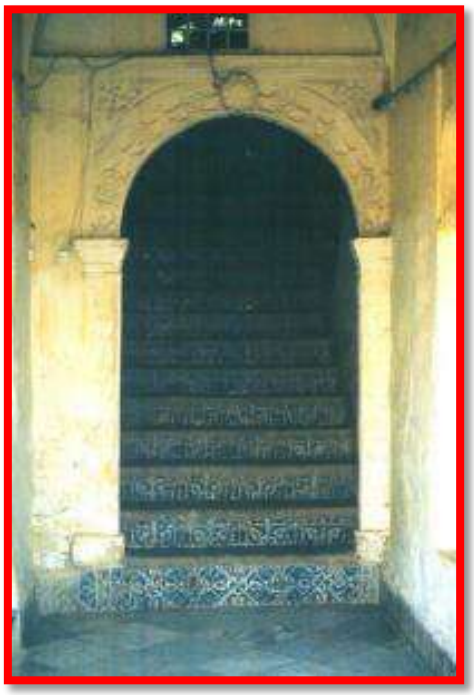

مدخل سلم

فرناق حمام دار عبد اللطيف

فرناق حمام دار الصوف

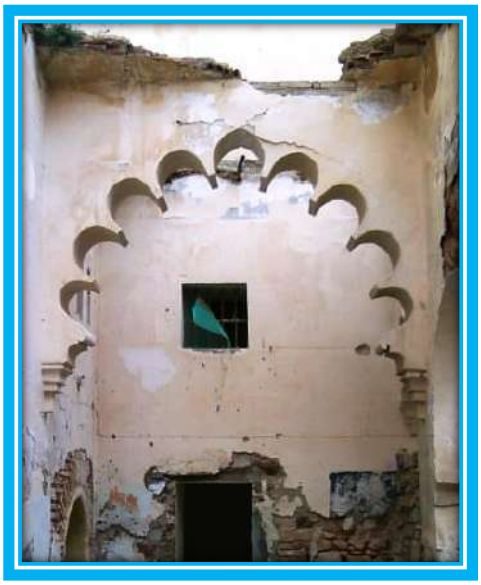

عقود متنوعة

قائمة لأهم المراجع المعتمدة

- **آصلان آبا، أقطاي**، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث التاريخية والفنون والثقافة الإسلامية باستنبول (IRCICA)، استنبول، 1987م.
- **بورويبة، رشيد** وآخرون، الفن المعماري الجزائري، سلسلة "الفن والثقافة"، مطبعة التاميرا، مدريد- إسبانيا، 1970.
- **بوتشيشة، علي**، العمارة الدينية والمدنية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2.
- **جلال، جميلة**، الأعمال المعمارية للداي مصطفى باشا في مدينة الجزائر وضواحيها من خلال وثائق الأرشيف والمعالم القائمة، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011-2012.
- **دحدوح، عبد القادر**، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009-2010.
- **راجعي، زكية**، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007.
- **عقاب، محمد الطيب**، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1985م.
- **قرمان، عبد القادر**، المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006-2007م.
- **راجعي، زكية**، "المسكن التقليدي في تركيا (خلال القرنين 17- 19م)"، مجلة آثار، العدد: 13، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015م.

Golvin,L, Palais et demeures d'Alger à la période ottomane, O.P.U., Alger,1988.

Marçais,G, L'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphique, Paris, 1975

Marçais,G, L'Art en Algérie, Imprimerie algérienne, Alger, 1906.

Missoum, Sakina, Alger à l'époque ottomane ; la Médina et la maison traditionnelle, INAS, Alger, 2003.

Ravéreau, A, Casbah d'Alger et le site créa la ville, Sindbad, Paris, 1989.

Marçais,G, « Maison et villas musulmanes d'Alger », In Documents algériens, T.1, Fév. 1948, PP 345-349.

المحاضرة العاشرة

المرافق العامة في الجزائر خلال العهد العثماني

أولا- الحمامات

1- أهمية الحمام في المجتمع الإسلامي:

أدت الحمامات دورا مميزا في حياة المجتمع خلال العهود الاسلامية المختلفة فكانت إلى جانب الجوامع والمدارس ودور الحكم والأسواق؛ النواة الرئيسية لنشأة المدن الإسلامية، وقد ورث المسلمون فكرة الحمام عن الحضارات السابقة ولاسيما الحضارتين الرومانية واليونانية، ثم ما لبثوا أن صاغوا الحمام صياغة معمارية تتوافق ومبادئ الإسلام وقيمه الروحية.

فمن أدواره المهمة في المدينة الاسلامية النظافة والتطهر وهو الدور الرئيسي له؛ كما ارتبط وجوده أيضا بعدة مناسبات اجتماعية كالزواج والولادة والختان وكان مكانا للالتقاء والتعارف وتجاذب أطراف الحديث والمؤانسة، وبالتالي لم يقتصر دوره على الجانب الديني المتمثل في ضرورة التطهر والاغتسال ولا على الجانب الصحي كالنظافة والاسترخاء بل تعداه إلى جوانب أخرى اجتماعية واقتصادية.

وبالمجمل فإنه يمكن أن نلخّص الأسباب التي تدعو لزيارة الحمّام فيما يلي :

- ✓ تأدية فروض الوضوء والتخلص من الجنابة قبل الصلاة.
- ✓ مكان لعقد الصفقات التجارية.
- ✓ خدمة الاغتسال للمسافرين والغرباء عن المدينة.
- ✓ خدمة الاغتسال للعاملين في المهن اليدوية قبل الذهاب إلى منازلهم.
- ✓ للاحتفالات الخاصة، إذ يعتاد البعض على زيارة حمّامات معينة لاحتفالات محددة.
- ✓ زيارة بعض الحمّامات التي يعتقد بارتباطها ببعض الأولياء الصالحين.
- ✓ الوثوق من إمكانية توفر المياه بشكل دائم.

وعلى مستوى الحي فتكون الحمّامات :

- ✓ مكان ملحق بالمسجد لتأمين الوضوء والطهارة وخاصة قبل صلاة الجمعة.
- ✓ نقطة لقاء مركزية في الحي لوجود الفرن والسبيل في أغلب الأحيان بجوار الحمّام للاستفادة من الحرارة والنار ومن توفر المياه.

- ✓ مكان لاجتماع دوري لأهل الحي وخاصة النساء.
- ✓ مكان للتباهي بالمكانة الاجتماعية.
- ✓ مكان لتبادل الآراء أو لنقل المعلومات والشائعات.
- ✓ مكان للاغتسال والنظافة لعدم توفر الإمكانية في المنازل أو لاكتظاظ المسكن.
- ✓ مكان للاستجمّام وللحصول على المنفعة الطبية خاصة بعد المرض.
- ✓ مكان للاهتمام بالبشرة وللتجميل أو للتحضير للزواج.
- ✓ مكان للبحث عن خطيبة.
- ✓ مكان للاحتفالات العائلية كحفلات قبل الزواج أو بعد الولادة والختان وغيرها.
- ✓ مكان دافئ في الشتاء، وتتوفر فيه المياه الساخنة في كل الأوقات.

2- الحمامات العامة بالجزائر خلال الفترة العثمانية:

كان عدد الحمامات في الجزائر كبيرا قبيل الاحتلال الفرنسي وهذا ما يشهد به قنصل أمريكا "شالر" الذي أقام بمدينة الجزائر مدة طويلة (1816-1824م)، حيث يؤكد أنها كثيرة وأن الإقبال عليها كبير، فلا يكاد يخلو منها حي من أحياء مدن الجزائر لاسيما الحواضر منها كالجزائر وقسنطينة ووهران وتلمسان ومعسكر ومستغانم والمدية، وهو الأمر الذي كان عليه الحال في باقي حواضر ومدن البلاد الاسلامية.

1.2- موقع الحمامات :

كانت الحمامات العامة بمدن الجزائر خلال الفترة العثمانية تقع إلى القرب من المساجد ووسط الأحياء السكنية كما كانت تجاور الأسواق والمحلات التجارية، وهو ما نراه بحمامات مدن الغرب عموما على غرار وهران ومعسكر ومستغانم ومازونة وحمامات مدينة البليدة التي ترجع إلى القرن الـ13هـ/19م إضافة إلى حمام سوق الغزل بقسنطينة الذي أقيم أسفل الجامع الذي يحمل ذات الاسم، بالإضافة إلى حمامات مدينة الجزائر على غرار مسجدي سيدي رمضان وسيدي عبد الله أين أقيما إلى جوار كل منهما حمام. وكان الحمام خلال العهود الاسلامية المختلفة سواء في المشرق أو المغرب عادة ما يبنى إلى جوار الجوامع والمساجد كما كانت تبنى الحمامات أحيانا عند مداخل المدن لكثرة ما يتردد عليها من التجار القادمين من خارجها.

2.2- واجهات الحمامات :

لقد تميزت الحمامات في الجزائر خلال العهد العثماني عموما بواجهاتها الصماء والخالية من الفتحات والزخارف باستثناء واجهاتها الرئيسية الذي يفتح بها المدخل الرئيسي المتوج أحيانا بعقد، الذي قد يكتنفه عمودان، كما نجد فتحات ضيقة على مستوى مرتفع، إضافة إلى النوافذ التي تفتح في جدران أو بطن قبة القاعة الباردة والتي يمكن رؤيتها من خلال السطح. ومما يجب التذكير به أننا لا نكاد نرى من واجهات بعض الحمامات إلا الواجهة الرئيسية، أما بقية الواجهات فتكون عادة محجوبة بفعل البنايات الملاصقة للحمام.

الصورة 1: حمام البركة بمازونة

وعموما فإن الحمام الإسلامي يتميز بنظام تصميمه المغلق حيث أنه عديم الاتصال بالخارج إلا من خلال المدخل وبعض الفتحات العلوية في قبابه التي تسمح بنفاذ الضوء فقط، دون الرؤية والتهوية. أما واجهاته فتميز بالبساطة وندرة الزخارف أو انعدامها في أحيان كثيرة.

ومن جهة أخرى فقد بنيت بعض الحمامات في مستوى منخفض عن أرضية ما يحيط بها من بنايات فلا يكاد يظهر منها إلا مدخلها، على غرار حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران الذي ينخفض عن أرضية جامع الباي محمد بن عثمان القريب منه بنحو خمسة أمتار. وعادة ما يلجأ المعمار إلى ذلك رغبة منه في الحفاظ على حرارة الحمام الداخلية وعدم تسربها، كما يحافظ على حبس التيارات الهوائية الداخلية بها والحيلولة دون تسرب الخارجية منها الى الداخل.

3.2- مداخل الحمامات :

يتم الولوج إلى هذه الحمامات عبر مدخل رئيسي يحتل أحد طرفي الواجهة الرئيسية في الغالب، في حالات جد نادرة قد يحتل المدخل محور الواجهة الرئيسية كما نراه في حمام بوعلام بن شريفة بالبليدة ، نصل من خلاله وعبر ممر منكسر إلى سقيفة مجهزة بمصاطب حجرية تستخدم للجلوس والانتظار، وقد تتوفر بعض الحمامات على أكثر من سقيفة كما هو الحال بالنسبة لحمام الباي بمعسكر وحمام بوعلام بن شريفة بالبليدة، حيث ضمّ كلاهما سقيفتين اثنتين.

وكان لعمل الممر المنكسر- أهمية معتبرة؛ فهو من جهة يحجب أنظار المارّة عن المستحمين بداخل الحمام، ومن جهة ثانية يحول دون مرور التيارات الهوائية القوية المؤذية للصحة، ويحافظ من جهة ثالثة على حرارة الحمام .

والمدخل المنكسر - الذي هو عبارة عن ممر يمتد من المدخل ويفضي إلى داخل المبنى بصورة غير مباشرة من خلال عمل انكسار فيه أو انعراج- تم اعتماده في جميع الحمامات العامة ببلاد المسلمين وفي مختلف الازمنة، كما عرفته الدور السكنية بدون استثناء.

الصورة 2: مدخل حمام شارع الباي بالبليدة

وإلى جانب المدخل الرئيسي المخصص لرواد الحمام؛ نجد مدخلا ثانيا غالبا ما يكون موضعه بعيدا عن المدخل الأول وهو الخاص بالفرناق (المستوقد) يستخدمه العمال القائمين

على هذا القسم الهام من الحمام دون سواهم، وكان يقصد من إقامته في مكان بعيد ومنعزل تفادي انتقال الدخان والروائح الكريهة المنبعثة عادة منه إلى داخل المبنى.

وبالحديث عن الحمامات خلال العهود الاسلامية المختلفة ومنها الفترة العثمانية بالجزائر فإن مقاييس مداخلها الرئيسية جاءت صغيرة ووفق المعايير الإنسانية إذا ما قورنت بمداخل القصور والدور، وذلك لعدم الحاجة لجعلها أكثر اتساعا وارتفاعا، وللمحافظة على حرارة الحمام الداخلية وستر من بداخلها قدر الإمكان، وكذلك الحال بالنسبة للمداخل الثانوية الداخلية خاصة مداخل المقصورات (الخلوات) التي جاءت بمقاييس أصغر في اتساعها وارتفاعها توفيرا للحرارة وحفظا لخصوصية من بداخلها من الزبائن. وعادة ما كانت مداخل الحمامات –فضلا على بساطتها– تبنى على سمت حائط الواجهة دون بروز أو ارتداد للداخل.

أما مدخل الفرناق فالغالب أن يكون أكثر اتساعا من غيره من المداخل ذلك لارتباطه بإدخال الوقود إليه لاسيما الحطب من جهة، ولانعزاله عن باقي وحدات الحمام الأخرى إنعزالا تاما، أمر يجعل اتساعه غير مؤثر البتة تأثيرا سلبيا على الحمام أو رواده، وهو الأمر الذي وقفنا عليه في حمامات وهران ولاسيما حمام الباي مصطفى المسراتي. أما من الناحية المعمارية والزخرفية فقد تميزت مداخل الفرناق ببساطتها المتناهية.

4.2- التصميم المعماري للحمامات العامة وأقسامها الداخلية:

حافظت الحمامات خلال الفترة العثمانية بالجزائر على نفس التركيب المعماري المشكل من الأقسام الثلاثة؛ وهي القاعات الباردة والدافئة والحارة، إضافة إلى السقيفة والفرناق، مع اختلاف في بعض التفاصيل، ومن ذلك أن تلحق بعض الغرف بالأقسام المذكورة دون أن يكون لها تأثير كبير على التركيب المعماري للحمام. ومن بين هذه الحمامات نذكر حمام سيدنا وحمام الجيش بالقصبة وحمام قصر عزيزة وحمام قصر حسن باشا وحمام الشيخ وحمام دار الباي وحمام العرب (المور) بمستغانم وكذلك كان الحال بالنسبة لحمام الباي مصطفى المسراتي بوهران.

يلي مدخل الحمام عادة سقيفة هي عبارة عن حجرة صغيرة أقيم على جانبيها مصاطب (دكانات) للجلوس قد تتخللها أعمدة كما نراها في حمام الباي مصطفى المسراتي كانت بمثابة قاعة انتظار للداخل واستراحة للمستحم قبل المغادرة رغبة في تقليص فارق بين حرارة الجو الخارجية وحرارة الحمام الداخلية، عما أن هذه السقيفة التي تتقدم القاعة الباردة فقدت معالمها المعمارية في معظم الحمامات الاخرى.

المخطط1 : حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران

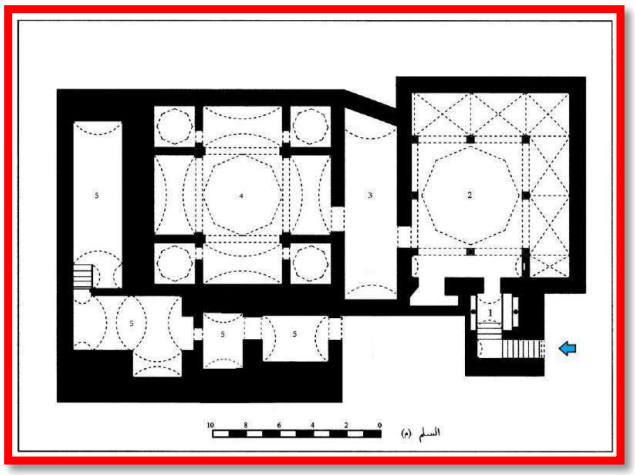

1- السقيفة 2- القاعة الباردة
3- القاعة الدافئة
4- القاعة الساخنة 5- الفرناق (المستوقد) وملحقاته

1

يلي السقيفة القاعة الباردة التي عرفت تسميات عديدة وهي المسلخ والمشلح والبراني والبيت البارد وذلك حسب اختلاف المناطق والبلدان.

وعادة ما تكون القاعة الباردة في حمامات الفترة العثمانية بالجزائر العامة ذات مساحة كبيرة وتأخذ أشكالا متعددة، كما تشتمل غالبا على أروقة، بعضها مغطاة بقبة مضلعة كبيرة تفتح بها العديد من النوافذ للإضاءة والتهوية على غرار حمام سوق الغزل بقسنطينة وبعضها الآخر ذات سقف خشبي هرمي كما في حمام بن البجاوي بقسنطينة وبعضها الآخر ذات سقف مستو مثل حمام شارع رنجة بالبليدة، وقد أقيمت على جوانبها مصاطب لاستراحة المستحمين تكون مغطاة في العادة بوسائد، مع العلم أن هذه القاعة كانت تستخدم لاستبدال الملابس أيضا.

أما القاعة الدافئة فهي في العادة تتوسط القاعة الباردة والقاعة الحارة قد تأخذ شكلا مستطيلا أو مربعا أو شكلا قريبا من ذلك، ذات مساحة صغيرة تحتوي بداخلها على كنيف

أو أكثر، تغطى بأقبية أسطوانية أو متقاطعة ذات فتحات دائرية صغيرة تعشق بالزجاج المكثف بحيث تسمح بمرور الضوء دون الرؤية والهواء.

ويبدو أن بعض حمامات الجزائر خلال الفترة العثمانية ضمّت قاعة إضافية تتوسط القاعة الدافئة والقاعة الحارة على غرار حمام سوق الغزل وحمام بن البجاوي بقسنطينة.

وتأخذ القاعة الحارة أشكالا مختلفة بين حمام وآخر، غير أن القسم الأوسط منها كثيرا ما يأخذ الشكل المربع كما كان الحال بحمام الباي مصطفى المسراتي وحمام قصر الباي محمد الكبير بوهران وحمامات مدينة الجزائر، وأما مساحة القاعة فكانت معتبرة، مغطاة بقباب أو أقبية – والتي كانت تزيد لاسيما بالنسبة للقاعة الحارة على ارتفاع المبنى، وهذا الارتفاع مطلوب؛ فهو يساعد على استيعاب كمية بخار الماء المتصاعدة فتقل كثافته ويصفو خلال صعوده فيتحول إلى هواء، علما أن القباب والأقبية تتخللها فتحات للإضاءة معشقة هي الأخرى بالزجاج. وتتوفر القاعة الحارة في العادة على حجرة صغيرة عبارة عن خلوة أو مقصورة تحتل أحد الأركان خاصة باستكمال عملية الإغتسال، كما هو الحال بحمام القايد بمازونة وحمام الباي بمعسكر وحمام شارع رنجة وحمام شارع الباي بالبليدة وحمام الشيخ بملیانة وحمام بن البجاوي بقسنطينة.

ومما تميزت بعض حمامات الجزائر خلال الفترة العثمانية هو اعتمادها على التخطيط الإيواني في بناء القاعة الحارة، حيث تشرف هذه الايوانات على مركز القاعة وتفتح بكامل اتساعها عليها كما هو الحال بالنسبة لحمام الباي مصطفى المسراتي بوهران حيث اشتملت قاعته الحارة على أربعة أواوين تتخللها أربع مقصورات (المخطط1)، وهي ميزة عرفتها الكثير من الحمامات العامة في المدن الاسلامية ومنها مدينة حلب بسوريا.

وعادة ما كانت تخترق الجدران الداخلية للقاعة الحارة وبشكل أفقي ومنخفض قنوات فخارية لسحب الدخان تنطلق من الفرناق وتنتهي عند المداخن وهي ذات وظيفتين؛ حيث تحافظ على على استمرارية اشتعال الوقود والتخلص من الدخان من جهة، وتساهم من جهة أخرى في تحديد مسار حركة الهواء الحار الذي يقوم بتدفئة جدران القاعة الحارة بما في ذلك الاواوين والمقصورات.

كما كان يتم تسخين القاعة الحارة من خلال قنوات خاصة معمولة من الرصاص عادة مثبتة في سمك الجدران تنتهي بصنابير وهي التي تؤمن توصيل المياه الحارة الى القاعة

الساخنة من القدر النحاسي الموضوع على النار المعروف محليا بالبرمة والموجود على مستوى الفرناق.

المخطط2: حمام الباي بمعسكر

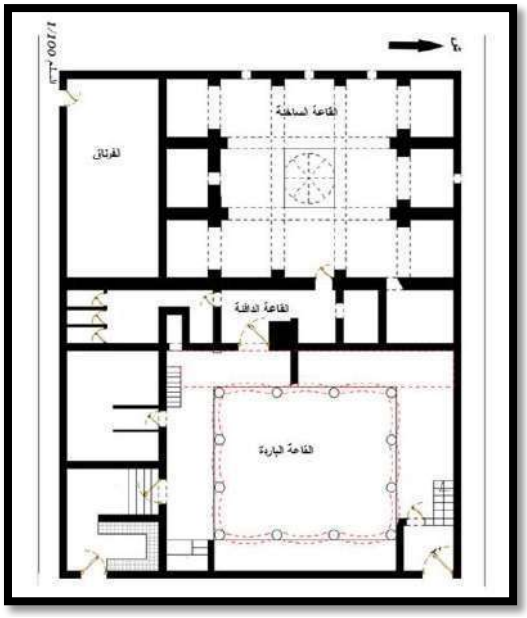

المصدر: (بلجوزي، 2006)

وقد يزيد عدد هذه الخلوات ليصل إلى أربعة كما هو في حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران ومن جهة أخرى كانت تضم جميع القاعات الحارة في وسطها مكعبا حجريا مغطى سطحه بالرخام يدعى محليا بـ"السُرّة" أو"الرخامة" يستلقي عليه المستحمون لمزيد من التعرق. غير أنه فُقِدَ في بعض الحمامات بسبب ما طرأ عليه من التغيير خلال الحقبة الاستعمارية.

الصورة 3: رخامة حمام البركة بمازونة

وأما الفرناق فتراوح شكله عموما بين المربع والمستطيل يغطيه قبو برميلي، يقع دائما بإزاء القاعة الحارة، وهي قاعدة أساسية في تخطيط الحمامات حتى يمدها بالماء الساخن

والحرارة في ذات الوقت من خلال قنوات خاصة، له مدخله المستقل به الذي لا يرتاده سوى العمال القائمين على الفرناق، وقد تلحق به غرفة أخرى أو أكثر لتخزين الوقود الذي يكون غالبا من الحطب، ويشترط المناوي بهذا الخصوص:" ..أن يكون وقوده بما ليس فيه كيفية رديئة كالحطب الخالي عن الحدة والدخان والرائحة الكريهة، فيتجنب الزبل ونحوه من كساحة الطرق" كما قد تستخدم مواد أخرى على غرار زبل الحيوانات بعد أن يتم تجفيفه.

أما تلك الحمامات الخاصة الملحقة بالدور والقصور فكانت لا تشتمل في العادة إلا على حجرة ضيقة أشبه أحيانا بالحفرة خاصة بالفرناق وهذا في حالة وجوده طبعا، والذي يقع في الغالب مباشرة أسفل القاعة الساخنة كما في حمام دار عبد اللطيف وحمام دار الرايس حميدو وحمام دار الداي حسين، إضافة إلى حمام دار عزيزة وحمام الدار الحمراء وحمام قصر البايات بمدينة الجزائر وليس بجانبها كما رأينا في الحمامات العامة.

وإضافة إلى ما سبق فقد اشتملت الحمامات العامة خلال الفترة العثمانية بالجزائر على خزانات للمياه الذي يختلف موضعها ما بين حمام وآخر، إلا أن الكثير منها كان يجاور الفرناق وذلك قصد توصيل المياه بيسر داخل القدور النحاسية لتسخينها ثم نقلها إلى القاعة الحارة، أما بحمام بن البجاوي فيقع بداخل القاعة الحارة بينما بحمام بوعلام بن شريفة بالبليدة فيقع واحد بداخل القاعة الدافئة وآخر بغرفة تبديل الملابس ويبدو أن بعض الحمامات احتوت على أكثر من خزان أحدها يكون موصول مباشرة بالفرناق، وذلك لتزويد القاعة الحارة بالماء الساخن والبارد في ذات الوقت وعبر قنوات خاصة حتى وإن لم تكن هذه الخزانات موجودة اليوم.

ومما يستوقف النظر في حمامات الجزائر خلال الفترة العثمانية هو قلة اهتمام وعناية المعمار والحرفي بزخرفتها على عكس ما كان عليه الحال بالنسبة للمسجد والمسكن عموما، وهو أمر يكاد يكون معتادا في المباني العامة للعمارة الاسلامية، وتحظى القاعة الباردة بالنصيب الأكبر من الزخرفة على قلتها، بينما تنعدم أو تكاد بباقي أقسام الحمام.

الصورة 4: القاعة الباردة لحمام شارع رنجة بالبليدة

وبالحديث عن الحمامات في تركيا العثمانية فإنها لا تختلف عن نظيراتها سواء في الجزائر أو غيرها من البلاد الاسلامية، إذ اتبع المعماريون في بناءها التخطيط التقليدي الشائع حيث تشتمل هذه الحمامات على ثلاث وحدات متتالية تقع على محور واحد وهي الوحدات الرئيسية للحمام، ويغطي المربع الأوسط قبة تتقدمها نصف قبة تغطي إيوانا بارزا، أما القاعة الحارة فذات شكل مثمن تغطيها هي الأخرى قبة، ويمتد من مثمن القاعة ذراعان متقابلان يضم كلا منهما ثلاث خلوات (مقصورات) مغطاة بقباب صغيرة، وفي حالات أخرى يبرز من المثمن أربع أذرع على هيئة إيوانات تضم فيما بينها أربع مقصورات مغطاة هي الأخرى بقباب صغيرة على غرار القاعة الساخنة لحمام الباي مصطفى المسراتي، ويعتبر حمام محمود باشا أقدم وأهم الحمامات الباقية بإسطنبول الذي أتبع في بناءه هذا الطراز المذكور ومن جهة أخرى ضمت بعض الحمامات بغرفتيها الباردة (غرفة تغيير الملابس) والدافئة أحواضا مائية تتوسطها نافورات.

ثانيا –الفنادق

تمهيد:

يقصد بالفندق منشأة معمارية يغلب عليها الطابع التجاري أقيم خصيصا لإقامة فئة من المسافرين سواء من الحجاج أو الرحالة أو التجار الأجانب، وكان من الفنادق ما خصص للأجانب على مقربة من أبواب المدن، ومنها ما خصص للتجار والحرفيين في الأسواق والمناطق التجارية أو الصناعية. كما ارتبط اسم الفندق تبعا للبضاعة التي ترد الفندق أو تبعا لمالكها أو تبعا للجنسيات التي تقيم به. وقد نشأت الفنادق اول ما نشأت خلال القرن الثاني للهجرة زمن العباسيين وكان أولها خان عطشان بالعراق الذي أسس عام 161هـ.

الفنادق بالجزائر خلال العهد العثماني:

ظهرت بمدينة الجزائر عديد الفنادق وصل عددها إلى ثمانية عشر فندقا حسب المصادر التاريخية موزعة على جميع جهات المدينة، وقد شهد بكثرتها حسن الوزان خلال القرن العاشر الهجري، وفي العهد العثماني ذكر روزات "Rozet" أنه كان يوجد بالمدينة العديد منها مخصصة لاستقبال التجار الأجانب وكل فندق يتكون من طابقين أو ثلاثة طوابق مثل فندق النساجين (1801م)، وكل فندق يختلف عن الآخر من حيث عدد الغرف، ففندق باب الوادي ضم إحدى عشر غرفة في الطابق الأرضي وثلاثة عشر غرفة في الطابق العلوي بينما فندق المحتسب كان يحتوي ستة عشر غرفة وخمسة عشر بيت، ومنها أيضا فندق بني سليمان وفندق القبائل وفندق المحتسب وغيرها، وفي قسنطينة وجد بها سبعة فنادق منها فندق صالح باي وفندق سوق الحزازين وفندق بن نعمون وفندق بني ميزاب وفندق الزيت وغيرها. كما وجد بمدينة وهران العديد منها وفق ما أشارت إليه عديد المصادر إلا أننا لا نملك إحصاء دقيق بخصوص عددها. وكان الحال كذلك في باقي المدن الرئيسية بالجزائر خلال الفترة العثمانية.

التخطيط المعماري للفندق:

يأخذ الفندق مسقطا مربعا أو مستطيلا يتوسطه صحن مكشوف تتوسطه في الغالب نافورة تحيطه الأروقة من الجوانب الأربعة، متعدد الطوابق قد تصل إلى ثلاثة أو أكثر،

خصص الطابق الأرضي لتخزين السلع ومبيت الدواب وقد خصص بعضه للمحلات التجارية التي تفتح على الشوارع.

وذكر رايمون "Raymand" أن فنادق مدينة الجزائر تشبه في تخطيطها المعماري فنادق تونس، ففندق الفرنسيين بها كان عبارة عن مبنى مربع يتوسطه صحن مكشوف تحط به الدواب، يحيطه رواقان، نجد في الطابق الأرضي دكاكين ومخازن، وفي الطابق العلوي نجد غرف ذات سطوح.

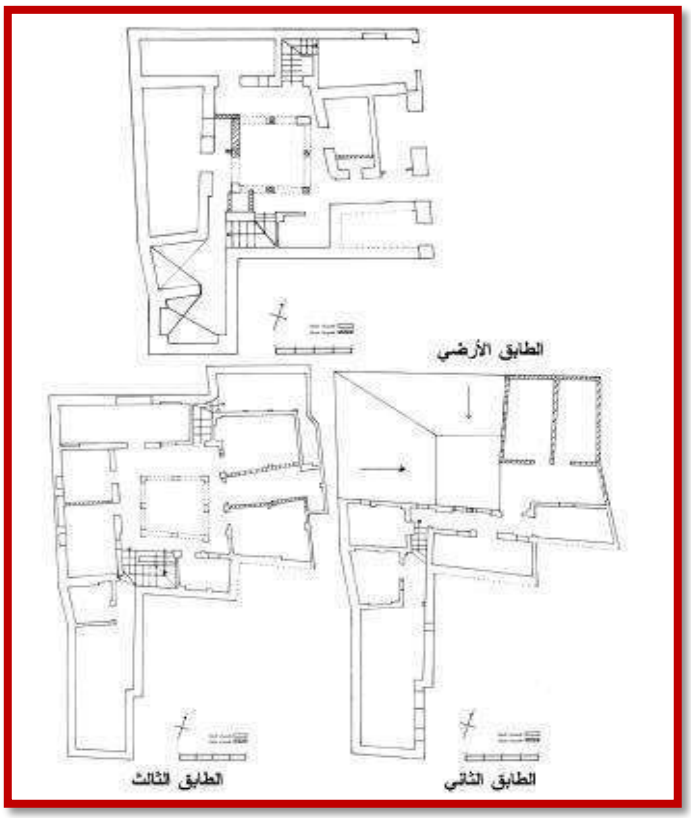

فندق بني ميزاب بمدينة قسنطينة

إن تخطيط الفندق عموما لا يختلف في أساسه عن المسكن، حيث يتكون من صحن مكشوف ذو أرضية مغطاة ببلاطات مربعة من الحجر تحفها أروقة تشدها دعامات تحمل عقودا منكسرة متجاوزة، أما المداخل فهي عبارة عن فتحة كبيرة ذات عقد منكسر متجاوز يكون على شكل صاباط.

فندق بني ميزاب بقسنطينة:

يقع هذا الفندق بنهج تليلي سعيد بقلب المدينة العتيقة بقسنطينة حيث كان سوق التجار، وقد سمي بهذه التسمية نسبة لمالكه الذي ينحدر من منطقة بني ميزاب، كما عرف حديثا باسم فندق الزيت، يعود تأسيسه إلى الفترة العثمانية.

يتشكل معماريا من ثلاث طوابق له صحن أوسط يلتف حوله رواق من أربع جهات تتوزع حوله الغرف والحجرات، ينفتح على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الوادي وباب القنطرة حيث منطقة سوق التجار بقلب المدينة، يتشكل مدخله من فتحة تليها سقيفة مغطاة بقبو نصف برميلي، ينفتح هذا المدخل على صحن أوسط، وبهذا الاخير كانت ترتع الدواب لتضع أحمالها وتستريح.

كانت غرف وحجرات الفندق الذي وصل عددها للثلاثين؛ تستغل بعضها للمبيت وبعضها للتخزين وبعضها تستعمل كحوانيت، وقد جاءت هذه الاخيرة ذات أشكال ومقاسات مختلفة، كانت تنفتح على الرواق بواسطة أبواب، يتقدم تلك الموجودة في الركن الجنوبي الغربي والركن الشمالي الشرقي ممرات. فتح في بعض منها نوافذ وهي تلك التي تقع في الطابق الأول والثاني بينما جاءت الغرف الأرضية بدون نوافذ فيما عدا البعض منها الذي فتحت به فتحات ضيقة للتهوية، بينما خلا بعضها الآخر من الفتحات تماما وهي التي كانت مخصصة لتخزين البضائع على الأرجح. في حين كانت الحجرات التي بها نوافذ مخصصة لمبيت المسافرين والتجار.

جانب من الطابق العلوي لفندق بني ميزاب بمدينة قسنطينة

ثالثا – الحوانيت

الحانوت منشأة بسيطة في بناءها عرضها حسب بعض المصادر لا يتجاوز في الغالب 1.65م وعمقها 2.65م وأحيانا تكون أكثر من ذلك أو أقل، قد يضاف لها حجرة تكون بمثابة مخزن، أما أرضيتها فترتفع من 80سم إلى 100سم، مما يتيح الفرصة للتاجر الجالس داخل حانوته أن يكون في نفس ارتفاع الزبائن والمارة مما يسهل الحديث معهم.

يتكون الحانوت أحيانا من طابق أرضي يعلو بحوالي درجتين وأحيانا بدور منخفض فوق الدور الأرضي ويمتد من الخارج بمقعد يبنى على طول الواجهة وهو المصطبة التي يجلس التاجر فوقها مع زبائنه لتبادل أطراف الحديث، وكانت تبنى بالحجر والطوب. وكان المحتسب يراعي عدم خروجها عن الحدود حتى لا تضر بالمارة.

كانت أرضية الحوانيت تفرش أحيانا بالحصير أو بالزرابي أو بالقصب وتبيض بالجير، أما الجدران فكانت معظمها عارية من الزخارف، تخترقها ثقوب أحيانا تستعمل كسلم قصد الوصول إلى البضائع، وكانت تمتد الرفوف على جوانبها لعرض السلع وبعض الخزائن لوضعها، أما سقف الحانوت فكان يتجاوز قامة الانسان وقد يصل إلى ثلاثة أمتار.

أما عن طريقة غلقه فكانت غالبا تتم بواسطة مصراعين خشبيين افقيين مشدودين بصفيحة حديدية تغلق برمانة وبعد الفتح يسدل المصراع السفلي ليشكل مكتب صرافة، ويرتفع العلوي عموديا وينحدر قليلا بواسطة مزلاج ليشكل طنفا.

معظم واجهات الحوانيت غير مزخرفة فيما عدا حوانيت القصابين وبائعي السميد فنجدها مغطاة بالبلاطات الخزفية.

وتعوزنا الكثير من المعلومات حول هذه المباني العامة التي كانت كثيرة الانتشار في المدن الاسلامية عامة، والتي ارتبط وجودها بالحياة الاقتصادية للسكان منذ العهود الاسلامية المبكرة وقد تضاعف عددها بمرور الوقت ومع التطور الذي شهدته البلاد الاسلامية.

وتميزت حوانيت وهران بشكلها شبه المربع وبكبر مساحتها التي قدرت بحوالي 12م^2 وبسقفها البرميلي، أما مداخلها فلم نتعرف على شكلها بحكم التغييرات التي مستها حيث

تعرضت للسدّ خلال الاحتلال، كما لم نتعرف أيضا على نوع النشاط الممارس بها وهي التي كانت وقفا على جامع الباشا.

والأكيد أن مدينة وهران كانت تحتوي على عدد كبير من الحوانيت سواء خلال الفترة العثمانية أو الفترة التي سبقت الاحتلال الاسباني، حيث ذكر حسن الوزان بهذا الخصوص أن المدينة كانت تضم بين أسوارها قبل الاحتلال الاسباني الأول ألف وخمسمائة حانوت.

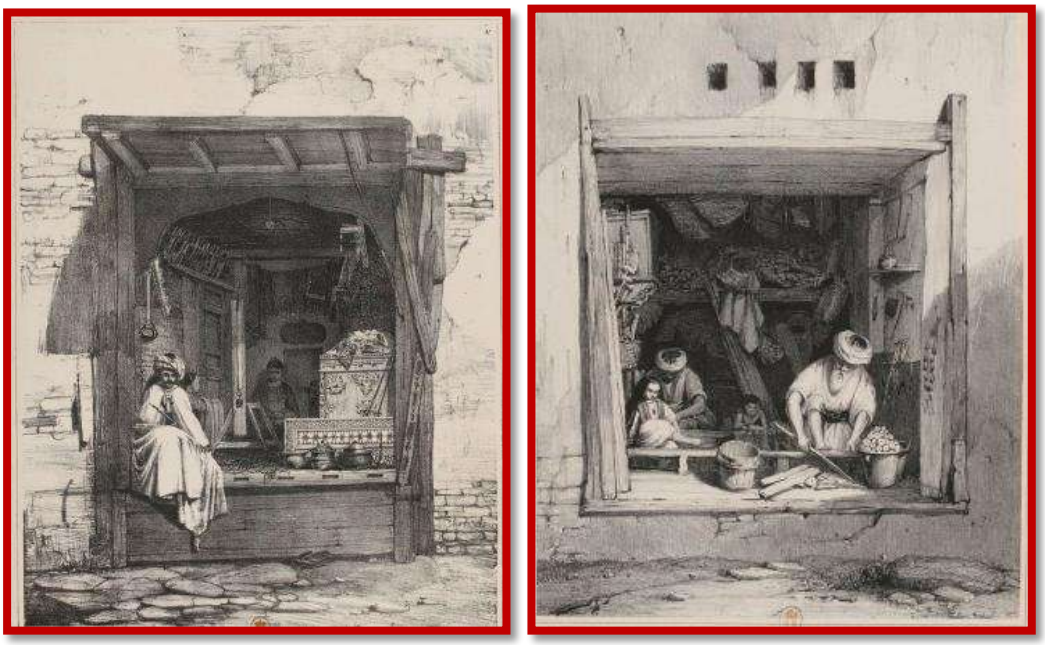

رسمان لحانوتين بمدينة الجزائر / فترة بداية الاحتلال الفرنسي

وكانت تتمركز عديد الحوانيت بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني خاصة في المنطقة المنبسطة "الوطى" قريبا من الميناء تمارس بها مختلف النشاطات وتباع بها مختلف المواد مشكلة الأسواق، تعرض معظمها للهدم من قبل الاحتلال. وعموما فإن فتح الحوانيت واختيار مواضعها كان يخضع لظوابط شرعية دقيقة باعتبارها مكانا مفضلا عادة للجلوس، فكانت تقام في الأماكن غير الكاشفة لحرمات البيوت والضامنة في نفس الوقت لمصلحة التاجر وزبائنه، ولذلك كنا كثيرا ما نجدها بإزاء الجوامع التي تمثل النواة المركزية للمدينة الإسلامية ومنها تتفرع الشوارع الرئيسية، وقد كان بعض هذه الحوانيت ملكا للخواص

وبعضها الآخر وقفا على المساجد، كما كان بعضها محلا لعرض وبيع السلع وبعضها الآخر كان عبارة عن ورشات خاصة بالحرفيين.

أما من الناحية المعمارية فكان الحانوت (الدكان) حسب بعض الكتاب الفرنسيين عبارة عن مبنى جد بسيط في مخططه يتشكل من حجرة واحدة مربعة الشكل يتراوح طول ضلعها ما بين متر واحد ومتر وثلث المتر، وبارتفاع يقدر ما بين مترين ومترين وثلث المتر، قد تضاف لها غرفة صغيرة تستخدم كمخزن تقع في الطابق العلوي غالبا، وللحانوت باب خشبي من مصراعين وتتقدمه مصطبة حجرية (دكانة)، ويتوافق هذا الوصف مع ما تضمنته لوحات قديمة لبعض حوانيت مدينة الجزائر والتي بدت صغيرة في حجمها ذات أرضية مرتفعة، أما أبوابها فتشكلت من مصراعين يتحركان بشكل رأسي.

غير أن هذا الوصف الذي أتى به بعض الكتاب الفرنسيين من حيث الأبعاد قد لا ينطبق على الكثير من الحوانيت التي انتشرت سواء في بلاد المغرب أو المشرق، فقد لاحظنا في مدن المغرب الأقصى ولاسيما بمدينتي مراكش وفاس أن تلك المباني أخذت مقاييس مختلفة وأكبر في كثير من الأحيان من تلك التي ذكرها الكاتب وكذلك كان الحال بالنسبة لمدينة تونس التي كان الكثير منها يبلغ المترين طولا وعرضا.

وبالحديث عن المصاطب فلقد كانت كثيرة الانتشار في الحوانيت الإسلامية وعرفت بالدكاكين ومنها أخذ الحانوت اسم "الدكان"على الأرجح، وهي تتيح للبائع الجلوس وسهولة عرض سلعه، بينما جاءت مادة بناءها من الحجر أو الآجر.

أما من حيث زخرفة هذا النوع من العمائر فليس لها من أثر في حوانيت مدينة وهران على سبيل المثال وربما تكون قد طمست خلال الفترة الاستعمارية، خاصة أن بعضها في مدينة الجزائر كانت مزدانة بمربعات خزفية سواء بواجهاتها أو جدرانها الداخلية كما زخرفت أبوابها وسقوفها الخشبية في ذات الوقت بزخارف جميلة.

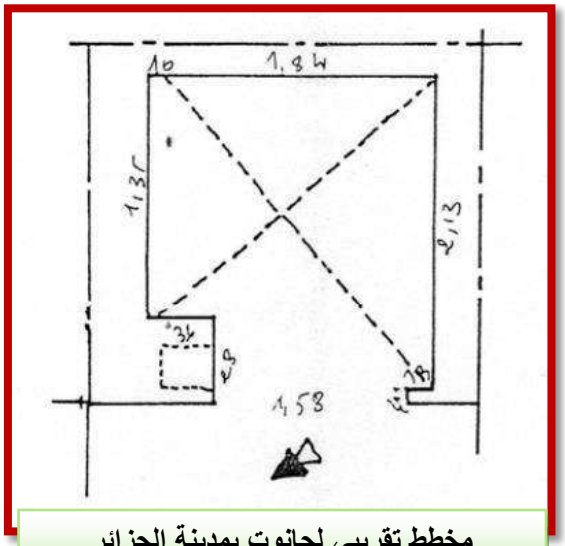

مخطط تقريبي لحانوت بمدينة الجزائر

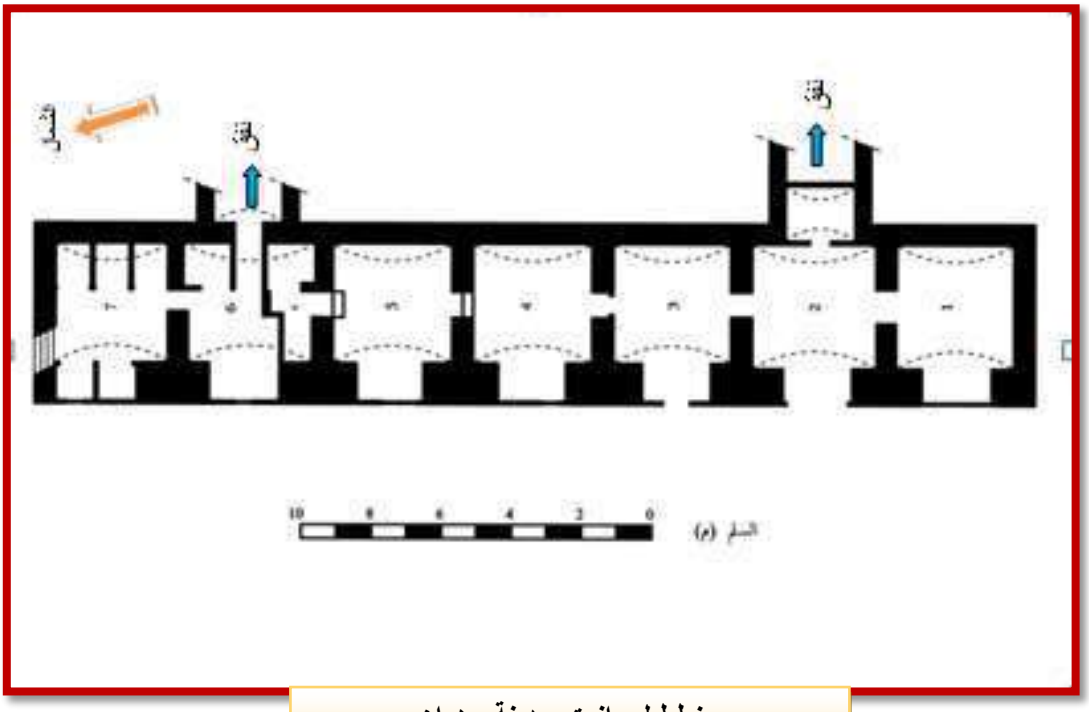

مخطط لحوانيت بمدينة وهران

رابعا – الأسبلة (العيون)

تمهيد:

إن لفظة السبيل كانت اصطلاحا مرتبطا بالعديد من الأبنية التي وقفت في سبيل الله تعالى وذلك رغبة في التقرب إلى الله تعالى وأملا في الثواب والاجر، كانت تعرف بالساقيات خلال القرون الخمسة الأولى ثم انتشرت واشتهرت باسم الأسبلة منذ أواخر القرن الخامس الهجري لاسيما في الشام ومصر والجزيرة، **بينما عرفت في الجزائر باسم العيون أو السَبّالات.** والسبيل مكان عام جعل ماؤه سقاية لعابري السبيل من قبيل أعمال الصدقة، ومن الناحية الاثرية المعمارية فهو عبارة عن بناء صغير خصص في الأماكن العامة وأركان الابنية الدينية والمدنية للشرب منه.

1- وحدات السبيل:

يتشكل السبيل معماريا من مبنى بباطن الارض لتخزين المياه يعلوه مباشرة بناء آخر لتوزيع المياه، وأصبح هذا التقليد هو القاعدة الاساسية في بناؤء السبيل.

- **الطابق الأول:** يعرف بالصهريج لتخزين الماء يأخذ شكلا قريبا من المربع أو المستطيل ومغطى بقباب ضحلة محمولة على عقود ترتكز على أعمدة ولكل صهريج فتحة من الرخام أو الحجر مثل فتحة البئر(حجر دائري يحتوي في وسطه على حلقة من الحديد كانت تغلق بها فتحة البئر). وقد نجد أكثر من صهريج حسب حجم المنشأة، كان يملأ سنويا أو عند نفاذ الماء وينظف قبل ملءه وينزل إليه بسلم نازل ضيق.
- **الطابق الثاني:** شيد على مستوى الأرض أو فوقها بقليل ويتم الدخول له غالبا من مدخل مشترك يؤدي إلى السبيل والكتاب ثم يتفرع منه باب السبيل. أما حجرة السبيل فتكون في الغالب مربعة أو مستطيلة حسب مساحة البناء، أرضية هذا الطابق هي سقف الصهريج الذي أسفلها، وتوجد لهذه الحجرة الشبابيك التي عليها حنفيات البرونز أو الحديد أو النحاس وفي أرضيتها توجد أحواض الشرب.
- هناك من الاسبلة ماله **طابق ثالث**، عبارة عن قاعة الكتاب وهو مكان لتعليم الأبناء الصغار، وفي بعض الأحيان يكون هذا الطابق مخصص للسكن مثل الأسبلة الملحقة بالمدارس.

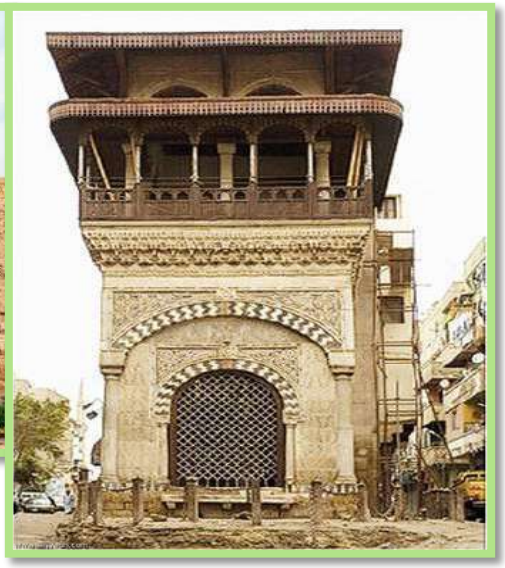

1- سبيل عثمانى بالقاهرة 2- سبيل عثمانى باسطنبول

2- عناصر السبيل:

- **فتحة تزويد الصهريج بالماء:** عادة ما تكون في الخارج ليسهل على الساقين تفريغ قربهم بها دون عناء، وعقب الانتهاء من تزويد الصهريج بالماء كانت تغلق هذه الفتحة بإحكام منعا لتسرب الأتربة والقاذورات وذلك بواسطة خرزة رخامية تأخذ شكل الفتحة ذات مقبض.

- **فتحة المآخذ:** يتم عن طريقها رفع الماء من الصهريج إلى أحواض السبيل وقد اتخذت في شكلها المعماري هيئة صينية نصف دائرية في أحد جدران الصهريج تأخذ شكلا اسطوانيا ابتداء من مستوى أرجل عقود قباب الصهريج.

- **فتحة النزول الصهريج:** هي فتحة مخصصة للنزول إلى الصهريج لتطهيره وتنظيفه وتبخيره وأيضا ترميمه، وغالبا ما كانت توجد هذه الفتحة بأحد أركان حجرة السبيل أو بالحجرة الملحقة بها، وهذه الفتحة تكون مربعة الشكل تؤدي إلى سلم هابط عبر ممر أسطواني.

- **دخلة الشاذروان:** تقع غالبا بصدر حجرة السبيل ومقابلة للشباك الرئيسي بها، وهي عبارة عن دخلة لا يتجاوز اتساعها 1.15م وعمقها 0.65م يكتنفها في الكثير من الاحيان عمودان من الرخام وفي الجزء السفلي من هذه الدخلة يوجد السلسبيل وهو لوح رخامي مستطيل الشكل مائلا قليلا حتى يسهل انسياب الماء وهو منقوش السطح وبأعلى اللوح حوض يستقبل الماء الحاصل الكبير الذي يوجد بجوار فوهة الصهريج ينساب منه الماء

على لوح السلسبيل ليتجمع باسفله في حوض مستطيل أو بيضاوي الشكل من الرخام غالبا، حيث يتم من خلاله توزيع الماء إلى أحواض الشرب بأرضية دخلات شبابيك السبيل عن طريق قصبات مغيبة.

- **دخلات شبابيك السبيل:** ذات شكل مستطيل في الغالب ويغلف هذه الدخلات شبابيك نحاسية أو حديدية.

- **أحواض السبيل:** كانت تصنع من الرخام يتوسطها فوارة يندفع منها ماء لملء الحوض.

-**الالواح الرخامية:** ذات شكل مستطيل توضع عليها أكواب الشرب.

-**المصطبة المخصصة لصعود المارة أمام واجهة السبيل:** تكون مرتفعة قليلاعن مستوى أرضية الشارع.

- **أرضية حجرات السبيل:** كانت تفرش بالرخام الملون ليسهل تنظيفها كما ان السطوح الناعمة تساعد في تلطيف الجو وجعل الماء باردا.

- **سقوف حجرات السبيل:** تكون من الخشب أو البلاط أو الحجر.

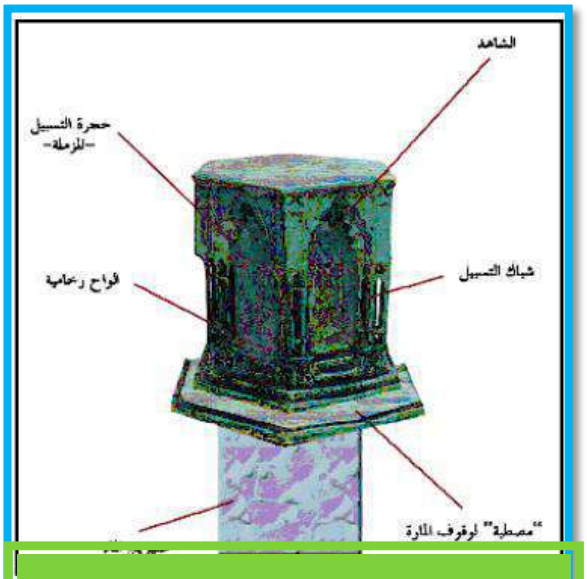

رسم لأقسام السبيل

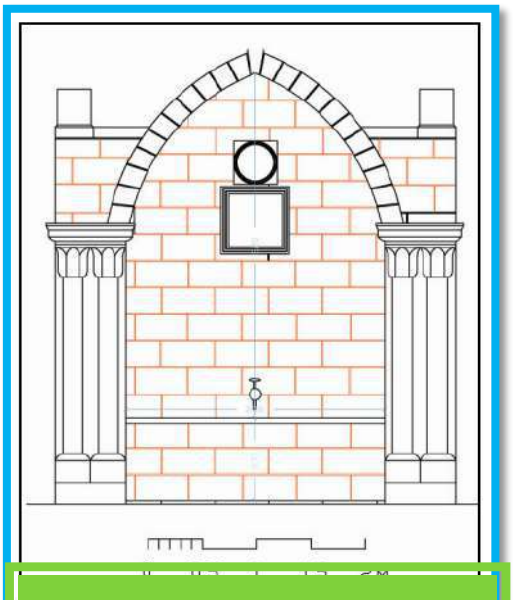

رسم لواجهة السبيل

3- العيون العمومية (الأسبلة) خلال العهد العثماني:

مع بداية العهد العثماني تم إعادة ترميم وتهيئة العيون بمدن الجزائر والتي كانت موجودة من قبل، ومنها بمدينة الجزائر العين المزوقة وعين الجديدة وعين عبد الله العلج وعين العطش وعين السلطان وعين الساباط وعين باب الجزيرة وعين سليمان، وفي ذات الوقت أنشأ الحكام الجدد عيونا جديدة.

وقد ذكر هايدو أنه كان بمدينة الجزائر أواخر القرن 16م/10هـ ستة عيون، كانت تتزود كلها من خلال منبع غزير بالمياه يتواجد على بعد نصف ميل جنوب المدينة، يتم منه إيصال الماء عبر قناة تلملي من جهة باب الجديد وهناك تتفرع إلى ستة فروع تمول كل واحدة منها عينا من العيون الستة.

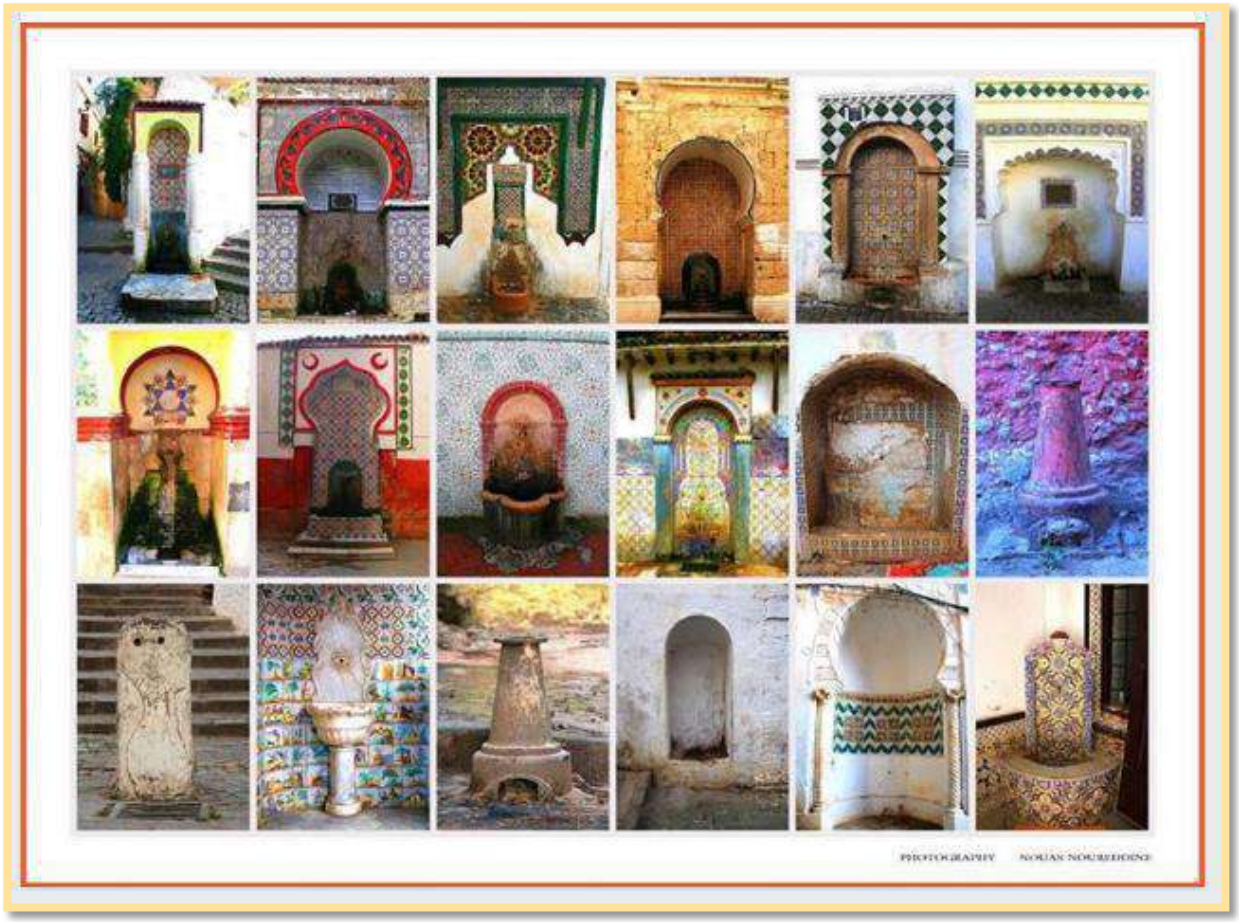

العيون الباقية بمدينة الجزائر والتي تختلف عن نظيراتها في بلاد المشرق

خلال القرن 17م تم بناء عدد كبير جدا من العيون بلغت حسب المصادر 125 عينا، وهذا داخل أسوار المدينة فقط، أما خارج المدينة فأنشئت أيضا العديد منها فلم يخلو منها بستان أو حديقة. وقد تم احصاء نحو 150 عينا بنيت خلال العهد العثماني، لم يبق منها إلا حوالي عشرون عينا قائمة، احدى عشرة منها لا تزال مستعملة.

كان يختار لها عند تشييدها الموقع المناسب، حيث كانت تبنى في العادة بالقرب من المساجد والحمامات وحتى قرب الاسواق وغيرها، وعند التجمعات السكانية، أما التي كانت موجودة خارج الاسوار فكان الكثير منها يشغل المسالك التي يعبرها الناس.

لاقت هذه المنشأة من قبل العثمانيين إهتماما كبيرا جدا وخصص لها من الأوقاف ليصرف من دخلها عليها الشيء الكثير، كانت هذه الأخيرة تحت إشراف هيئة مختصة تعرف بإدارة أوقاف العيون يترأسها خوجة العيون والذي كان يدعى أيضا بناظر العيون أو قائد العيون.

عين سيدي رمضان

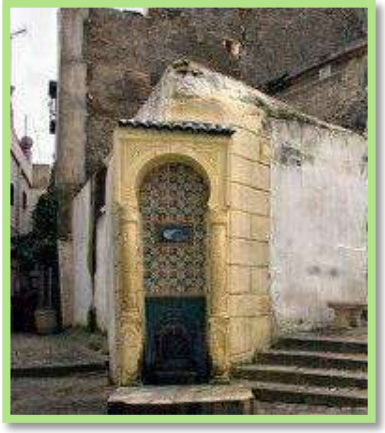

العين المزوقة

عين بئر شبانة

يتم الشرب من هذه العيون عن طريق حنفية نحاسية، إلا أن معظم هذه العيون تتوفر على أكواب للشرب تعلق في كل سبيل كما كانت تعلق على الجدران قلل من الفخار تملأ بالماء لتلبية حاجة المارة من الماء. كما كان السكان يتزودون بالماء من خلال هذه العيون والأسبلة.

وبالإضافة في دورها في تزويد السكان بالماء؛ فقد كان لها دورا في تنشيط الحياة الاجتماعية، فحواليها يجتمع مختلف طوائف المجتمع من حضر وخدم وعبيد وبرانية وأطفال وغيرهم يتبادلون أطراف الحديث.

ونظرا لأهمية هذا الجهاز المائي ممثلا في العيون الذي أنشئ خلال العهد العثماني؛ فقد اعتمدت عليها سلطات الاحتلال الفرنسي في تزويد المدينة بالماء إلى غاية 1880م بالرغم من التوسع العمراني وارتفاع عدد السكان الكبير الذي شهدته المدينة بعد سنة 1830م لاسيما من المستوطنين.

4- السواقي المغذية لعيون مدينة الجزائر:

كانت تتزود عيون المدينة من خلال المياه المجلوبة بواسطة **السواقي** إلا ان معظمها تعرض لعمليات التخريب والهدم عند بداية الاحتلال ليعاد ترميم بعضها بعد ذلك قصد التزود بالماء، وكانت ترتكز هذه السواقي في التضاريس الوعرة على قناطر على غرار قنطرة حيدرة فيما يخص ساقية عين الزبوجة وأحيانا كانت تحفر انفاق أرضية تسمح بمرور الماء عبر قنوات، وهذه السواقي هي:

- **ساقية تلمليلي:** تعتبر أول ساقية انشئت خلال العهد العثماني وهذا من قبل حسن بن خير الدين في حدود عام 1550م، كانت تنطلق من جنوب المدينة حيث فحص باب عزون، يبلغ طولها نحو 8 كم حسب بعض المصادر 2 كم حسب مصادر أخرى، يصب ماءها في صهريج كبير يقع قرب تحصينات القصبة على ارتفاع 85م. كانت تتزود منها العديد من العيون.
- **ساقية بئر طرارية:** بنيت عام 1573م من طرف الباشا أحمد عراب، تنطلق من نبع يقع قرب برج مولاي حسن (حصن الإمبراطور) لتصل إلى سور المدينة القريب من باب الوادي، يصل طولها حوالي 7 كم، كانت تتزود بماءها الجهة الشمالية من المدينة إضافة إلى فحص باب الوادي.

لوحة قديمة للقنطرة المائية ببباب الوادي لساقية بئر طرارية

- **ساقية الحامة:** بناها الأسطى موسى الأندلسي الذي اكتشف نبعها، خلال حكم الباشا مصطفى كوسى، تنطلق من الحامة وتصل إلى المدينة عبر باب عزون، يبلغ طولها نحو 4.8كم، كانت تغذي بماءها عشرات العيون القريبة من الباب إضافة إلى قصر الجنينة وبعض الثكنات بالمدينة.

لوحة قديمة لجانب من ساقية الحامة

- **ساقية عين الزبوجة:** أنشأها الداي حسين خلال فترة حكمه وبالتالي تعتبر أحدث السواقي التي أنشئت خلال العهد العثماني، وهي تتزود من مياه الينابيع السطحية وأودية هضبتي بن عكنون والأبيار، يبعد نبعها عن المدينة بحوالي 19كم، كانت تتغذى من مياهها أربعة عيون خارج الأسوار وأربعة عشر عين أخرى داخل الأسوار، كما كانت تزود العديد من الصهاريج والحمامات والنافورات والعين الموجودة بداخل القلعة.

5- الوصف المعماري لعيون مدينة الجزائر:

إحدى القناطر المائية للساقية قبل الترميم

القنطرة المائية للساقية بعد الترميم

كانت العيون عبارة عن تحفا معمارية وفنية جميلة، كثيرا ما تطرق لوصفها الرحالة والكتاب الأجانب، وكانت تتكون من ثلاث عناصر أساسية وهي:

- **الواجهة:** هي عبارة عن تجويف حائطي يكتنفها غالبا عمودان من الرخام أو الحجر الكلسي يعلوهما عقد مصمت يكون في الغالب نصف دائري كما قد يكون متجاوزا أو مدببا أومفصصا، أما الواجهة فمكسوة ببلاطات خزفية، يعلوها إفريز من الآجر أو القرميد نصف الدائري أو هما معا.
- **الحوض:** صممت الأحواض وفق أشكال وأحجام متعددة وبمواد بناء متعددة على غرار الحجر والرخام، كانت تستقبل الماء من خلال الصنبور، أما الماء الفائض فيصرف من خلال قنوات استحدثت لهذا الغرض.
- **قنوات المياه:** كانت تصنع من المعدن تقع في سمك جدار الواجهة ولا يظهر منها إلا صنبور الماء.
- **خزان الماء:** عادة ما تتوفر كل عين على صهريج للماء موصولا بقناة مائية تصلها بصهريج أكبر أو بمنبع الماء الموجود خارج أسوار المدينة.

ومما يلاحظ أن العيون الموجودة داخل أسوار المدينة ذات مساحة صغيرة لازدحام العمران، أما تلك الموجودة خارج الاسوار فكبيرة، كما تلحق بها أحواض لشرب الحيوانات ولسقي البساتين.

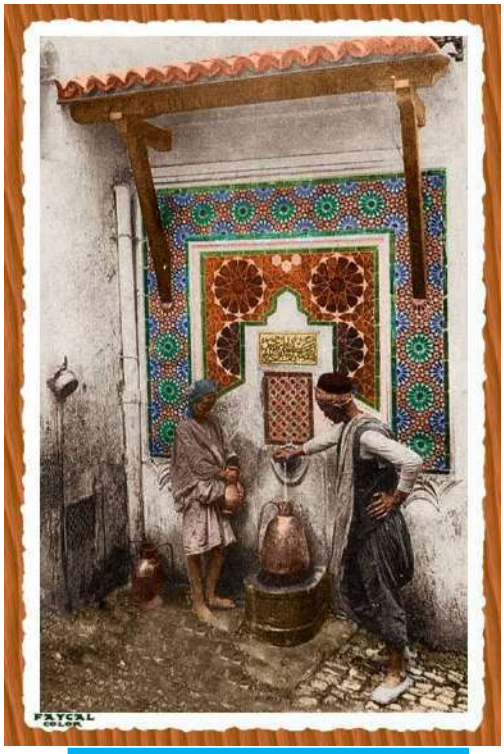

صور من عهد الاحتلال لعيون بمدينة الجزائر

إن وجود العيون لم يكن حكرا على مدينة الجزائر، بل تواجدت بباقي المدن الأخرى ولاسيما الحواضر منها **كقسنطينة ووهران ومعسكر والمدية ومازونة**، إلا أنها تعرضت للتخريب ومنذ البدايات الأولى للاحتلال، وكانت تتزود هذه العيون العمومية غالبا من خلال السواقي التي تجلب إليها المياه من بعيد، ومن ذلك مدينة **قسنطينة** التي كانت تتوفر على جسر ضخم يحمل القناة المائية، علما أن هذا الجسر يعود إلى الفترة الرومانية إلا أن العثمانيين أعادوا بناءه وترميمه من جديد زمن صالح باي. وفي مدينة **وهران** كان يتم تغذية عيونها من خلال المصدر الرئيسي للمياه بها وهو وادي الرحي حيث مدت عبره عدة قنوات لايصال المياه إلى هذه العيون. كما توفرت مدينة **مازونة** العاصمة الأولى لبايليك الغرب على عديد السواقي التي كانت تحمل المياه إلى المدينة عبر قنوات فخارية أو رصاصية. كذلك كان الحال **بمعسكر** وغيرها من **المدن**، حيث حرص بايات الاقاليم ببناء السواقي ومد الجسور المائية لتزويد العيون بالمياه الصالحة للشرب.

****

قائمة لأهم المصادر والمراجع المعتمدة

- **المناوي ,م .ع** كتاب النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر :الدار المصرية اللبنانية، 1987م.

- **آصلان آبا، أقطاي**، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث التاريخية والفنون والثقافة الإسلامية باستنبول (IRCICA)، استنبول، 1987م.

- **بلجوزي، بو عبد الله**، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، *رسالة ماجستير* ، الجزائر، معهد الآثار جامعة الجزائر، الجزائر، 2006م.

- **بلجوزي، بوعبد الله**، آثار عمران حواضر بايليك الغرب في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2012-2013م.

- **بن كردة زهية**، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الاسلامي الى العهد العثماني، رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، 2000م.

- **بوتشيشة، علي**، العمارة الدينية والمدنية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2.

- **جدي صليحة**، المنشآت المائية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2018م.

- **جلال، جميلة**، الأعمال المعمارية للداي مصطفى باشا في مدينة الجزائر وضواحيها من خلال وثائق الأرشيف والمعالم القائمة، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011-2012.

- **خروبي، فتيحة**، الحمامات بباليك الغرب الجزائرى خلال العهد العثماني، معهد الآثار جامعة الجزائر، الجزائر، 2012م.

- **حضرين عز الدين**، حمامات القرن الثالث الهجري/التاسع عشر الميلادي بمدينة البليدة. *رسالة ماجستير* ، 72. معهد الآثار جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2009م.

- **دحدوح، عبد القادر**، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009-2010.

- **موساوي، عربية سليمة**، الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، رسالة ماجستير، الجزائر، معهد الآثار جامعة الجزائر، الجزائر، 1991م.

- **راجعي، زكية،** مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007.
- **عقاب، محمد الطيب،** قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1985م.
- **قرمان، عبد القادر،** المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006-2007م.

Marçais,G, L'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphique, Paris, 1975

Marçais,G, L'Art en Algérie, Imprimerie algérienne, Alger, 1906.

Missoum, Sakina, Alger à l'époque ottomane ; la Médina et la maison traditionnelle, INAS, Alger, 2003.

Ravéreau, A, Casbah d'Alger et le site créa la ville, Sindbad, Paris, 1989.

Raymond, André, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, Editions Sindbad, Paris, 1985.

* *

المحاضرة الحادية عشر

العمارة العسكرية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

العمارة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني

أولا – التحصينات العسكرية بمدينة الجزائر:

تمهيد:

إن المخطط الدفاعي لمدينة الجزائر في شكله شبه الكلي وضع في القرن السادس عشر ليحسن ويطور ويجدد بعد ذلك طيلة فترة الحكم العثماني الذي امتدت لنحو ثلاثة قرون، وكانت تعتبر المدينة من أقوى المدن تحصينا في حوض المتوسط، ومما زاد في قوة دفاعاتها موقعها الاستراتيجي وتحصيناتها الطبيعية. وقد تمثلت هذه التحصينات في سورها القوي وقصبتها وأبراجها الداخلية والخارجية إضافة إلى العدد الكبير من طباناتها.

1- الأسوار:

يعود تاريخ إنشاء أسوار مدينة الجزائر إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، خلال الفترة الزيرية، غير أنها تعرضت على الأرجح للتجديد خلال الفترة المرابطية، ليستمر استغلالها في الدفاع عن المدينة خلال العهود التي تلت.

وخلال العهد العثماني عرفت هذه الأسوار عدة تجديدات وإضافات، وأول من بادر بهذه التجديدات خير الدين باشا، ثم تستمر في عهد ابنه حسن باشا عام 1540م الذي دعم الأسوار بخندق جاف وسور ترابي، لتعرف توسعة أخرى بالجهة الشرقية على يد أحمد عراب باشا عام 1573م، وفي المقابل حافظت على سورها الأصلي الذي بقي كذلك إلى غاية منتصف القرن 19م، حيث قامت سلطات الاحتلال بهدمه تحت ذريعة إنشاء مرافق عمومية إضافة إلى خدمة السياسة الدفاعية للمحتل.

الوصف المعماري:

أول من جدد أسوارها هو حسن باشا سنة 1540م حيث قام بمد أسوارها القديمة جنوبا إلى غاية القصبة التركية مشكلة أسوارها الخارجية وفتحت بها أبوابا أخرى في مقدمتها الباب الجديد.

جدد هذا السور عام 1573م من طرف أحمد عرب باشا إلا أن هذا التجديد اقتصر على السور الشرقي للمدينة فقط، حيث توسع جنوبا على حساب ربض باب عزون مع الحفاظ على اتجاه مساره السابق.

اتخذ السور شكلا مثلثا قاعدته عند البحر وقمته عند أعلى القصبة مدعما بعدد من الابراج المربعة الشكل والمسلحة بالمدفعية، وقد شيد بدناه بشكل مائل، يقدر محيطه بنحو 3400 خطوة (نحو 2584م)، إذ يبلغ طوله بالواجهة البحرية 1600 خطوة (نحو 1216م) وفي الجانب البري بـ1800خطوة (نحو 1368م)، ويتراوح متوسط سمكه ما بين 11 و12 شبرا، أي ما يعادل 2.75 إلى 3م، حيث يقل سمكه كلما اتجهنا من الاسفل إلى الأعلى لكون القسم العلوي أقل عرضة للخطر الخارجي إضافة إلى كونه محصن طبيعيا. أما ارتفاعه فقدر بحوالي 30 شبرا (6م) بالجهة البرية وبـ 40 شبرا (8م) بالجهة البحرية لكون هذه الأخير شيد على أرضية صخرية. شكل السور بمواد بناء مختلفة تمثلت في الطابية والآجر والحجارة هذه الاخيرة جلبت من أطلال البنايات القديمة.

2- أبواب المدينة:

كان للمدينة خلال العهد العثماني ستة أبواب خمسة منها رئيسية، أربعة من هذه الأخيرة تقع بالجهة البحرية، ومن المرجح أنها موروثة عن الفترات السابقة. وكانت هذه الابواب تفتح مع شروق الشمس وتغلق مع غروبها، كما كانت تغلق وقت صلاة الجمعة خشية الهجومات المباغتة، وهذه الابواب هي:

1.2- باب الوادي: هي من أقدم أبواب المدينة، سميت بهذا الاسم نسبة إلى الوادي الذي يصب بمقربة منها، عرفت عند المحتلين الفرنسيين باسم باب الغرب، نصل إليها عبر جسر ثابت فوق الخندق الجاف الذي يتقدمها من الناحية الخارجية، كانت الباب تعلوها حسب هايدو ست فتحات للمدفعية موزعة على الواجهات الثلاث الخارجية بالتساوي. كانت ترتبط

الباب بالشارع الرئيسي وبالكثير من حصون المدينة، ومنهشا نصل أيضا إلى ربض باب الوادي والمقبرة الاسلامية والمقبرة الخاصة بدفن المسيحيين واليهود.

2.2- باب عزون: كانت قائمة بالجنوب الشرقي أسفل باب الجديد على بعد 400 خطوة منها، وهي من الابواب الأصلية للمدينة، جددت من طرف أحمد عراب باشا سنة 1573م تاريخ تجديد السور الشرقية الجنوبية، وحسب ديفولوكس فإن هذه الباب كانت مشكلة من مدخلين بقبوين أحدهما في السور الداخلية بطول 34م والثاني في السور الخارجية بطول 17م تقع على محور الباب يعلوها عقد، هذا الأخير كان يتقدمها جسر متحرك من الخارج.

تفتح الباب على شارع باب عزون الذي يؤدي إلى مركز المدينة ويرتبط بباب الوادي بطول 1260م، ومنه نخرج إلى ربض باب عزون الذي كانت به المقبرة الاسلامية، كما كانت به المدابغ والمذابح وأسواق المواشي والحبوب والفحم وأفران الآجر.

هدمت الباب سنة 1841م وعوضت بباب جديدة في نفس موضعها، وبإنشاء سور المدينة سنة 1851م عوضت بباب ايسلي (ISLY).

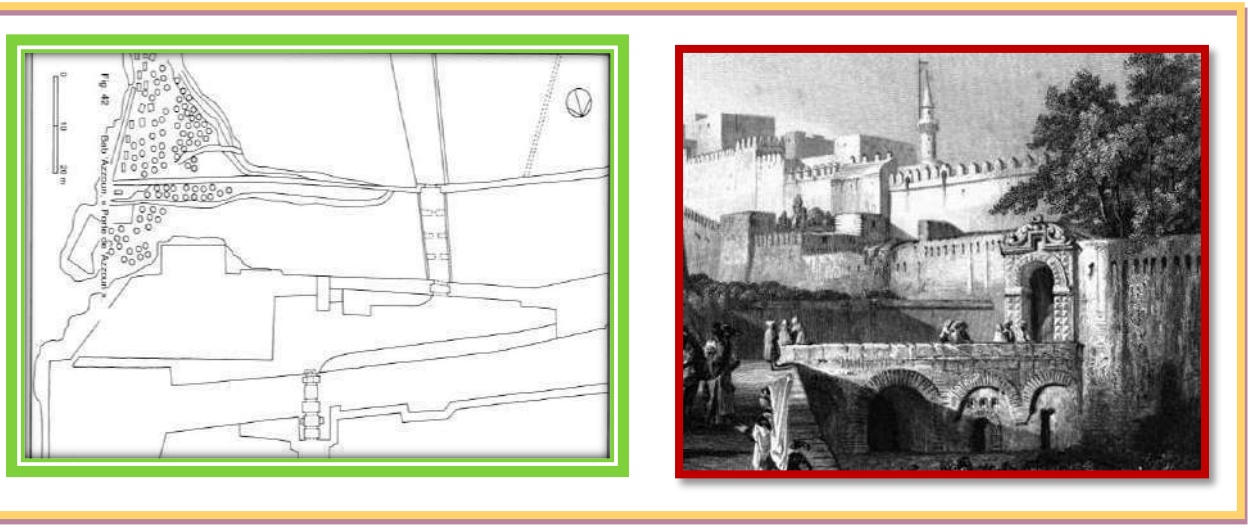

3.2- باب الجزيرة: سميت أيضا بباب الجهاد، كان موضعها بالسور البحرية للمدينة على يمين الميناء، تعرف عند العامة باسم باب "الدزيرة"، كما عرفت بأسماء أخرى وهي باب البحرية وباب الجهاد وباب المول والديوان وأخيرا باب فرنسا غداة الاحتلال.

تعتبر هذه الباب أيضا من أقدم أبواب المدينة وإن لم يكن هناك تاريخ ثابت لإنشائها إلا أنها كانت قائمة خلال النصف الأول من القرن 16م.

4.2- باب البحر: هو الباب الثانية

لتي فتحت بالواجهة البحرية بعد باب الجزيرة، كان موضعها غرب دار صناعة السفن على بعد 40 خطوة (حوالي 30م) منها وتحديدا اسفل الجامع الجديد (جامع البحرية). اتخذت هذه الباب عدة تسميات منها باب دار الصناعة وباب الجمرك أو الديوانة.

5.2- باب الجديد: تفتح على شارع باب الجديد بالقسم العلوي للمدينة والذي يصلها بأسفلها، كما تعتبر منفذ المدينة إلى برج النجمة وحصن مولاي حسن حصن الامبراطور أعلى المدينة. شيدت خلال القرن 16م، وهدمت من طرف الاحتلال سنة 1850م لتعوض بباب الساحل التي هدمت هي الأخرى سنة 1950م.

6.2- باب سيدي رمضان: كانت مقامة على الارجح بالسور الغربية للمدينة حيث احتلت موضعا وسطا منها وتحديدا خلف مسجد سيدي رمضان قرب القصبة. تكون قد بنيت خلال القرن 16م، تبعد عن باب الوادي بـ800 خطوة (نحو 608م) مفتوحة باتجاه الجنوب الغربي ومخصصة لخروج الجنود.

عرفت باسم باب القطّار لكونها كانت تفتح على ريف القطار المجاور لها، كما يمكن من خلالها الوصول إلى ربض باب الوادي وأيضا إلى برج النجمة وحصن مولاي حسن. وبقت هذه الباب قائمة إلى أن هدمها الاستعمار.

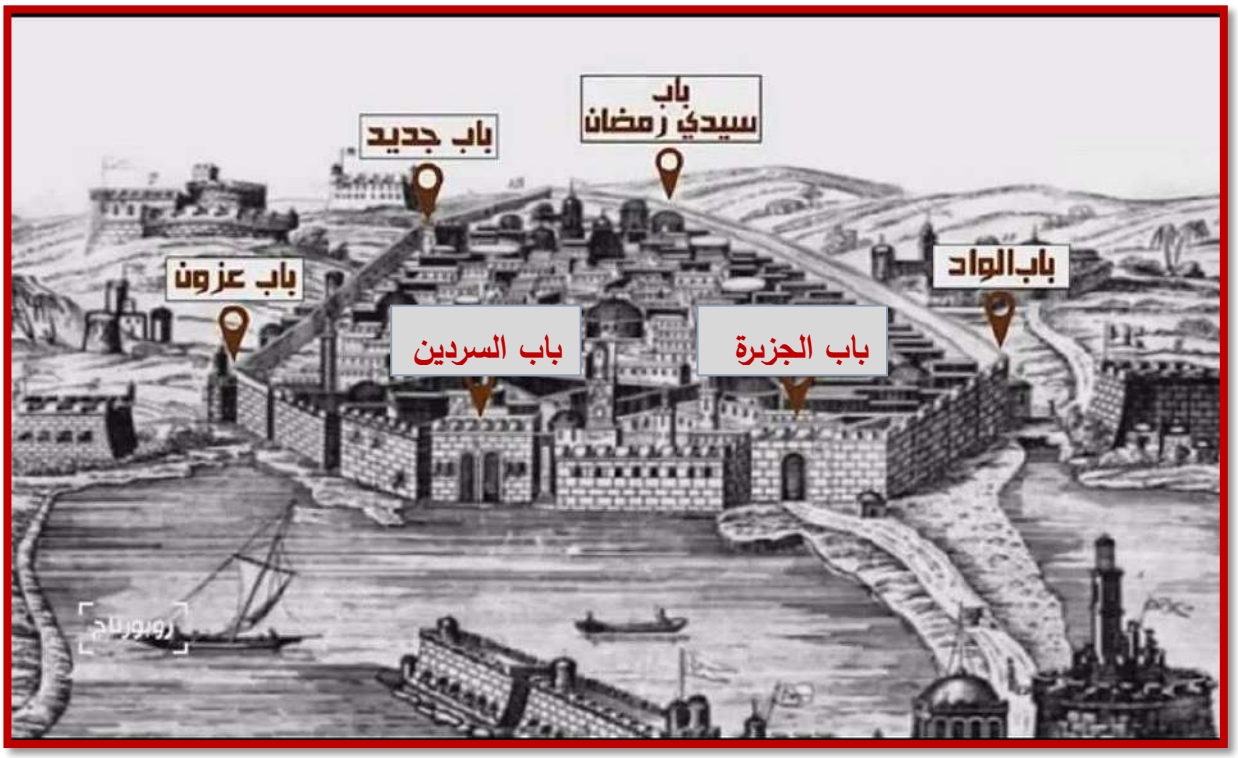
باب
سيدي رمضان
باب جديد
باب عزون
باب الوادي
باب السردين
باب الجزيرة

3- الطبانات:

لقد عززت أسوار المدينة بمجموعة من الطبانات (الطبخانات) أدت دورا كبير في الدفاع عن مدينة الجزائر وهي:

الطبانة	الموقع	تاريخ الانشاء	المنشئ	التجديد	الشكل والأبعاد	فتحات المدفعية	ملاحظة
الحمام المالح	أسفل باب الوادي	1568م	علج علي	رمضان باشا 1576	مربعة بطول 20 خطوة و7م ارتفاع	09	غير موجودة
سيدي رمضان	قرب مسجد سيدي رمضان		يحي رايس حسب كلاين		مربعة	13	قائمة
سركاجي	قرب سجن سركاجي				مربعة	07	
رحاة الريح	أسفل القصبة	1545م	الحاج باشا		20 في 30م	09	
باب الجديد	على الجانب الايسر من باب الجديد	احتمال سنة 1573	احتمال احمد عرب		مستطيلة 20 في 25	10 ؟	
حومة السلاوي	عند حومة السلاوي	احتمال بعد نهاية ق.16				09	هدمت سنة 1870م
العسل	عند فندق العسل اسفل باب عزون	1573م	أحمد عرب		مربعة بطول 20م	09	هدمت سنة 1875م
المارستان	الواجهة البحرية	كانت موجودة منتصف القرن 16م			مربعة	04	هدمت من طرف الاحتلال
باب البحر	يسار باب البحر			اعاد بناءه الداي حسين	ذات طابقين	36 قطعة مدفعية	
قاع السور	خلف الجامع الجديد					04	هدمت سنة 1867م

الجامع الكبير	قرب الجامع	أواخر القرن 15م	الاندلسيون			04	هدمها المحتل
الأندلس	قرب باب البحر	1551م	صفر	عدة تجديدات	40 في 30 خطوة	17	1867م
سبع تبارن	قرب طبانة الحمام المالح					04	

4- الخندق :

كانت الجزائر خلال القرن 16م حسب هايدو محاطة بخندق عرضه 16 خطوة، قام أحمد عرب بإصلاحه سنة 980هـ/ 1572- 1573م، وأصبح عرضه 20 خطوة وعمقه 07 أقدام كما قام مصطفى باشا بترميمه سنة 1598م. أما في سنة 1808م فذكر بوتان أن عمقه كان يتراوح ما بين 6 و8م، وذكر دوفولوكس أن عرضه تراوح مابين 18 و25م. وخندق المدينة كان من النوع الجاف شيد جانباه بشكل مائل، يمتد من باب الجديد إلى البحر من ناحية باب عزون، يتقدمه من الجهة الخارجية سور ساتر، يتراوح ارتفاع هذا السور ما بين 2 و3م وسمكها ما بين 3 و3.75م تعلوها شرافات هرمية الشكل فتحت بها مزاغل للرماية.

5- أبراج المدينة (الميناء):

تعتبر أبراج الميناء من أقوى النقاط الدفاعية للمدينة وشكلت بذلك خطا دفاعيا أماميا مهما، حيث فشلت أمامها جميع الهجمات خلال الفترة العثمانية وهذه الابراج هي:

الأبراج	الموقع	تاريخ الإنشاء	المنشئ	التجديد	الشكل والأبعاد	فتحات المدفعية	ملاحظة
برج السردينة	رأس المول	1077هـ/1666-1667م	أحمد باشا وعلي آغا	محمد بن عثمان باشا	طابقين	32	

برج راس المول	يمين مدخل الميناء	1115هـ/ 1703-1704م	احمد عاب	محمد بكداش وعلي شاوش	طابقين	14	15 جندي للحراسة
برج الفنار أو المنارة	رصيف خير الدين	1573م	احمد عرب	حسين الشيخ باشا والحاج أحمد داي	مثمن بارتفاع 36م وأربعة طوابق	50 قطعة مدفعية	15 جندي للحراسة/ له منارة بارتفاع 14م
البرج الجديد	قرب برج المنارة	1187هـ/ 1773-1774م	محمد بن عثمان باشا		طابقين	21	
برج القومان أو الحبال	الرصيف الكبير	1231هـ/ 1815-1816م	عمر باشا		طابقين	30 قطعة مدفعية ؟	
برج مابين	يتوسط البرج الجديد وبرج السردين	1239هـ/1823-1824م	الداي حسين ؟		ثلاث طوابق	18	
برج راس عمار القديم	قرب برج راس المول		محمد عثمان باشا		مستطيل بمساحة 145م^2	53 قطعة مدفعية	
برج راس عمار الجديد	موضع القناة البحرية قرب برج الفنار		الداي حسين		طابقين	34	

6- قصبة المدينة:

تقع في الجهة العلوية من المدينة بالمكان المعروف بالجبل ذات مكان استراتيجي بحيث تشرف على جميع دفاعات المدينة، يعود بنائها الى سنة 1516م من طرف عروج بربروس، كانت تدافع عنها حامية من ستين جنديا عرفت عدة تجديدات، في سنة 1817م نقلت إليها دار الإمارة وعقب الاحتلال اتخذت كثكنة للجند.

والقصبة ذات شكل مثلث رأسه عند التقاء سور باب الوادي بسور باب عزون وقاعدتها عبارة عن سور يفصل بينها وبين المدينة وبها كان مدخلها. كانت مساحتها تقدر بأكثر من 9000م^2 ، ذات سور من الطابية يقدر سمكها بنحو 5م مدعمة بسبعة بطاريات مسلحة بنحو 88 مدفعا يشرف عليها قائد المدفعية.

7- الحصون والأبراج الخارجية للمدينة:

هي عبارة عن نقاط دفاعية متقدمة تقع شرق وجنوب وغرب مدينة الجزائر، تتوفر على الكثير من المرافق كالغرف والحجرات والمطابخ والمصليات وغيرها، وهي مزودة بعدد معتبر من قطع المدفعية، يحيطها في الغالب خندق، وهذه الابراج هي:

أ- الجهة الجنوبية والشرقية:

- برج باب عزون

- برج الحراش
- برج الكيفان
- برج تامنفوست

ب- الجهة الجنوبية الغربية:

- برج مولاي حسن
- برج محمد باشا أو برج النجمة

ج- الجهة الشمالية والغربية:

- برج باب الوادي
- البرج الجديد
- برج قامة الفول
- برج مرسى الذبان القديم
- برج مرسى الذبان الجديد
- برج سيدي فرج

برج النجمة

برج الكيفان

8- ثكنات المدينة:

هي منشآت عسكرية خاصة بإقامة الجنود الإنكشاريين العزب، كانت تتمركز بالقرب من باب عزون وباب الجزيرة، تراوح عددها بالمدينة حسب الإحصائيات ما بين سبعة واثني عشر ثكنة، اتسع البعض منها لأزيد من ألف جندي، وهي عبارة عن بنايات كبيرة ذات طابقين، تتشكل من صحن مكشوف تتوسطه نافورة وتحيطه أروقة، وحول هذه الاروقة يتوزع عدد كبير من الحجرات عبارة عن غرف للجند والضباط، كما ضمت هذه الثكنات عدة مرافق عبارة عن مصليات ومطابخ ومغاسل ونوادي وحمامات، وهذه الثكنات هي:

- ثكنة المقرئين (المكررين)
- ثكنة باب عزون
- ثكنة صالح باشا
- ثكنة علي باشا
- ثكنة أوسطى موسى
- ثكنة متاع الدروج
- الثكنة القديمة
- الثكنة الجديدة

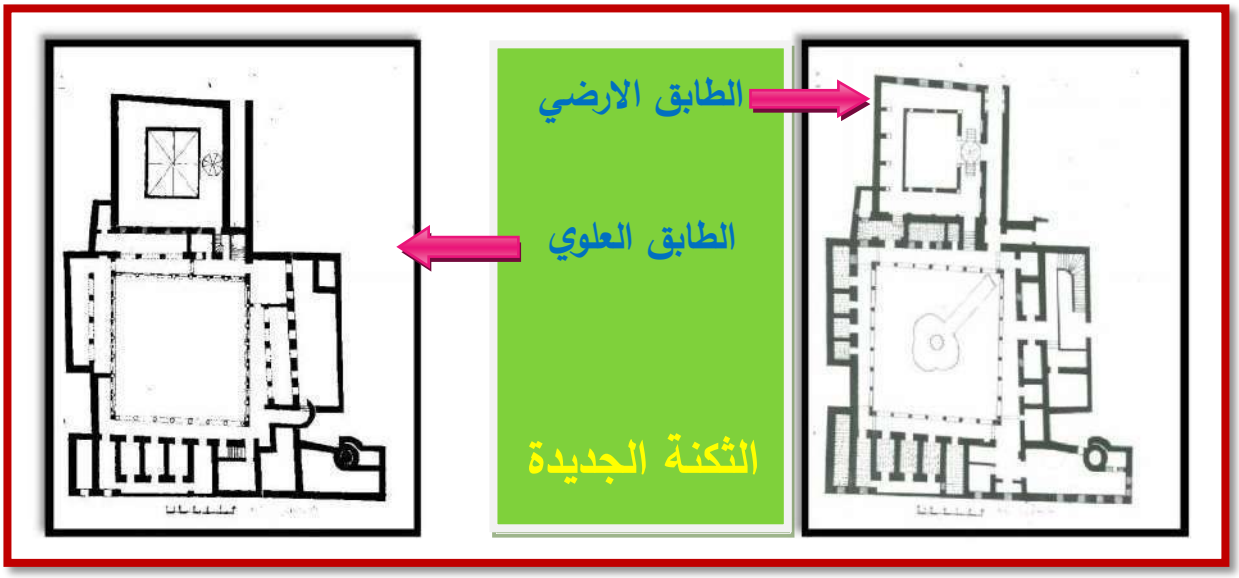

الثكنات	عدد الغرف	الجند الحقيقي	الجند الخارج عن الخدمة	عدد الأوجاق
ثكنة المقرئين	27	899	269	48
ثكنة باب عزون	28	1661	438	63
ثكنة صالح باشا	26	1266	349	60
ثكنة علي باشا	24	1516	391	55
ثكنة أوسطى موسى	31	1433	401	72
الثكنة القديمة	15	602	174	27
ثكنة متاع الدروج	31	1089	322	60
الثكنة الجديدة	19	856	231	38
المجموع	201	9322	2575	423
مجموع الجند	11897			

* *

ملحـــــــــــق

برج مولاى حسن

بطاربة بالقصبة

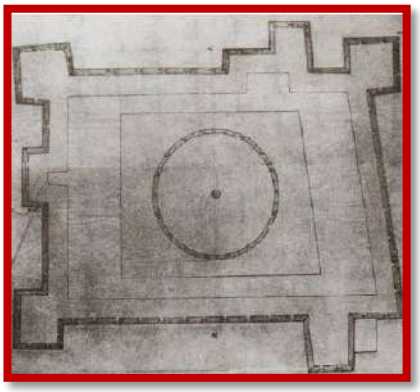

برج مولاي حسن

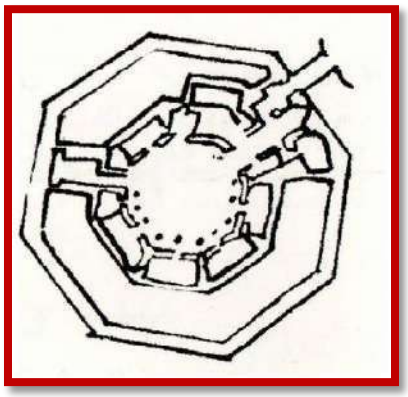

برج تامنفوست

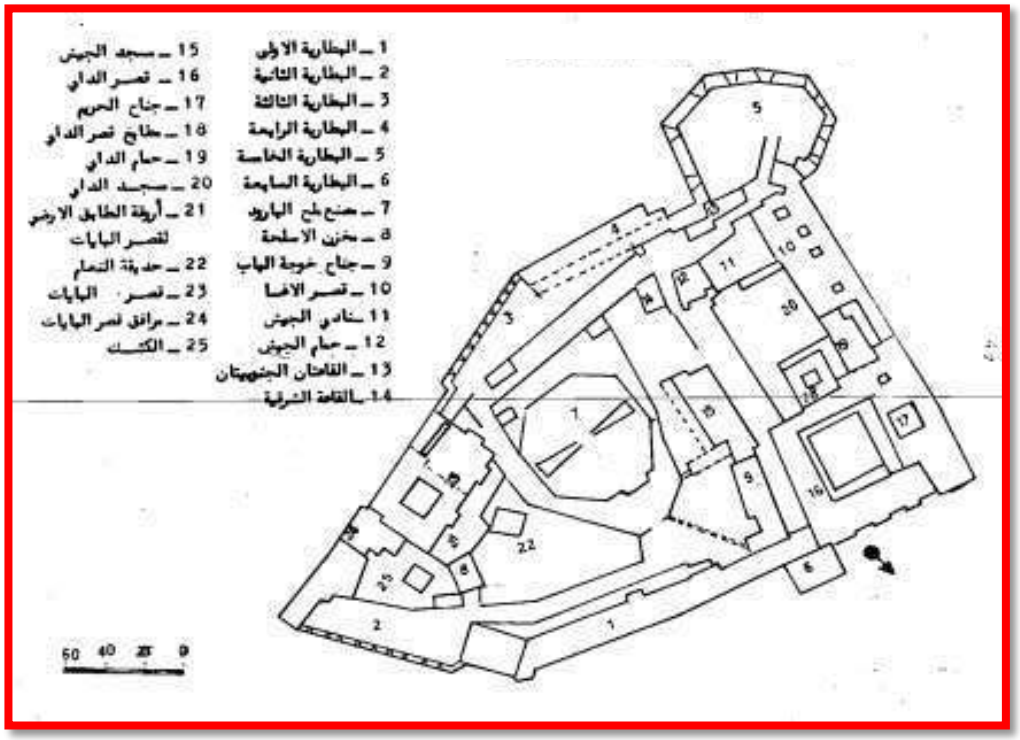

قصبة مدينة الجزائر

قائمة المصادر والمراجع:

- **عبد القادر حليمي**، مدينة الجزائر؛ نشأتها وتطورها قبل 1830م، المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي الجزائر، الطبعة الأولى، 1973م.
- **محفوظ بوطبة**، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر –معهد الآثار، 2016/2017م.
- **مقيبس، بشير**، مدينة وهران؛ دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
- **وزيري، يحي**، موسوعة عناصر العمارة الاسلامية، الجزء الأول والثاني والثالث والرابع، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1999م.
- **بلجوزي، بوعبد الله**، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006م.
- **بلجوزي، بوعبد الله**، آثارعمران حواضر بايليك الغرب في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2013/2012م.
- **خلاصي، علي**، قصبة الجزائر؛ القلعة وقصر الداي. رسالة دكتوراه، السلك الثالث، جامعة الجزائر، 1982م.
- **دحدوح، عبد القادر**، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009-2010.
- **ميمن داود**، التكنات الانكشارية بمدينة الجزائر، رسالة ماجستير، معهد الاثار، جامعة الجزائر2، 2008/2007م.

Marçais,G, L'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphique, Paris, 1975.

Ravéreau, A, Casbah d'Alger et le site créa la ville, Sindbad, Paris, 1989.

Raymond, André, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, Editions Sindbad, Paris, 1985.

Benkada Saddek, Espace urbain et structure sociale à Oran de 1792 à 1831, Mémoire de diplôme d'étude approfondies, université d'Oran, Institut des sciences sociale, Oran, 1988.

Ferhat Bendaoud, R. H., étude de l'Architecture militaire de la ville d'Oran pendant l'occupation espagnole 1505-1792, Mémoire de Magister, école polytechnique d'architecture et d'urbanisme, Alger, 1999/2000.

Sariane, Mounir Lecture et inventaire du patrimoine architecturale, le cas d' Oran, Mémoire de Magister, Faculté d'architecture et de génie civil, USTO (Oran), 2005/2006.

Lespès, R, « Oran, ville et port avant l'occupation française (1831) », In Revue africaine, N° 75, 3° trimestre, 1934. PP 277-335.

Missoum, Sakina, Alger à l'époque ottomane ; la Médina et la maison traditionnelle, INAS, Alger, 2003

المحاضرة الثانية عشر

التأثيرات العثمانية على المنشآت المعمارية بالجزائر (1516_1830م)

التأثيرات العثمانية على المنشآت المعمارية بالجزائر (1516-1830م)

تمهيد:

تعتبر عمائر العصر العثماني بمختلف أنواعها بالجزائر هي الأكثر عددا بين عمائر العصور السابقة التي مازالت قائمة لطول أمد العصر العثماني وقرب العهد منه، وهو الأمر الذي نلاحظه في العديد من الدول التي خضعت للحكم العثماني على غرار تونس ومصر وبلاد الشام عموما، وقد مثلت تلك الآثار الشاهد المادي الأبرز – الذي لا تخطئه العين– الدال على الإمتزاج الحضاري والثقافي بين الأتراك والسكان المحليين.

ومع ذلك وبالرغم مما طال عمائر العهد العثماني بمدن الجزائر عموما من تخريب وهدم، فإن ما تخلف منها يُعد من الشواهد الأثرية الهامة التي منها نستقي الخصائص المعمارية والفنية لعمائر تلك الفترة وفي مقدمتها المباني الدينية والممثلة خصوصا في المساجد.

والجدير بالذكر أن النشاط المعماري الذي جرى في الجزائر على عهد العثمانيين أكبر بكثير مما سبق وأن كُتِبَ عنه أو ما تَخلف عن ذلك العهد، ذلك أن الدراسات التي أُنجزت في هذا المجال من قبل الفرنسيين على وجه الخصوص أهملت تلك الفترة، ومن جهة أخرى فقد قام المحتل بحملة هدم واسعة جدا طالت معظم ما بني خلال هذا العهد.

غير أن مظاهر التأثير العثماني في الحقيقة قد تباينت من حيث القوة والضعف على جميع العمائر بأنواعها.

قد تبدو لأول وهلة أن هذه التأثيرات الوافدة على فن العمارة كانت بنفس القوة والدرجة سواء تعلق الامر بالعمائر الدينية على غرار المساجد والمدارس والزوايا والأضرحة أو تعلق الأمر بالعمائر المدنية كالقصور والدور والحمامات وغيرها من المرافق العامة. غير أن الامر في الحقيقة ووفق الأدلة الأثرية والدراسات المعمارية المعمقة مختلف تماما لدرجة أن بعض العمائر لم نكد نلمس فيها أي تأثير وافد.

ومن جهة أخرى وإذا ما حاولنا تتبع هذا التأثير نجده أقوى وأجل حيث العمائر الدينية وفي مقدمتها المساجد بينما يخبو في باقي العمائر.

أولا- على العمائر الدينية:

1-المساجد:

قبل التطرق إلى حجم التأثير العثماني حري بنا أن نتعرف على **خصائص الطراز المحلي في المساجد** المستمد من الطراز المغربي الاندلسي :

- ✓ يقوم بيت الصلاة في المساجد على الأعمدة والدعامات أو هما معا.
- ✓ ذات صحن بالنسبة للجوامع وبدونه بالنسبة للمساجد الصغيرة.
- ✓ متوسطة أو صغيرة المساحة.
- ✓ ذات شكل مستطيل في الغالب.
- ✓ بلاطات بيت الصلاة موازية لجدار القبلة عموما.
- ✓ استخدام العقود المنكسرة المتجاوزة وأحيانا نصف الدائرية أو المفصصة.
- ✓ إستخدام المآذن ذات المسقط المربع.
- ✓ موقع المآذن غير ثابت.
- ✓ المآذن قصيرة أو متوسطة الارتفاع.
- ✓ وجود منبر متحرك من الخشب خصصت له حجرة ضيقة لوضعه يمين المحراب.
- ✓ إستعمال الجص في الزخرفة وقليلا من الزليج على واجهات المآذن.

استمر البناء وفق هذا الطراز خلال العهد العثماني، بل إن أكثر ما بني في الجزائر كان وفقه لاسيما في مدن الاقاليم حيث لم تكن تأثيرات الطراز الوافد قوية كما هو الحال في الحواضر كالجزائر وقسنطينة ووهران ومعسكر وغيرها. وحسبنا أن نذكر أن **الجامع الكبير** بمعسكر(1160هـ/1747م) **وجامع محمد بن عثمان** (1207هـ/1792-1793م) **ومسجد الإمام سيدي الهواري**(1213هـ/1799-1800م) بوهران بنيوا وفق الطراز المحلي.

ومع ذلك فقد بُنيت الكثير من المساجد في الجزائر وفق الطراز الوافد والذي وصلتنا تأثيراته عبر طريقين:

أ- طريق مباشر : من مدينة اسطنبول أو من مدن تركية اخرى من خلال التجارة والزيارات المتبادلة للمعماريين من تركيا إلى الجزائر ومن الجزائر إلى تركيا على شكل بعثات.

ب- طريق غير مباشر: من خلال الرحلات إلى بلاد المشرق وفي مقدمتها الرحلة نحو البقاع المقدسة قصد الحج، فكان هؤلاء المسافرون يتأثرون بالطراز العثماني السائد سواء في مصر أو الشام أو حتى في بلاد الحجاز.

وقد انتقل إلينا الطراز العثماني إلى الجزائر ابتداء من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وبنيت وفقه المساجد الجامعة الرسمية، والذي تجلت خصائصه وسماته من خلال الوحدات والعناصر المعمارية التالية:

أ-المخطط المعماري لبيت الصلاة:

لقد ظهرت بالجزائر خلال العهد العثماني عدة أنماط من هذا الطراز الوافد وهي:

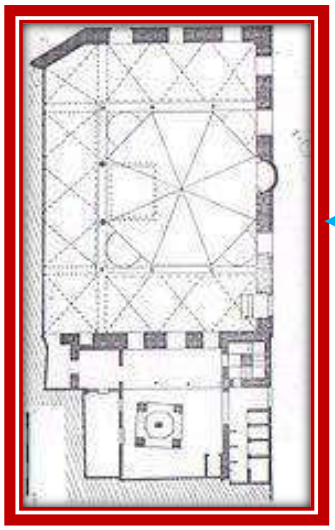

- النمط الأول: يأخذ فيه بيت الصلاة شكلا مربعا تعلوه قبة مركزية كبيرة محمولة على عقود ركنية أشبه ما تكون بأنصاف القباب على غرار **جامع صفر** (940هـ/1534م) و**مسجد سيدي عبد الرحمن** (1108هـ/1696-1697م) بمدينة الجزائر.

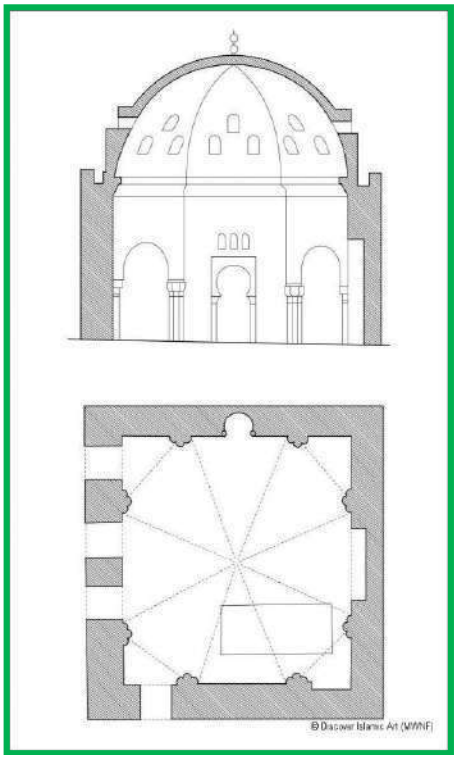

مسجد وضريح سيدي عبد الرحمن بمدينة

- النمط الثاني: يقوم تخطيطه على بيت صلاة ذات شكل صليبي تشكل القبة الكبيرة مركزه، بحيث يكون أحد أضلاعه أكثر امتدادا من بقية الأضلاع الثلاثة الأخرى، يتكون من ثلاث بلاطات عمودية أوسعها البلاطة المركزية والذي يتجسد في **الجامع الجديد** (1070هـ/1660م) بمدينة الجزائر. هذا النمط من الطراز الوافد – الذي يظهر بجوامع بروسا بتركيا– لم يتكرر في مساجد أخرى بمدن الجزائر.

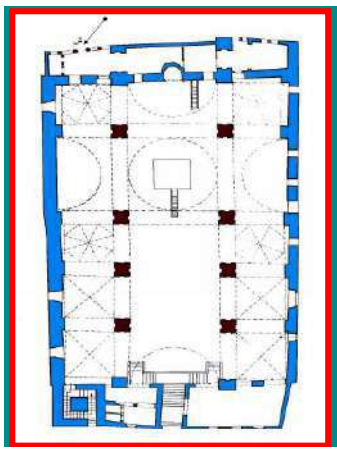

الجامع الجديد

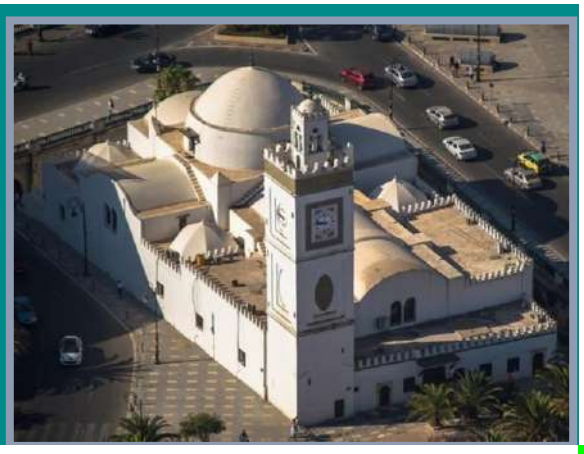

- النمط الثالث: هو الأكثر ترددا في مساجد الجزائر والذي تقوم فيه بيت الصلاة على قبة مركزية مثمنة الأضلاع تحيطها أروقة مسقوفة بقباب صغيرة وبأقبية متقاطعة غالبا، كما هو الشأن في

جامع علي بتشين (1032هـ/1622م) و**مسجد القصبة الداخلي** 234هـ/1818-1819م) بمدينة الجزائر و**جامع حسن باشا** بوهران و**مسجد المبايعة** بمعسكر.

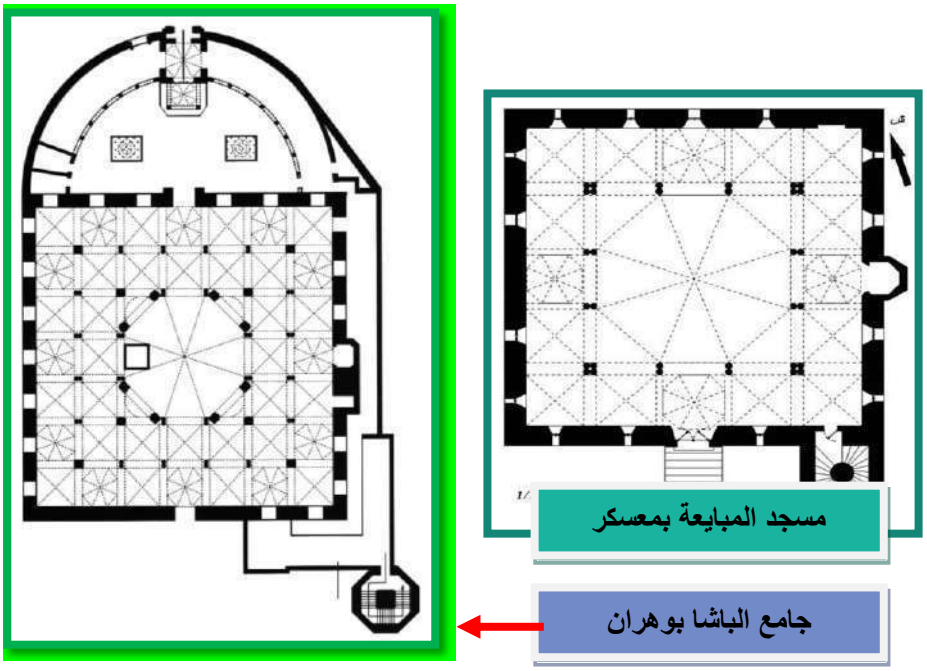

ب-المئذنة:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني ثلاثة أنماط من المآذن:

- النمط الأول: المئذنة ذات المسقط المربع وهي المستمدة من الطراز المغربي الاندلسي.
- النمط الثاني: المئذنة ذات المسقط مثمن الأضلاع التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني وقد انتشرت من قبل في مصر والشام بينما لم تنتشر في تركيا.
- النمط الثالث: تتميز ببدن وجوسق أسطوانيين، وجدناه في مئذنة جامع صالح باي بعنابة(1206هـ/1791م) ومئذنة جامع سيدي الكتاني بقسنطينة(1190هـ/1776م) وهذا النمط قريب الشبه بالمآذن التركية وإن كان الإختلاف باديا من حيث الشكل والإرتفاع، فبينما تميزت مآذن تركيا بالرشاقة والارتفاع وجمال المظهر وتعدد المطافات؛ تميزت مآذن الجزائر بقلة الإرتفاع وتواضع المظهر وبمطاف واحد.

منذنة مسجد المبايعة بمعسكر | منذنة الجامع الكبير بمعسكر | منذنة مسجد صالح باي بعنابة

74م

إحدى مآذن جامع السليمانية

70م

إحدى مآذن جامع السليمية

منذنة جامع الباشا

35م

أعلى منذنة خلال العهد العثماني

ج-المنبر:

لقد استخدم خلال الفترة العثمانية بالجزائر نوعان من المنابر:

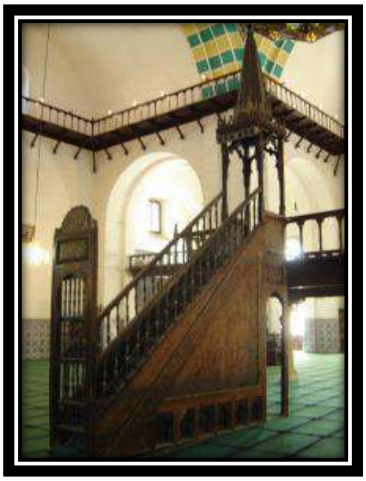

- ✓ المنبر الخشبي: هو النمط المحلي؛ عرفته الجزائر خلال الفترة العثمانية والمستمد من الطراز المغربي الأندلسي، وهو المصنوع من الخشب ذو عجلات عادة، بحيث خصصت له حجرة يوضع داخلها سائر أيام الأسبوع باستثناء يوم الجمعة.

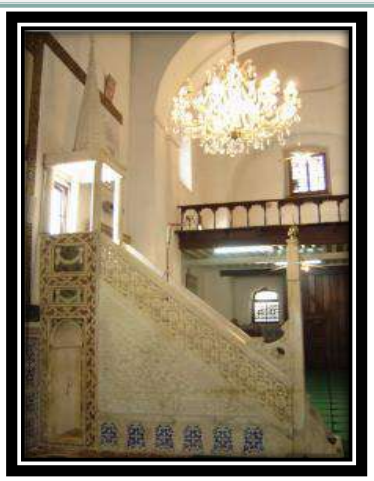

- ✓ المنبر الرخامي: هو النمط الوافد؛ عبارة عن منبر ثابت مصنوع من الرخام، ومن أمثلته الباقية في الجزائر منبر **جامع السيدة** الموجود حاليا بالجامع الجديد الذي نقل إليه بعد هدم جامع السيدة سنة 1832م،

ومنبر **جامع سيدي الكتاني** بقسنطينة، وقد شاع استخدام هذا النوع من المنابر في مساجد تركيا، مع العلم أن السلاجقة سبقوا العثمانيين في صناعة المنابر الثابتة من الحجر.

ومما يجب التنويه إليه أن العديد من مساجد الجزائر لم تبنى كلها وفق طراز واحد، بل امتزجت في أحيان كثيرة الوحدات والعناصر الوافدة مع الوحدات والعناصر المحلية، وعليه فقد وجدنا بالجزائر مساجد ذات مخطط وافد ومئذنة ذات نمط محلي على غرار جامع بتشين والجامع الجديد. كما وجدنا مساجد ذات مخطط محلي ومئذنة ذات تأثير مشرقي كجامع القصبة البراني وجامع سيدي لخضر اللذين لهما مئذنة مضلعة. ووجدنا أيضا مساجد ذات مخطط عثماني ومئذنة مضلعة، وهو ما نراه في جامع الباشا ومسجد المبايعة. أما النمط الرابع

فهو الذي بُني وفق الطراز المحلي الخالص؛ مخطط بيت صلاة قائم على الأعمدة ومئذنة ذات مسقط مربع كالجامع الكبير بمعسكر ومسجد الإمام سيدي الهواري بوهران.

ومما يجب تأكيده أن التأثير العثماني لم يكن قويا حتى بالنسبة للمساجد التي بنيت وفق الطراز الوافد لعدة أسباب لعل في مقدمتها بعد المسافة بين مركز الخلافة والجزائر وشيوع الطراز المحلي وقلة الموارد المالية.

وعموما فقد تميزت المساجد التركية السلطانية ذات القبة المركزية بما يلي :

- ✓ إحاطة القبة المركزية لبيوت صلاة بأنصاف قباب.
- ✓ وجود صحن تحيطه أروقة مسقوفة بقباب صغيرة.
- ✓ ضخامة البناء والثراء الزخرفي وتعدد الملحقات.
- ✓ تعدد المآذن ذات الشكل القلمي والتي قد تصل إلى الستة.
- ✓ وجود منبر رخامي ثري بالزخارف.

جامع السلطان أحمد بإسطنبول

جامع السليمية بأدرنة

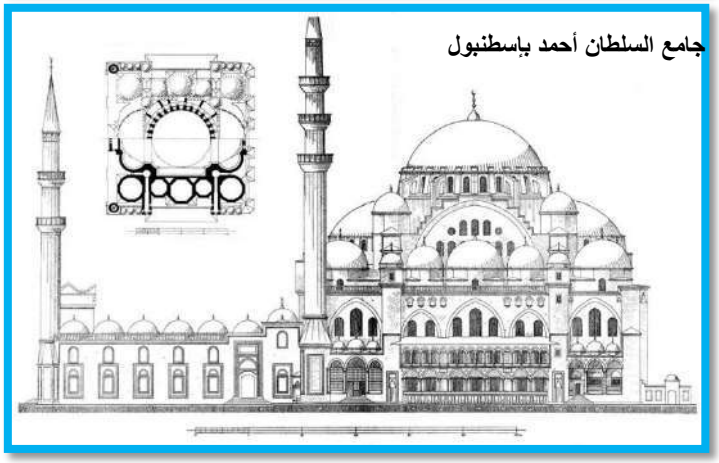
جامع السلطان أحمد بإسطنبول

<u>بينما تميزت مساجد الجزائر خلال الفترة العثمانية بما يلي:</u>

- ✓ إحاطة القبة المركزية بقباب صغيرة وأقبية متقاطعة في الغالب.
- ✓ غياب الصحن الذي تحيطه الأروقة المسقوفة بالقبيبات.
- ✓ تواضع مساجد الجزائر من حيث الحجم وفقرها الزخرفي مقارنة بمساجد تركيا.
- ✓ الاكتفاء ببناء مئذنة واحدة فقط ذات شكل مضلع في الغالب.

✓ وجود منبر خشبي في جميع المساجد باستثناء جامع السيدة وجامع سيدي الكتاني اللذيْن كان لهما منبر من رخام.

2-المدارس:

لئن كان التأثير العثماني قويا على المساجد - كما سبق وأن رأينا من قبل- سواء من حيث تخطيط بيت الصلاة أو من حيث بعض الوحدات والعناصر الأخرى فإنه كان منعدما أو يكاد على المدارس، حيث استمر بناء المدارس وفق الطراز التقليدي.

وقد ضمت بعض مدارس الجزائر كغيرها من المدارس الاسلامية التقليديةعموما:

- بيتا للصلاة وصحنا مكشوفا ومجنبتين إضافة إلى مؤخر تقع خلفه مباشرة ميضأة.
- بيوت للطلبة قد تتوزع على طابقين.
- مئذنة ومدخلا بارزا أحيانا.
- قبة الضريح وغرفة المطبخ ومكتبة، وهي العناصر التي تتقدم بيت الصلاة.
- في حالات نادرة وُجِد مسجد مستقلا نوعا ما عن مبنى المدرسة يقع بجانبها كما هو الحال بالنسبة لمدرسة سيدي محمد الشارف بمازونة.

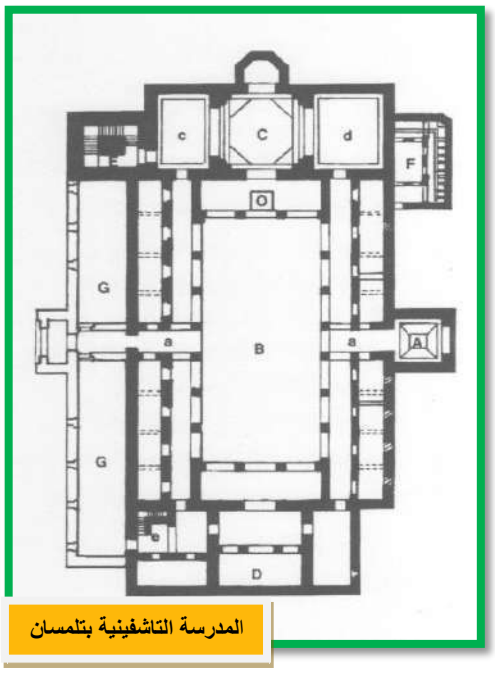

المدرسة التاشفينية بتلمسان

مدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة

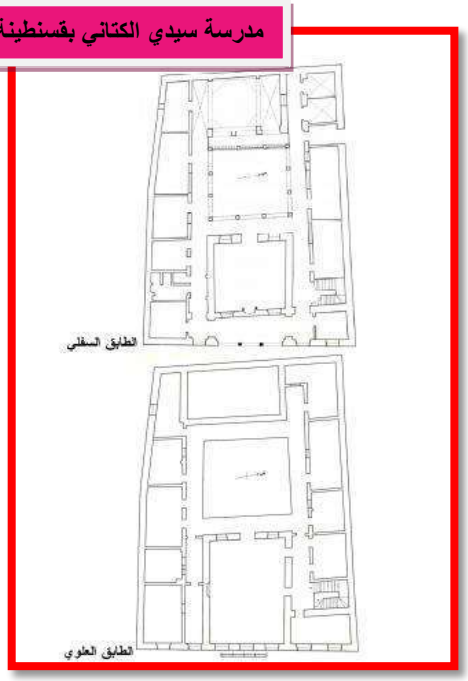

وعرفت تركيا نفس هذا الطراز وهو الطراز التقليدي في بناء المدارس ولم يكن الاختلاف سوى في بعض العناصر، حيث كان التصميم قائما على صحن أوسط مكشوف تتوسطه نافورة ويحيط بهذا الصحن أربعة أروقة تعلوها قبيبات، بينما تشغل الأضلاع الداخلية لهذه الأروقة أو بعضها حجرات الطلبة، أما قاعة التدريس (درس خانه) فهي عبارة عن قاعة مربعة غالبا تعلوها قبة كبيرة، تستخدم كبيت للصلاة في حال المدارس المستقلة غير الملحقة بالمجمعات المعمارية (الكليات)، هذه الأخيرة ذات محراب ومنبر ومئذنة.

وعقب فتح القسطنطينية العام 1453م ظهرت المجمعات المعمارية التي ضمت من بين ما ضمت المدارس ولعل أهمها مُجمع السليمانية. وهذا النوع من المجمعات لم تعرفه الجزائر خلال العهد العثماني.

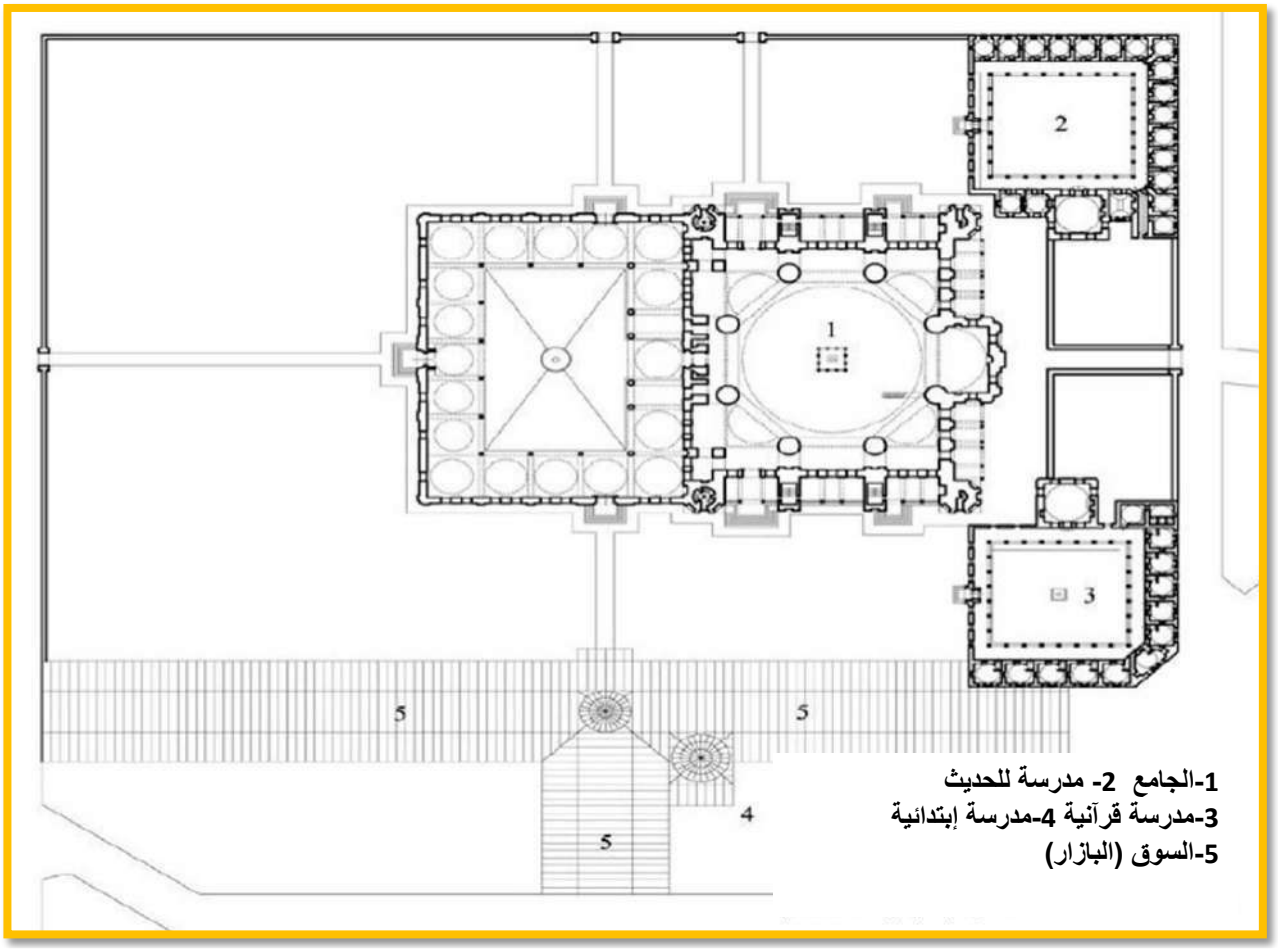

1-الجامع 2- مدرسة للحديث
3-مدرسة قرآنية 4-مدرسة إبتدائية
5-السوق (البازار)

مجمع السليمية بأدرنة /تركيا

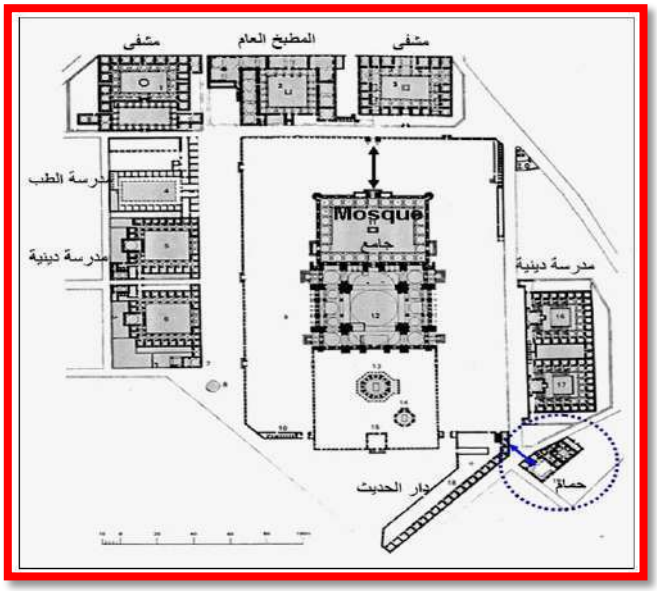

مجمع السليمانية باسطنبول

ثانيا-على العمائر المدنية:

1-العمارة السكنية:

كانت المساكن في الجزائر خلال العهد العثماني تتخذ طرازا واحدا تقريبا يتكرر بنفس الشكل والوحدات والعناصر في مختلف المدن على غرار مدينة الجزائر ووهران وقسنطينة والمدية والبليدة وملیانة، ولا يبدو الاختلاف إلا من حيث الحجم والمساحة وتعدد الأجنحة. حيث يقول قنصل أمريكا بالجزائر **وليام شالر** (1816- 1824م) بخصوص مساكن مدينة الجزائر:

"والمنازل في الجزائر مخططة ومبنية كلها على نفس الطراز.. والتي لا تختلف إلا في الحجم وقيمة المواد التي بنيت بها".

وقد تميزت هذه المساكن في المدن الكبرى عموما من حيث تصاميمها بما يلي :

- ✓ تتشكل من ثلاث مستويات في الغالب؛ طابق أرضي وطابق علوي وسطح.
- ✓ ذات صحن مركزي عادة تحيط به أروقة.
- ✓ تتوزع حول الأروقة الغرف والحجرات التي تتميز بالاستطالة.
- ✓ يتصدر المسكن مدخل منكسر تليه سقيفة ثم سقيفة ثانية أحيانا.

صحن وأروقة دار عزيزة

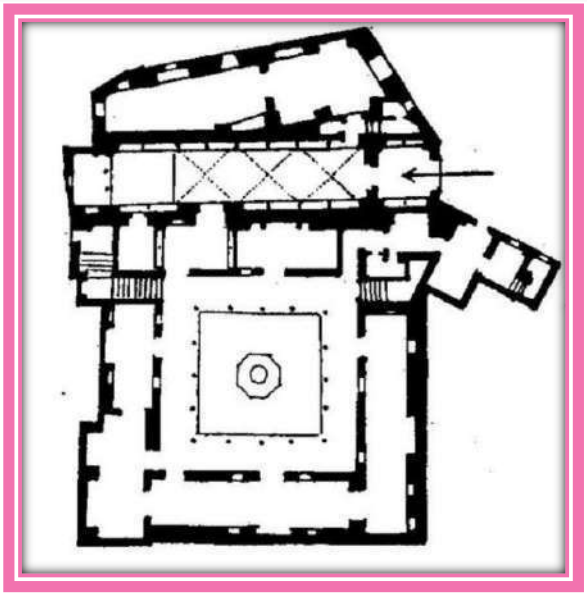

قصر مصطفى باشا

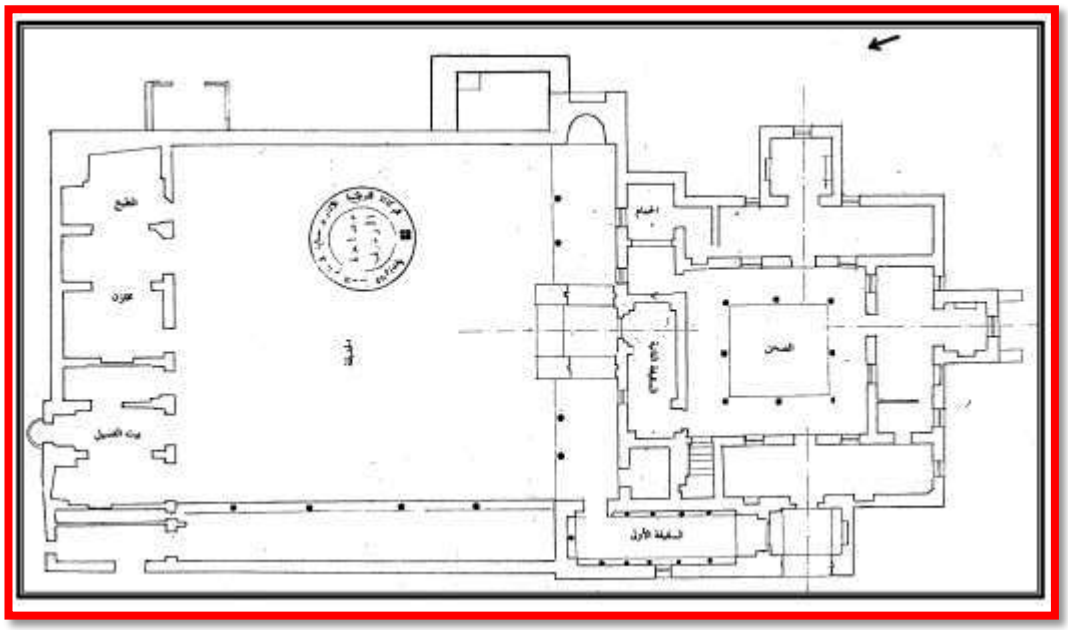

دار الداي حسين بضاحية حسين داي

وكانت هذه التصاميم محلية موروثة عن الطراز المغربي الأندلسي، أما التأثير العثماني فكان محدودا بحيث لم يتعد بعض التخطيطات (العناصر) المعمارية الثانوية والتفاصيل الزخرفية غير المهمة والتي لم تؤثر بحال على التنظيم (المخطط) الأساسي للمسكن، علما أن المسكن التقليدي في تركيا عموما لا يتشابه في كثير مع المسكن في الجزائر خلال الفترة العثمانية.

ومهما يكن من أمر فإن العناصر الأساسية في تخطيط البيت الإسلامي لم تشهد تغييرات جوهرية طيلة العهود الاسلامية، إنما مسّ التغيير عناصر ثانوية إستلزمتها ضرورة التطور واستخدام مواد بناء جديدة، ورغم أن عامل المناخ كان من أهم العوامل التي ساعدت على استمرار مخطط المساكن ذات الصحن المركزي، فإن عامل الدين هو الآخر لا يقل أهمية عن العامل السابق في فرض هذا التخطيط واستمراريته.

2-الحمامات:

نشير أن الحمام بالمغرب الإسلامي عموما بما فيها الجزائر – والذي يعتبر من العناصر الأساسية في الحياة الحضرية – له تصميم لا يختلف كثيرا عن التصاميم المشرقية، لا سيما وأن هذه المباني العامة كانت تُبنى وفق معايير وضوابط واحدة محددة سلفا. وعموما فإن أهم خصائص الحمامات العامة في الجزائر خلال الفترة العثمانية هي:

- وحدة التركيب المعماري للحمامات المشكل من القاعات الباردة والدافئة والساخنة.
- اشتمالها على المدخل المنكسر على غرار المساكن.
- وجود سقيفة تلي المدخل وهي بمثابة قاعة راحة وانتظار.
- كبر القاعة الباردة التي تشتمل غالبا على أروقة وهي مغطاة أحيانا بقبة مضلعة.
- تتوسط القاعة الدافئة القاعة الباردة والحارة، ذات أشكال متباينة تضم في الغالب كنيفا أو أكثر.
- تأخذ القاعة الحارة أشكالا مختلفة إلا أن قسمها الأوسط ذو شكل مربع.
- تُسقف القاعات الحارة غالبا بقباب أو أقبية.
- تتوفر القاعات الحارة عادة على مقصورة (خلوة) أو أكثر تحتل الأركان.
- تحتوي جميع القاعات الحارة على مكعب حجري مغطى سطحه بالرخام يستخدم للتعرق.
- وجود فرناق (مستوقد) بإزاء القاعة الحارة لتدفئتها وتزويدها بالماء الساخن.
- اشتمال الحمامات على خزانات للمياه تكون قريبة من الفرناق.
- فقر الحمامات عموما من حيث الزخرفة سواء من الخارج أو الداخل.

1- السقيفة
2- القاعة الباردة
3 القاعة الدافئة
4- القاعة الساخنة
5- الفرناق وملحقاته

حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران

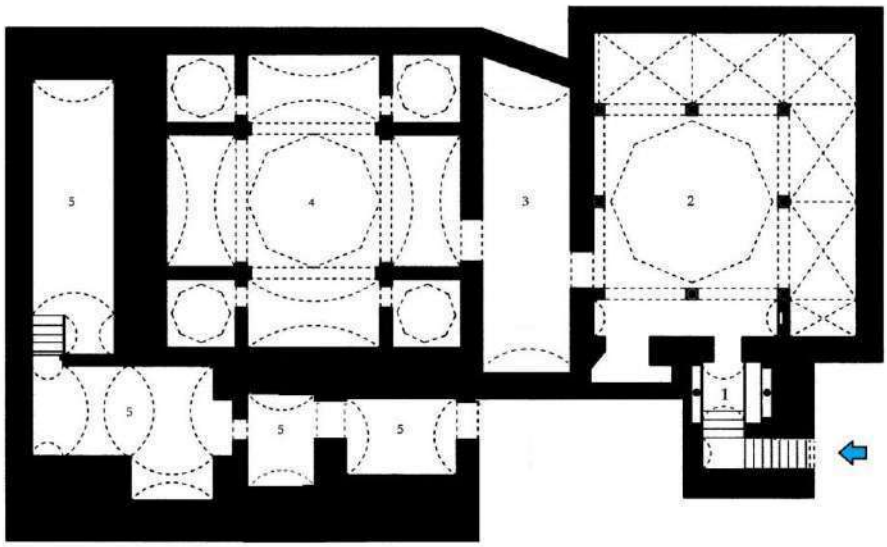

ولا تختلف الحمامات في تركيا العثمانية عن نظيرتها سواء في الجزائر أو غيرها من البلاد الاسلامية، إذ اتبع المعماريون في بناءها التخطيط التقليدي الشائع، حيث تشتمل هذه الحمامات على ثلاث وحدات متتالية تقع على محور واحد وهي الوحدات الرئيسية للحمام، ويغطي المربع الأوسط قبة تتقدمها نصف قبة تغطي إيوانا بارزا، أما القاعة الحارة فذات شكل مثمن تغطيها هي الأخرى قبة، ويمتد من مثمن القاعة ذراعان متقابلان يضم كلا منهما ثلاث خلوات (مقصورات) مغطاة بقباب صغيرة، وفي حالات أخرى يبرز من المثمن أربع أذرع على هيئة إيوانات تضم فيما بينها أربع مقصورات مغطاة هي الأخرى بقباب صغيرة، ويعتبر حمام محمود باشا أقدم وأهم الحمامات الباقية بإسطنبول الذي أتبع في بناءه هذا الطراز المذكور. ومن جهة أخرى ضمت بعض الحمامات بغرفتيها الباردة (غرفة تغيير الملابس) والدافئة أحواضا مائية تتوسطها نافورات.

ثالثا- من حيث العناصر المعمارية والفنية :

مع قدوم العثمانيين إلى الجزائر عرفت بعض العناصر سواء المعمارية أو الفنية الكثير من التطور بينما برزت أخرى لم تكن معروفة من قبل على غرار ما ذكرناه سابقا كالمنبر الرخامي، والتي لا يمكن إدراجها كلها ضمن التأثيرات العثمانية الوافدة، وأهم هذه العناصر نذكر التالي:

1- العقد الجزائري (الإهليليجي):

يبدو أنه ليس من السهل التعرف على أصله كما يجهل أيضا موطنه الأم، إلا أن **مارسي** أشار إلى ما يشابهه في عمائر شبه جزيرة البلقان المشيدة في نهاية القرن السابع عشر ميلادي/ الحادي عشر الهجري، دون أن يقدم أدلته على ذلك، مع العلم أنه ظهر في الجزائر قبل ذلك- حسب **دوكالي**- وبالتحديد خلال القرن السادس عشر/العاشر الهجري ونشير هنا أن الإقبال على هذا العقد كان كبيرا في المساكن والقصور في الجزائر خلال العهد العثماني، بل وأصبح سمة من سماتها البارزة، عكس العمارة الدينية التي لم ينتشر فيها كثيرا. لكن الأكيد أن تركيا لم تعرف هذا النوع من العقود كما لم تعرفه الأقاليم التابعة لها، وعليه فإننا لا يمكن إدراجه ضمن التأثيرات العثمانية الوافدة.

2- القبة المضلعة:

عرفت المنشآت المعمارية الجزائرية في العهد العثماني مثل المساجد والمدارس والأضرحة بالإضافة إلى جميع المساكن والقصور والحمامات دون استثناء؛ استخدامها القباب المضلعة.

وقد إشتهر المعماريون الاتراك بولعهم بالقباب فاستخدموها بشكل واسع في مختلف مبانيهم و قد أضفى هذا التغالي في استعمال القباب على الطراز العثماني شخصية مميزة وطابعا مرموقا بين طرز العمارة عامة والطرز الإسلامية خاصة وظهر تأثيرهم في مختلف الاقاليم التي حكموها، لكن ما يجب التأكيد عليه أن الأتراك فضلوا إستخدام القباب ذات المسقط الدائري على غيرها من القباب.

أما في الجزائر خلال الفترة العثمانية فهيمنت القبة **ثمانية الأضلاع** ذات الأصول المغربية الأندلسية- واستخدمت في مختلف المباني سواء الدينية أو المدنية أو العسكرية لكن بشكل خاص في المساجد، مقابل انحسار كبير للقبة ذات المسقط الدائري.

ومعلوم أن القبة المضلعة (ذات العروق) ظهرت لأول مرة في بلاد الإسلام بجامع قرطبة (364هـ/965م)، ليتجسد التأثير الأندلسي جليا في قبة جامع تلمسان المرابطي، والتي بدورها تعتبر أول قبة مضلعة تظهر ببلاد المغرب. ثم يستمر استخدامها في مختلف الفترات ومنها الفترة العثمانية لكن بشكل مكثف.

3- العمود المركب:

إستخدمت العديد من أنواع الأعمدة - وفي مختلف العمائر- بالجزائر خلال العهد العثماني، وهي الأسطواني والحلزوني والمضلع إضافة إلى المركب الذي نصفه السفلي مضلع ونصفه العلوي حلزوني ذو تاج كورنثي، استعمل هذا النوع الأخير كثيرا بالجزائر خلال الفترة العثمانية سواء في العمارة الدينية أو العمارة المدنية ولاسيما بالقصور والدور المنتشرة خاصة في مدينة الجزائر.

كان الرخامي منه يستورد على الأرجح من ايطاليا التي كانت تعرف آنذاك نهضة حضارية واسعة، نتيجة لقيام علاقات تجارية بينها وبين الجزائر والتي - بدورها - كانت تملك أسطولا بحريا كبيرا، أما الكلسي منه فكان يصنع محليا. ورغم إنتشار هذا النوع من الأعمدة كثيرا خلال العهد العثماني فليس من المؤكد أنه تأثير وافد من بلاد الاناضول لعدم استعماله هناك بالصورة التي استعمل عليها بالجزائر.

4- الزليج :

استخدمت المربعات الخزفية في الجزائر خلال العهد العثماني في المنشآت المختلفة بشكل مكثف لتحل محل التكسيات الجصية والفسيفساء الخزفية التي عرفتها الفترات السابقة، وكانت تجلب عادة من تركيا وتونس وبعض الدول الاوروبية كما أن بعضها كان يصنع محليا لكن ذو جودة أقل.

5- الهلال:

إحتوت الكثير من العمائر في الجزائر أثناء العهد العثماني على عنصر الهلال، وقد لوحظ في ثلاثة مواضع زخرفية؛ على مفاتيح أطر الأبواب الرخامية وعلى جبهات التيجان الرخامية، وأعلى مآذن المساجد وبعض قبابها ولاسيما المركزية منها، كما استخدم في جميع المنتجات الفنية من زليج وجص ورخام وغيرها.

والحق أن هذا العنصر عرف انتشارا أكبر في الجزائر خلال الفترة العثمانية لاعتباره من طرف العثمانيين – ربما – رمزا من رموز الدولة الإسلامية حينئذ، مقابل الصليب الذي كان شعارا لدول الغرب المسيحي المرسوم على الرايات والتي ظلت طيلة قرون في صراع مسلح مع المسلمين ولاسيما دول الضفة الجنوبية للبحر المتوسط وفي مقدمتها الجزائر. وعليه يعد استخدام الهلال المكثف من التأثيرات العثمانية الوافدة بالرغم من أن بلاد المغرب قد عرفته منذ أمد بعيد لكن استعماله كان محدودا.

6- زهرتا التوليب والقرنفل وشجرة السرو:

من العناصر النباتية التي وجدت مستخدمة بكثرة في بلادنا سواء على الزليج أو الجص أوالرخام أو غيرها هي زهرة التوليب (اللاله) وزهرة القرنفل إضافة إلى شجرة السرو وهي عناصر عرفت انتشارا كبيرا في بلاد تركيا وحتى في الأقاليم التابعة للخلافة.

وقد اشتد الإقبال على استخدام زهرة التوليب في الزخارف في جميع الفنون خلال القرن 18م وبخاصة في تركيا، ولاقت من العناية والإقبال ما لم تلقه أزهار أخرى باستثناء زهرة القرنفل التي تقاسمتها هذه المكانة، هذه الأخيرة انتشرت في مختلف الفنون الزخرفية في تركيا والأقاليم التابعة لها ومنها الجزائر.

ولشجرة السرو هي الاخرى أهمية خاصة لدى الاتراك والتي كانت ترمز إلى الخلود لاخضرار أوراقها طول السنة، وقد كانت تغرس في المقابر لرائحتها الطيبة. وهذه العناصر النباتية الثلاثة مُثلت على المنتجات الفنية ببلادنا سواء في صورتها الطبيعية أو المحورة.

زهرة القرنفل

زهرة التوليب (اللاله)

شجرة السرو

قائمة أهم المراجع المعتمدة

- **آصلان آبا، أقطاي**، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث التاريخية والفنون والثقافة الإسلامية باستنبول (IRCICA)، استنبول، 1987م.
- **شالر، وليام** ، مذكراته، تعريب وتعليق وتقديم : إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- **لعرج، عبد العزيز**، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الأولى، الجزائر، 1990م.
- **رزق، محمد عاصم**، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000م.
- **راجعي، زكية**، "المسكن التقليدي في تركيا (خلال القرنين 17- 19م)"، مجلة آثار، العدد: 13، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015م.
- **بن بلة، خيرة**، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008م.
- **بوتشيشة، علي**، العمارة الدينية والمدنية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2.
- **دحدوح، عبد القادر**، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009-2010.
- **راجعي، زكية**، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007.
- **عقاب، محمد الطيب**، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1985م.
- **موساوي، عربية سليمة**، الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر،1990/1991م.

Bourouiba,R, Apports de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique, O.P.U.,Alger, 1987.

Dokali,R, Les Mosquées de la période turque à Alger, S.N.E.D. Alger, 1974.

Golvin,L, Essai sur l'Architecture religieuse musulmane, Tome 1,2,3et4 Edition Klincksieck, Paris, 1970.

Golvin,L, Palais et demeures d'Alger à la période ottomane, O.P.U., Alger,1988.

Missoum, Sakina, Alger à l'époque ottomane ; la Médina et la maison traditionnelle, INAS, Alger, 2003.

Marçais,G, L'Art en Algérie, Imprimerie algérienne, Alger, 1906.

Marçais,G, L'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphique, Paris, 1975.

Missoum, Sakina, Alger à l'époque ottomane ; la Médina et la maison traditionnelle, INAS, Alger, 2003.

Raymond, André, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, Editions Sindbad, Paris, 1985.

- **مواقع إلكترونية**

****

تم بتوفيق الله

الفهرس

مقدمة 04

فهرس المحاضرات... 05

المحاضرة الأولى: خصائص القرن الـ16م نهوض أوروبا وانحطاط العالم الاسلامي..... 06

التخلف الاوروبي خلال العصور الوسطى؛أسبابه ومظاهره..... 07

حركة النهضة الأوروبية وعوامل قيامها..... 07

مظاهر النهضة الأوروبية..... 08

عوامل انحطاط الحضارة الاسلامية 08

أسباب العدوان على بلاد المغرب..... 09

العدوان الاسباني على بلاد المغرب..... 10

قائمة المصادر والمراجع..... 12

المحاضرة الثانية:التواجد العثماني في الجزائر... 13

نشأة وقيام الدولة العثمانية.... 14

شخصية عروج وخير الدين... 15

انضواء المغرب الأوسط تحت الحكم العثماني..... 16

1-الدوافع والأسباب.... 16

2- مراحل التحرير والفتح... 17

3-الجزائر ولاية عثمانية (1518م)..... 17

قائمة المصادر والمراجع.... 19

المحاضرة الثالثة :التنظيمات في الجزائر خلال العهد العثماني..... 20

نظام الحكم.... 21

التنظيم الاداري..... 22

جهاز الحكم... 24

النظام الاداري بالبايليكات الثلاث..... 25

- الحياة الاجتماعية..... 27

- الحياة الثقافية... 29

- الحياة الاقتصادية..... 30

المحاضرة الرابعة: مدخل إلى المدينة الاسلامية..... 33

مفهوم المدينة.... 34

نشأة المدينة الإسلامية.... 35

المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.....36
شروط اختيار موقع المدينة.....36
شروط إنشاء المدن..... 37
التكوينات المعمارية في المدينة الإسلامية.....38
المدن الإسلامية الأولى.....39
قائمة المصادر والمراجع..... 41
المحاضرة الخامسة : التطور العمراني لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني.....43
الموقع الجغرافي والفلكي 44
تأسيس ونشأة مدينة الجزائر.....44
تسمية المدينة..... 44
التطور العمراني لمدينة الجزائر قبل العهد العثماني..... 45
تخطيط المدينة في العهد العثماني.....48
تمهيد.....48
النسيج العمراني لمدينة الجزائر.....48
أولا- مركز المدينة.....49
ثانيا- الأحياء السكنية..... 49
ثالثا- الشوارع والطرقات.....50
رابعا- المحيط الإنتاجي والحرفي.....52
خامسا- التحصينات العسكرية.....53
سادسا- أبواب المدينة.....54
قائمة المصادر والمراجع..... 59
المحاضرة السادسة: التطور المعراني لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني... 61
أصل التسمية..... 62
الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة.....62
تأسيس ونشأة مدينة قسنطينة..... 64
التواجد العثماني بقسنطينة..... 65
التطور العمراني للمدينة خلال العهد العثماني..... 65
التركيبة العمرانية لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني..... 70
أولا- مقر الحكم..... 70
ثانيا-المساجد الجامعة 70
ثالثا-الأحياء السكنية... 71
رابعا-الرحاب..... 72
خامسا-الشوارع والأزقة..... 72

سادسا-الأسواق.....74
سابعا-التحصينات العسكرية.....77
ثامنا- الربض.....77
قائمة المصادر والمراجع.....82
المحاضرة السابعة: التطور العمراني لمدينة وهران خلال العهد العثماني.....84
أولا- موقع مدينة وهران.....85
ثانيا- أصل التسمية.....85
ثالثا- تأسيس مدينة وهران.....85
رابعا- أهم المحطات التاريخية لمدينة وهران.....87
1- وهران خلال العصر الوسيط.....88
2- وهران خلال العصر الحديث 89
التطور العمراني لمدينة وهران.....91
أولا - خلال الفترات الاسلامية الأول قبل الاحتلال الاسباني.....91
ثانيا - خلال الاحتلال الاسباني الأول.....92
ثالثا - خلال الفترة العثمانية الأولى.....93
رابعا - خلال الاحتلال الاسباني الثاني.....93
خامسا - خلال الفترة العثمانية الثانية.....94
التطور العمراني لمدينة وهران خلال العهد العثماني.....98
التركيبة العمرانية لمدينة وهران.....98
أولا- مقر الحكم 98
ثانيا- المسجد الجامع 99
ثالثا - الأحياء السكنية.....102
رابعا- الأسواق والرحاب.....103
خامسا- الشوارع والطرقات.....104
سادسا- التحصينات العسكرية 105
سابعا- الأرباض.....109
قائمة المصادر والمراجع.....112
المحاضرة الثامنة: العمارة الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني.....**116**
تمهيد.....117
أولا – المساجد.....118
1- مساجد الطراز المحلي.....118
1.1- مسجد القصبة البراني بمدينة الجزائر 129
2.1- الجامع الأخضر بقسنطينة.....131

3.1- مسجد الإمام سيدي الهواري بوهران.... 133
4.1- الجامع الكبير بمعسكر..... 137
2- مساجد الطراز الوافد.... 139
1.2- جامع صفر..... 142
2.2- الجامع الجديد..... 143
3.2- جامع حسن باشا بوهران..... 152
4.2- مسجد المبايعة بمعسكر..... 154
ثانيا-المدارس..... 156
مدرسة سيدي محمد بن الشارف بمازونة..... 159
2- مدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة..... 160
ثالثا-الزوايا.... 161
1- زاوية بن عبد الرحمن بقسنطينة.... 161
2- زاوية سيدي عبد المؤمن..... 162
رابعا-الأضرحة..... 163
1- ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر.... 164
2-ضريح سيدي امحمد بمدينة الجزائر.... 166
3-ضريح الباي مصطفى المسراتي بمستغانم.... 167
4-ضريح الباي مصطفى لحمر بمستغانم..... 168
قائمة المصادر والمراجع..... 169
المحاضرة التاسعة: العمارة السكنية في الجزائر خلال العهد العثماني..... 171
أولا- الخصائص المعمارية للعمارة السكنية في الجزائر خلال العهد العثماني.... 172
ثانيا- الوحدات الأساسية للمسكن في الجزائر خلال العهد العثماني.... 175
1- المداخل المنكسرة 175
2- السقائف 176
4- الصحون والأروقة.... 178
5- الحجرات والغرف..... 182
6- أجنحة القصور..... 183
ثانيا-العناصر المعمارية للمسكن في الجزائر خلال العهد العثماني.... 187
1-المداخل..... 187
2-النوافذ والشمسيات..... 188
3- الأعمدة والدعامات 189
4-العقود..... 192
5-عناصر التسقيف.... 194

قائمة لأهم المراجع المعتمدة.....204.....204
المحاضرة العاشرة: المرافق العامة في الجزائر خلال العهد العثماني.....205
أولا- الحمامات 206
1- أهمية الحمام في المجتمع الإسلامي... 206
2- الحمامات العامة بالجزائر خلال الفترة العثمانية.....207
1.2- موقع الحمامات.....207
2.2- واجهات الحمامات.....208
3.2- مداخل الحمامات.....209
4.2- التصميم المعماري للحمامات العامة وأقسامها الداخلية..... 210
ثانيا – الفنادق..... 216
الفنادق بالجزائر خلال العهد العثماني.....216
التخطيط المعماري للفندق.... 216
فندق بني ميزاب بقسنطينة.....218
ثالثا – الحوانيت.....219
رابعا – الأسبلة (العيون).... 223
تمهيد.....223
1- وحدات السبيل.....223
2- عناصر السبيل.... 224
3- العيون العمومية (الأسبلة) خلال العهد العثماني.....226
4- السواقي المغذية لعيون مدينة الجزائر.....228
5- الوصف المعماري لعيون مدينة الجزائر.... 230
قائمة لأهم المصادر والمراجع المعتمدة.....233
المحاضرة الحادية عشر: العمارة العسكرية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني... 235
أولا – التحصينات العسكرية بمدينة الجزائر.....236
تمهيد.....236
1- الأسوار... 237
2- أبواب المدينة... 238
3- الطبانات.... 242
4- الخندق 243
5- أبراج المدينة (الميناء)..... 243
6- قصبة المدينة.... 245
7- الحصون والأبراج الخارجية للمدينة..... 245
8- ثكنات المدينة..... 247

قائمة المصادر والمراجع..... 250
المحاضرة الثانية عشر: التأثيرات العثمانية على المنشآت المعمارية بالجزائر.....**252.....**
تمهيد.....253
أولا- على العمائر الدينية..... 254
1-المساجد.... 254
2-المدارس..... 262
ثانيا-على العمائر المدنية.....264
1-العمارة السكنية.....264
2-الحمامات.... 267
ثالثا- من حيث العناصر المعمارية والفنية.....269
1- العقد الجزائري (الإهليليجي).....269
2- القبة المضلعة.....269
3- العمود المركب.....271
4- الزليج.... 271
5- الهلال.... 272
6- زهرتا التوليب والقرنفل وشجرة السرو.....273
قائمة المصادر والمراجع.........275
الفهرس..... 277